

من باب بدء الخلق ومبعث الانبياء الى نصف باب مريم

229

1

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب احاديث الانبياء عليهم السلام كذا وقع في رواية كريمة في بعض
النسخ وكذا وقع في رواية ابي علي بن شبويه نحوه وقدم الآية الآتية
في الترجمة على الباب وفي بعض النسخ كتاب الانبياء عليهم السلام وفي
بعضها باب خلق آدم عليه السلام من غير ذكر شيء غيره واما عدد الانبياء
عليهم السلام فقد روى ابو ذر رضي الله عنه مرفوعا حيث قال قلت يا رسول
الله كم الانبياء قال مائة الف واربعة وعشرون الفا قلت يا رسول الله
كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جم غفير الحديث رواه ابن حبان
في صحيحه وابن مردويه في تفسيره وهو المشهور الشائع وعن انس بن مالك
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله ثمانية الاف
نبي اربعة الاف الى بني اسرائيل واربعة الاف الى سائر الناس رواه ابو يعلى
الموصلي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت على اثر ثمانية
الاف من بني اسرائيل رواه الحافظ ابو بكر الاسمعيلي باب خلق آدم صلوات

الله عليه وذريته انما سمي آدم لانه خلق من ادمة الارض وهي لونها
والادمة في الناس السمرة الشديدة وروى سعيد بن جبير عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان آدم خلق من اديم الارض وهو وجهها
وروي مجاهد عنه ايضا انه مشتق من الادمة وقيل هو من ادمت
بين الشيئين اذا خلطت بينهما لانه كان ماء وطينا فخلط جميعا وقيل
الادام لانه يخلط بالخبز قال ابو اسحق الثعلبي التراب بلسان العبرانية آدام
فسمي آدم عليه السلام به وحذفت الالف الثانية وقيل انه اسم سرياني وقال
الجوهري انه اسم عربي وليس بعجمي وذكر ابو منصور الجواليقي في كتاب معرب اسماء
الانبياء عليهم السلام كلها اعجمية الا اربعة وهي آدم وصالح وشعيب ومحمد
عليه وعليهم الصلوة والسلام والمشهور ان كنيته ابو البشر وروى الوالبي
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان كنيته ابو محمد وقال قتادة لا يكنى في الجنة
الا آدم عليه السلام يقال له ابو محمد اظهارا لشرف نبينا صلى الله عليه وسلم
وهو لا ينصرف لانه على وزن افعل وهو معرفة وعلى تقدير كونه للعجمة و
التعريف ذكره الله في القران في سبعة وعشرين موضعا واما الذرية فهي من
ذرأ الله الخلق يذرؤهم بمعنى خلقهم قال الجوهري الذرية نسل الثقلين الا
ان العرب تركت همزتها والجمع الذراري وفي المغرب ذرية الرجل اولاده ويكون
واحدا وجمعا ومنه قوله تعالى قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة اقد ذكر
البخاري رحمه الله من الآثار والاحاديث التي تتعلق بذلك بعضا وترك
بعضا ومما لم يذكره ما رواه الترمذي والنسائي والبزار وصححه ابن حبان من
طريق سعيد المقبري وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ان الله خلق
آدم من تراب فجعله طينا ثم تركه حتى اذا كان حمأ مسنونا خلقه وصوره ثم
تركه حتى اذا كان صلصالا كالفخار كان ابليس يمر به فيقول لقد خلقت لامر
عظيم ثم نفخ الله فيه من روحه فكان اول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه
فعطس فقال له يرحمك ربك الحديث ومنه حديث ابي موسى رضي الله عنه مرفوعا
ان الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على

قدر الارض لحديث اخرجه ابو داود والترمذي وصححه ابن حبان ومنه
حديث انس رضي الله عنه رفعه لما خلق الله آدم تركه ما شاء الله ان يدعه فجعل
ابليس يطيف به فلما رآه اجوف عرف انه لا يتمالك رواه احمد ومسلم **صلصال**
طين خلط برمل اشار بقوله صلصال الى ما في قوله تعالى خلق الانسان من
صلصال كالفخار وفسر الصلصال بقوله طين خلط برمل وحقيقة الصلصال
الطين اليابس المصوت **وصلصل** اي صوت وهو فعل ماض **كما يصلصل**
الفخار بفتح الفاء وتشديد الخاء المعجمة وهو ضرب من الخزف يعمل منه الجرار
والكيزان وغيرها قال ابو عبيدة الصلصال الطين اليابس الذي لم يصبه
نار فاذا نقرته صل اي صوت فسمعت له صلصلة فاذا طبخ بالنار فهو
فخار وكل شيء له صوت فهو صلصال وروى الطبري عن قتادة باسناد صحيح
مثله وهذا الذي ذكره البخاري هو تفسير الفراء وعن ابن عباس رضي الله عنه
الصلصال هو ماء يقع على الارض فتنشقه فتجف فيصير لها صوت **ويقال منتن**
اراد بهذا انه جاء في اللغة صلصال بمعنى منتن ايضا ومنه صل اللحم يصل صلولا
اذا انتن مطبوخا كان او نيا وتفسيره بالمنتن رواه الطبري عن مجاهد
وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المنتن تفسير المسنون **يريدون**
به صل اشار به الى ان اصل صلصل الذي هو الماضي صل فضوعف فاؤه فصار
صلصل **كما يقال صر الباب وصرصر عند الاغلاق** اي كما يقال صر الباب اذا صوت
عند الاغلاق فضوعف فيه كذلك فقيل صرصر **مثل كبكبته يعني كببته** اي كما يقال
كبكبته في كببته بتضعيف الكاف يقال كببت الاناء اي قلبته وقوله يريدون
به الى آخره الظاهر انه من كلام المصنف اشار به الى ما ذكر **فمرت به استمر بها الحمل**
فاتمته اشار به الى ما في قوله تعالى فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به وفسره
بقوله استمر بها الحمل حتى وضعته والضمير في قوله فمرت به يرجع الى حواء عليها السلام
وهذا التفسير هو قول ابي عبيدة والاية في سورة اواخر الاعراف قال الله تعالى
هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو آدم عليه السلام وجعل زوجها منها من
جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله تعالى جعل لكم من انفسكم

3

ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان
الشيء الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشاها اي
جامعها حملت حملا خفيفا هو النطفة فمرت به فاستمرت وقامت وقعدت
فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا
صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه
النعمة المجددة **الا تسجد ان تسجد** اشار به الى ما في قوله تعالى قال ما منعك
الا تسجد وهذا ماخوذ من كلام ابي عبيدة قال لا زائدة من حروف الزوائد
كقول الشاعر • ويلحينني في اللهو ان لا احبه • وللهو داع دائب غير غافل **ه**
وقيل فيه حذف تقديره ما منعك من السجود فاحوجك ان لا تسجد اذ
امرتك والله اعلم **باب قول الله تعالى واذ قال ربك للملائكة** واذكر يا محمد
حين قال ربك للملائكة الاية اخبر الله تعالى بتنويه بني آدم بذكرهم في
الملأ الاعلى قبل ايجادهم وامتن عليهم بذلك حكى ابن جرير عن ابي عبيدة
انه زعم ان كلمة اذ زائدة وان تقدير الكلام وقال ربك ورد عليه ابن
جرير قال القرطبي وكذا رده جميع المفسرين حتى قال الزجاج هذا اجتراء من ابي
عبيدة **اني جاعل في الارض خليفة** اي قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن
وجيلا بعد جيل كما قال تعالى هو الذي جعلكم خلائف في الارض قال اكثر المفسرين
وليس المراد هنا بالخليفة آدم عليه السلام فقط كما قال طائفة اذ لو كان المراد
آدم عينا لما حسن قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
وقولهم هذا ليس على وجه الاعتراض لا على وجه الحسد لا على وجه الطعن في
بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى ان من يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد
مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون انما هو سؤال استعلام
واستكشاف عن الحكمة في ذلك مع ان فيهم من يفسد في الارض ويسفك
الدماء فوافق ذلك باخبار من الله تعالى او تلقي من اللوح او استنباط عما ركز في
عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الآخر وقولهم
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك لا يصدر منا خلاف ذلك تقرير لجهة الاشكال

كقولك الخس الى اعدائك وانا الصديق القديم المحتاج يعني نستخلف
عصاة ونحن معصومون احقا بذلك والمقصود انه كما عرفت استفسار
عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا التعجب
والتفاخر فقال الله في جوابهم اني اعلم ما لا تعلمون اي اني اعلم بالمصلحة الراجحة
في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها فاني ساجعل فيهم الانبياء والرسل
ويوجد فيهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهاد والاولياء
الابرار والمقربون والعلماء العاملون والخاشعون والمتبعون لرسله وفي
هذا المقام مقال كثير ليس هذا محله قال ابن عباس رضي الله عنهما لما عليها
حافظ الا عليها حافظ اشار بذلك الى ما في قوله تعالى ان كل نفس لما عليها
حافظ ثم نبه على ان لما هاهنا بمعنى الا التي هي حرف الاستثناء وقد وصله
عنه ابن ابي حاتم وزاد الا عليها حافظ من الملائكة وقد اختلف القراء في
تشديدها وتخفيفها فقرا ابن عامر وحمزة وعاصم بالتشديد على ان يكون
ان نافية ويكون لما بمعنى الا وهي لغة هذيل يقولون نشدتك الله لما قمت
يعنون الا قمت ومعنى ما النفس الا عليها حافظ من ربها والباقون قرؤوا
بالتخفيف جعلوا ما صلة وان المخففة من الثقيلة اي ان كل نفس لعليها
حافظ من ربها يحفظ عليها ويحصي عليها ما يكسب من خير او شر وعن ابن
عباس رضي الله عنهما هم الحفظة من الملائكة وقال قتادة هم حفظة يحفظون
عملك ورزقك واجلك وقيل هو الله رقيب عليها والله تعالى اعلم في كبد
في شدة خلق اشار به الى ما في قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد وفسر
الكبد بقوله في شدة خلق رواه ابن عيينة في تفسيره عنه باسناد صحيح
وزاد وفي اخره ثم ذكر مولده ونبات اسنانه واخرجه الحاكم في مستدركه وقال
ابو عبيدة الكبد الشدة قال لبيد يا عين هلا بكيت اربد اذ قمت
وقام الخصوم في كبد ورياشا المال اشار به الى ما في قوله يا بني ادم قد
انزلنا عليكم لباسا يواري سواءتكم ثم فسر الرياش بالمال وهو قول ابن عباس
رضي الله عنهما وصله ابن ابي حاتم من طريق علي بن ابي طلحة عنه وقال غيره

اي غير ابن عباس رضي الله عنهما الرياش والريش واحد وهو ما ظهر
٤ من اللباس وهو قول ابي عبيدة وزاد تقول اعطاني ريشه اي كسوته
قال والرياش ايضا المعاش وقيل الريش الجمال والهيئة ما تمنون النطفة
في ارحام النساء اشار به الى ما في قوله تعالى افرايتم ما تمنون ثم فسره بقوله
النطفة في ارحام النساء وهو قول الفراء قال يقال امنى الرجل ومنى والاول
اكثر ومعنى ان النطفة اذا قذفت في ارحام النساء انتم تخلقون ذلك ام
نحن وقال مجاهد انه على رجعه لقادر النطفة في الاحليل يعني انه قادر على
رجع المني اي النطفة الى الاحليل وهذا التعليق وصله ابن جرير من حديث
ابن ابي نجيح عن عبد الله بن ابي بكر عن مجاهد وفي لفظ الماء بدل النطفة وفي
رواية ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبي
وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الماء لقادر وعن قتادة ان الله قادر
على بعثه واعادته كل شيء خلقه فهو شفع السماء والوتر الله عز وجل اشار به الى
معنى قوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين كذا قال الشراح والظاهر انه
اشارة الى قوله تعالى والشفع والوتر اي كل شيء خلقه الله تعالى فهو شفع
وقوله السماء شفع معناه انه شفع للارض كما ان الحار شفع للبارد مثلا
والخالق هو الوتر وحده لا شريك له وهذا قول مجاهد ايضا وصله الفريابي والطبري
عنه ولفظه كل شيء خلقه الله شفع معناه انه شفع السماء والارض والبر و
البحر والجن والانس والشمس والقمر ونحو هذا شفع والوتر الله وحده وبذلك
زال الاشكال فان ظاهر ايراد المصنف في اقتصاره على قوله السماء شفع يقال
عليه ان السموات سبع والسبع ليس بشفع وليس ذلك مراد مجاهد وانما
مراده ان كل شيء له مقابل يقابله ويذكر معه فهو بالنسبة اليه شفع كالسماء
والارض والجن والانس وروى الطبري عن مجاهد ايضا قال في قوله تعالى
ومن كل شيء خلقنا زوجين الكفر والايمان والشقاوة والسعادة و
الضلالة والهدى والليل والنهار والسماء والارض والجن والانس والوتر
هو الله وروى من طريق ابي صالح نحوه واخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما

من طريق صحيح انه قال الوتر يوم عرفة والشفع يوم الذبح وفي رواية ايام
الذبح وهذا يناسب ما فسروا به قوله قبل ذلك وليال عشر ان المراد بها عشر ذي
الحجة احسن تقويم في احسن خلق اشار به الى ما في قوله تع لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم ثم فسره بقوله في احسن خلق وهو تفسير مجاهد اخرجه الفريابي
عنه وقيل احسن تعديل لشكله وصورته وتسوية اعضائه وقيل في اعتدال
قامته واحسن صورته وذلك انه خلق كل حيوان منكبا على وجهه الا الانسان
وقال ابو بكر بن طاهر مزينا بالعقل مؤدبا بالامر مهذبا بالتمييز مديد القامة
يتناول ماكوله بيمينه اسفل سافلين الا من آمن اشار به الى ما في قوله تع ثم
رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا ومعناه ان الانسان يكون عاقبة
امره اذا لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة المستوية ان رددناه اسفل
من سفل خلقا وتركيبا يعني اقبح من قبح صورة واشوهه خلقة وهم اصحاب
النار فعلى هذا التفسير الاستثناء وهو قوله تع الا الذين آمنوا متصل
ظاهر الاتصال وقيل اسفل سافلين الضعف والهرم والخرف لان ذلك التقويم
يزول عنهم ويتبدل خلقهم فعلى هذا الاستثناء منقطع فالمعنى لكن الذين
كانوا صالحين من الهرمى فلهم اجر دائم غير ممنون اي غير مقطوع على طاعتهم
وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام
بالعبادة فيكتب لهم في حال هرمهم وخرفهم مثل الذين كانوا يعملون في حال
شبابهم وصحتهم خسر ضلال اي في مساعيهم وصرف اعمارهم في مطالبهم ثم
استثنى الا من آمن اشار به الى ما في قوله تع ان الانسان لفي خسر ثم
فسر الخسر بالضلال ثم استثنى الله تع من اهل الخسر الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية
وهذا التفسير مجاهد اخرجه الفريابي قال في قوله تع ان الانسان لفي خسر يعني
في ضلال ثم استثنى فقال الا من آمن فكانه ذكره بالمعنى والا فالتلاوة
الا الذين آمنوا لازب لازم اشار به الى ما في قوله تع فاستفتهم اهم
اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب وقد فسره بقوله

لازم وقد روى الطبري عن مجاهد في قوله من طين لازب لازق ومن
طريق علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال من التراب والماء ٥
فيصير طينا يلزق واما تفسيره باللازم فكانه بالمعنى وهو تفسير ابي عبيدة
قال معنى اللازب اللازم قال النابغة ولا يحسبون الشر ضربة لازب اي
لازم ننشئكم في اي خلق نشاء اشار به الى ما في قوله تع وننشئكم فيما
لا تعلمون ثم فسره بقوله اي في خلق نشاء او صفات وكيفيات من الالوان
والاشكال وغيرها والمراد النشأة الاخرى نسبح بحمدك نعظمك اشار به الى
ما في قوله تع ونحن نسبح بحمدك وفسره بقوله نعظمك وهو تفسير مجاهد نقله
الطبري وغيره عنه وقال ابو العالية هو رفيع بن مهران الرياحي ادرك
الجاهلية واسلم بعد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ودخل على ابي بكر
الصديق رضي الله عنه وصلى خلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وروى
عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم فتلقى آدم من ربه كلمات فهو قوله ربنا
ظلمنا انفسنا يعني انه فسر الكلمات بقوله تع ربنا ظلمنا انفسنا وان لم
تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ووصله الطبري عنه باسناد حسن و
روى ذلك ايضا عن مجاهد وسعيد بن جبير والحسن البصري والربيع بن
انس وقتادة ومحمد بن كعب القرظي وخالد بن معدان وعطاء الخراساني
وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم وقال ابو اسحق السبيعي عن رجل من بني
تميم قال اتيت ابن عباس رضي الله عنهما فسألته ما الكلمات التي تلقى
آدم عليه السلام من ربه قال علم آدم شأن الحج وقيل سبحانك اللهم وبحمدك
وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر
الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب الم تخلقني
بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم تسكني
جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم
واما معنى قوله تع فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول
والعمل بها حين علمها فازلهما استزلهما اشار به الى ما في قوله تع فازلهما

الشيطان عنهما في فرجهما كما كان ثانيه ثم فسره بقوله استزلهما ويروى فازلهما
بالفاء اي دعاهما الى الزلة وفي تفسير ابن كثير يصح ان يكون الضمير عائدا الى
الشجرة فيكون بمعنى كما قرأ حمزة فازالهما اي نحاهما قال الحسن وقتادة فازلهما
الشيطان عن الشجرة اي بسببها وفي بعض النسخ قال فازلهما استزلهما وهو
رواية ابي ذر وهو يوهم انه من كلام ابي العالية وليس كذلك بل هو من تفسير
ابي عبيدة وكانه كان في الاصل وقال غيره فسقط قوله غيره ولا ما في رواية
الاصيلي وغيره بحذف قال كما اثبتنا وكان الامر فيه اشكل فتأمل يتسنه
يتغير آسن متغير والمسنون المتغير اشار بذلك الى ما في قوله تعالى فانظر الى
طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم يتغير واشار بقوله آسن الى ما في قوله تعالى
فيها انهار من ماء غير آسن اي غير متغير واشار بقوله والمسنون الى ما في قوله
من حمأ مسنون اي من طين متغير وكل هذه من مادة واحدة وايراد قوله
يتسنه وقوله آسن في اثناء قصة ادم عليه السلام بطريق التبعية للمسنون لانه
قد يقال باشتقاقه منه حمأ جمع حمأة وهو الطين المتغير اشار بهذا الى ما في قوله
تعالى من حمأ مسنون وقال الحمأ جمع حمأة ثم فسره بقوله وهو الطين المتغير
وكذا فسره ابو عبيدة يخصفان اخذا الخصاف من ورق الجنة يؤلفان الورق
ويخصفان بعضه الى بعض اشار به الى ما في قوله تعالى بدت لهما سوآتهما وطفقا
يخصفان عليهما من ورق الجنة ثم فسر يخصفان بقوله اخذا اي آدم وحواء
عليهما السلام الخصاف وهو بكسر الخاء المعجمة وتخفيف الصاد المهملة جمع
خصفة بالتحريك وهي الجلة التي تعمل من الخوص للتمر ويجمع على خصف ايضا
بفتحتين وقوله يؤلفان الورق اي ورق الشجرة قيل كان من ورق التين
ويخصفان يعني يلزقان بعضه ببعض ليستر به عورتهما يقال خصفت
النعل اي خرزته وكذلك الاختصاف ومنه قرأ الحسن يخصفان بالتشديد
ادغم التاء في الصاد وما ذكره هو تفسير ابي عبيدة وروى الطبري عن مجاهد في قوله
يخصفان اي يرقعان كهيئة الثوب سوآتهما كناية عن فرجهما اشار بهذا الى قوله
تعالى وبدت لهما سوآتهما وفسر السوأة بانه كناية عن الفرج وكذا فسره ابو عبيدة

زوجه بسيد من ريد صح

قوله عن فرجهما بالافراد ويروى فرجيهما بالتثنية والضمير يرجع الى آدم و
حواء عليهما السلام وذلك كان عند اكل الشجرة فانهما لما اكلا منها تهافت
عنهما لباسهما وظهرت عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم
او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا ومتاع الى حين ههنا الى
يوم القيمة والحين عند العرب من ساعة الى ما لا يحصى عدده اشار بذلك الى
ما في قوله تعالى ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين ثم فسر الحين بانه الى يوم القيمة
وكذا رواه الطبري باسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما واشار بقوله
والحين عند العرب الى اخره الى ان لفظ الحين يستعمل في معان كثيرة وهو
في الاصل بمعنى الوقت مطلقا والمراد ههنا يوم القيمة قبيله جيله الذي هو
منهم اشار بهذا الى ما في قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله ثم فسر قبيله اي قبيل
الشيطان بانه جيله بكسر الجيم اي جماعته الذي هو اي الشيطان منهم وروى
الطبري عن مجاهد في قوله وقبيله قال الجن والشياطين هذا قال الكرماني و
امثال هذه تكثير لحجم الكتاب لا تكثير للفوائد والله اعلم بمقصوده وقال العيني
لا يخلو عن زيادة فائدة ولكن كتابه موضوع لبيان الاحاديث لا لبيان
اللغات لالفاظ القران والله تعالى اعلم حدثني بالافراد عبد الله بن محمد هو
المعروف بالمسندي قال حدثنا عبد الرزاق اي ابن همام الصنعاني اليماني
عن معمر هو ابن راشد عن همام بن منبه الانباري الصنعاني اخي وهب
بن منبه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم انه خلق
الله آدم وطوله ستون ذراعا الواو للحال قال ابن التين المراد ذراعنا
لان ذراع كل واحد مثل ربعه ولو كانت بذراعه لكانت يده قصيرة في
جنب طول جسمه كالاصبع والظفر وقال الحافظ العسقلاني يحتمل ان يريد
بقدر ذراع نفسه ويحتمل ان يريد بقدر الذراع المتعارف يومئذ عند
المخاطبين والاول اظهر لان ذراع كل احد بقدر ربعه فلو كان الذراع
المعهود لكانت يده قصيرة في جنب طول جسده انتهى فتامل في التوفيق
بين كلام الحافظ العسقلاني وبين كلام ابن التين وقال القرطبي ان

الله يعيد اهل الجنة الى خلقة الاصلى الذى هو ادم عليه السلام وعلى صفته
وطوله الذى خلقه الله عليه فى الجنة وكان طوله فيها ستين ذراعا فى الارتفاع
بذراع نفسه قال ويحتمل ان يكون هذا الذرع مقدرا بذرعنا المتعارفة
عندنا وقيل انه كان يقارب اعلى السما وان الملائكة كانت تتأذى بنفسه
فخففه الى ستين ذراعا وظاهر الحديث خلافه وروى ابن جرير من
حديث عطا بن ابى رباح قال لما اهبط الله آدم من الجنة كانت رجلاه فى
الارض وراسه فى السما يسمع كلام اهل السما ودعاهم ويانس اليهم فهابته
الملائكة حتى شكت الى الله ذلك فى دعائها فخفضه الله الى الارض قاله قتادة
وابو صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما وابو يحيى القتات عن مجاهد
عن ابن عباس رضى الله عنهما واخرجه ابن ابى شيبة فى كتاب العرش
من حديث طلحة بن عمرو الحضرمى عن ابن عباس رضى الله عنهما وروى
احمد من حديث سعيد بن المسيب عن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا
كان طول ادم عليه السلام ستين ذراعا فى سبعة اذرع قال ابى حفظ
العقيلى واما ما روى عبد الرزاق من وجه اخر موقوفا ان ادم عليه
السلام لما اهبط كانت رجلاه فى الارض وراسه فى السما فحطه الله الى ستين
ذراعا فظاهره انه كان مفرط الطول فى ابتداء خلقه وظاهر الحديث
الصحيح انه خلق فى الابتداء الامر على طول ستين ذراعا وهو المعتمد وروى
ابن ابى حاتم باسناد حسن عن ابى كعب رضى الله عنه مرفوعا ان الله
خلق ادم رجلا طوالا كثير شعر الراس كانه نخلة سحوق ثم قال اذهب
فسلم على اولئك الملائكة وهذا هو اول مشروعية السلام وهو دال على تاكده
وافاده بسبب المحبة الدينية ودخول الجنة العلية وقد قيل بوجوبه
حكاه القرطبى ويوخذ منه ان الوارد على جلوس يسلم عليهم والافضل
بتعريفه فان نكره جاز فاستمع ما يحيونك به من التحية ويروى ما يجيبونك
من الاجابة تحيتك بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى هذا تحيتك
وتحية ذريتك اى من بعدك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك

ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فيه الزيادة فى الرد على الابتداء وان يشترط
فى الرد ان يقال باللفظ فكل من يدخل على صورة ادم اى كل من يدخل
الله تعالى الجنة يدخلها وهو على صورة ادم وصفته فى الحسن والجمال
ولا يدخل على صورته التى كان عليها من السواد ان كان من اهل
الدنيا السود ولا يدخل ايضا على صورته التى كان عليها بوصف
من العاهات والنقائص وزاد عبد الرزاق فى روايته هنا وطوله ستون
ذراعا واثبات الواو فيه لئلا يتوهم ان قوله طوله ستون ذراعا تفسير
لقوله على صورة آدم وعلى هذا فقوله وطوله ستون ذراعا من ذكر
الخاص بعد العام فلم يزل الخلق ينقص اى من طوله حتى الان يعنى
ان كل قرن يكون نشاته فى الطول اقصر من القرن الذى قبله انتهى
تناقص الطول الى هذه الامة واستقر الامر على ذلك وهو معنى قوله
حتى الآن وقال ابن التين قوله فلم يزل الخلق ينقص اى كما يزيد
الشخص شيئا فشيئا ولا يتبين ذلك فيما بين الساعتين واليومين
حتى اذا كثرت الايام تبين فكذلك هذا الحكم فى النقص ويشكل على هذا
ما يوجد الان من اثار الامم السالفة كديار ثمود فان مساكنهم تدل
على ان قاماتهم لم تكن مفرطة الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب السابق
ولاشك ان عهدهم قديم وان الزمان الذى بينهم وبين آدم عليه السلام
دون الزمان الذى بينهم وبين اول هذه الامة والله تعالى اعلم ومطابقة
الحديث للترجمة ظاهرة لا سيما اذا كان المراد بالخليفة فى الاية المذكورة
هو ادم عليه السلام وقد اخرجه البخارى فى الاستئذان ايضا واخرجه مسلم
فى صفة الجنة حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا جرير بفتح الجيم هو ابن
عبد الحميد عن عمارة بضم العين ابن القعقاع عن ابى زرعة بضم
الزاى وسكون الراء واسمه هرم وقيل عبد الله وقيل عبد الرحمن البجلى
الكوفى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله ان اول زمرة
يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذى يلونهم على اشد كوكب

بفتح الهمزة والشين المعجمة وتشديد الدال دري في السماء رضاة لا يبولون
ولا يتغوطون ولا يتفلون وفي الحديث الماضي في باب صفة الجنة ولا
يمتخطون بدل قوله لا يتفلون ولا يمتخطون امشاطهم الذهب ورشحهم
المسك ومجامرهم الالوة بفتح الهمزة وضمها وبضم اللام وتشديد الواو
الانجوج بفتح الهمزة وسكون النون وضم الجيم وفي اخره جيم اخرى وفي رواية ابي ذر
ويقال الالنجوج بفتح الهمزة واللام وسكون النون والباقي مثل الاول
وقال الكرماني وفيه لغات اخر يلنجج ويلنجوج فلفظ الانجوج تفسير الالوة
وقوله عود الطيب اي العود الذي يتبخر به تفسير الانجوج فيكون تفسير
التفسير وازواجهم الحور العين على خلق رجل واحد بفتح الخاء لا بضمها
هكذا قال الحافظ العسقلاني وقال العيني تبعا للكرماني بفتح الخاء وضمها
وهو خبر مبتدأ محذوف اي هم على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم
وقال في الاول على صورة القمر والتوفيق بينهما ان الكل على صورة
آدم في الطول والخلقة وبعضهم في الحسن كصورة القمر نورا واشراقا
ويقال الزمرة الاولى هم على صورة القمر وغيرهم على خلق واحد فانهم
ستون ذراعا في السماء اي في العلو والارتفاع ويسمى كل ما علاك سماء
والحديث قد مضى في باب ما جاء في صفة الجنة ومطابقته للترجمة في قوله
على صورة ابيهم آدم حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى هو ابن سعيد
القطان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ابي سلمة عن
ام سلمة عن ام سلمة هي هند بنت ابي امية عن ام سليم هي ام انس
رضي الله عنه قالت يا رسول الله ان الله لا يستحيي من الحق فهل على المراة
الغسل اذا احتلمت قال نعم اذا رأت الماء فضحكت ام سلمة فقالت تحتلم
المراة في معنى الاستفهام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبما يشبه
الولد ويروى فبم بدون الالف اي لولا ان لها نطفة وماء فباي شيء
يشبهها ولدها وقد مضى الحديث في كتاب الغسل ومطابقته للترجمة
في قوله فبما يشبه الولد حدثنا محمد بن سلام بتخفيف اللام قال اخبرنا الفزاري

بفتح الفاء وتخفيف الزاي وبالراء هو مروان بن معاوية عن حميد عن
انس رضي الله عنه انه قال بلغ عبد الله بن سلام نصب على انه مفعول بلغ
وقوله مقدم النبي صلى الله عليه وسلم مرفوع على الفاعلية وهو مصدر ميمي
بمعنى القدوم المدينة نصب على الظرفية فاتاه فقال اني سائلك عن
ثلاث اي عن ثلاث مسائل لا يعلمهن الا نبي قال ما اول اشراط الساعة
اي علاماتها وهو جمع شرط بفتح الراء وسميت شرط السلطان لانهم جعلوا لانفسهم
علامات يعرفون بها هكذا قال ابو عبيد وحكى الخطابي عن بعض اهل اللغة
انه انكر هذا التفسير وقال اشراط الساعة ما ينكره الناس من صغار امورها
قبل ان تقوم الساعة وشرط السلطان نخبة اصحابه الذين يقدمهم على
غيرهم من جنده وقال ابن الاعرابي هم الشرط والنسبة شرطي والشرطة
والنسبة اليهم شرطي وفي دلائل النبوة للبيهقي سأله عن السواد الذي
في القمر بدل اشراط الساعة وفي اخره لما قالت اليهود ما قالوا في ابن سلام
ثانيا بعد الاولى قال صلى الله عليه وسلم اخبرنا الشهادة الاولى واما
هذه فلا وما اول طعام ياكله اهل الجنة ومن اي شيء ينزع الولد الى ابيه اي
يشبه اباه ويذهب اليه ومن اي شيء ينزع الى اخواله فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم خبرني بهن آنفا جبرئيل قال فقال عبد الله ذاك عدو اليهود
من الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط الساعة
فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة
كبد حوت زيادة الكبد هي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد وهي اطيبه
وهي في غاية اللذة وقيل هي اهنأ طعام وامرأه واما الشبه في الولد فان
الرجل اذا غشي المراة اي اذا جامعها فسبقها ماؤه كان الشبه له واذا سبق
ماؤها كان الشبه لها قال اشهد انك رسول الله ثم قال يا رسول الله ان
اليهود قوم بهت بضم الباء الموحدة وبضم الهاء وسكونها جمع بهوت وهو
كثير البهتان ويقال بهت اي كذابون ممارون لا يرجعون الى الحق
ان علموا باسلامي قبل ان تسألهم بهتوني عندك فجاءت اليهود ودخل

عبد الله البيت فقالوا أعلمنا وابن أعلمنا وأخيرنا وابن أخيرنا أفعل
التفضيل من الخير وهذا دليل من قال إن أفعل التفضيل من الخير قد يستعمل
بلفظ الأخير ويروى أخبرنا بالباء الموحدة بدل الياء التحتانية من الخبرة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرأيتم إن أسلم عبد الله قالوا أعاذه
الله من ذلك فخرج عبد الله إليهم فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن
محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه ومطابقته للحديث
للترجمة تؤخذ من قوله وأما الشبه إلى قوله كان الشبه لها لأنه في الذرية والترجمة
في خلق آدم وذريته حدثنا بشر بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة
بن محمد أبو محمد المروزي قال أخبرنا عبد الله هو ابن مبارك المروزي
قال أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم نحوه قال الحافظ العسقلاني لم يسبق للمتن المذكور طريق
يعود عليها هذا الضمير فكأنه يشير به إلى أن اللفظ الذي حدثه به شيخه
هو بمعنى اللفظ الذي ساقه وتعقبه العيني بأنه ما فيه كفاية للمقصود ولا له
التئام من جهة المعنى والتركيب لأن الذي يذوق دقائق التراكيب لا
يرضى بهذا الذي ذكره بل الظاهر أن ههنا وقع سقوط جملة لأن لفظة
نحوه أو مثله لا يذكر إلا إذا مضى حديث بسند ومتن ثم إذا أريد إعادته
بذكر سند آخر يذكر سنده ويذكر عقيبه لفظ نحوه مذكورا ولا يعاد ذكر المتن
اكتفاء بذكر السند فقط لأن لفظ نحوه ينبئ عن ذلك والذي يظهر لي بالحدس
أن البخاري روى قبل هذا عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن
همام عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا
بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها
الدهر ثم رواه عن بشر بن محمد عن عبد الله عن معمر عن همام عن أبي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال نحوه أي نحو الحديث
المذكور ثم فسر ذلك بقوله يعني لولا بنو إسرائيل إلى آخره وإنما ذكر لفظ يعني إشارة
إلى أن المتن الذي ذكره عبد الله بن مبارك عن معمر يغاير المتن الذي

رواه عبد الرزاق عن معمر بعض زيادة وهو قوله لم يخبث الطعام
وفي آخره لفظ الدهر وسياق عند البخاري هذه الرواية أعني رواية عبد
الرزاق عن معمر بهذا اللفظ في [illegible] عليه الصلاة والسلام يعني
لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم بالخاء المعجمة وكسر النون وبالزاي أي لم ينتن
ويقال أيضا خنز بكسر النون يخنز بفتحها من باب علم يعلم والأول من
من باب ضرب يضرب والخنز التغير والنتن ويقال خزن يخزن على القلب
مثل جذب وجبذ وقال ابن سيده خنز اللحم والتمر والجوز خنوزا فهو خنز إذا
فسد وعن قتادة كان المن والسلوى يسقط على بني إسرائيل من طلوع
الفجر إلى طلوع الشمس كسقوط الثلج فيؤخذ منه بقدر ما يغني ذلك اليوم
إلا يوم الجمعة فإنهم يأخذون له وللسبت فإن أخذوا أكثر من ذلك فسد
ما ادخروا فكان ادخارهم فساد الأطعمة عليهم وعلى غيرهم وقيل لما
نزلت المائدة عليهم أمروا أن لا يدخروا فادخروا وقيل يحتمل أن يكون من
اعتدائهم في السبت وقيل كان سببه أنهم أمروا بترك ادخار السلوى فادخروه
حتى أنتن فاستمر نتن اللحوم من ذلك الوقت أو لما صار الماء في أفواههم
دما وإذ منشؤوا بذلك سرى ذلك النتن إلى اللحم وغيره عقوبة لهم وفي الحلية
لأبي نعيم عن وهب بن منبه قال وجدت في بعض الكتب عن الله عز وجل
لولا أني كتبت الفساد على الطعام لخزنه الأغنياء عن الفقراء وقال
القاضي البيضاوي لولا أن بني إسرائيل سنوا ادخار اللحم لما ادخر فلم يخنز
وقيل لم يكن اللحم يخنز حتى منع بنو إسرائيل عن ادخاره فلم ينتهوا عنه
فاختز ما ادخروه عقوبة لهم ولولا حواء بالمد سميت بذلك لأنها أم كل حي
أو لأنها خلقت أم كل حي قبل دخوله الجنة وقيل فيها ومعنى خلقت أخرجت
كما خرج النخلة من النواة ومعنى لولا حواء لم تخن أنثى زوجها أنها دعت
آدم عليه السلام إلى الأكل من الشجرة وذكر الماوردي أنها البر وقيل التين
وقيل الكافور وقيل الكرم وقيل شجرة الخلد التي كانت الملائكة تأكل منها وقال
الحافظ العسقلاني إشارة إلى ما وقع من حواء من تزيينها لآدم الأكل من

الشجرة حتى وقع ذلك فمعنى خيانتها انها قبلت ما زين لها ابليس حتى
زينته لادم ولما كانت هي ام بنات ادم اشبهها بالولادة ونزع العرق
فلا تكاد امراة تسلم من خيانتها زوجها بالفعل او بالقول ومطابقته للحديث
من حيث ان حواء عليها السلام مضاف الى خلق ادم عليه السلام حدثنا
ابو كريب بضم الكاف على صيغة التصغير واسمه محمد بن العلاء وموسى بن
حزام بكسر الحاء المهملة وتخفيف الزاي ابو عمران الترمذي العابد نزل بلخ و
ثقة النسائي وغيره وكان زاهدا عالما بالسنة وليس له في البخاري الا هذا
الموضع قالا حدثنا حسين بن علي اي ابن الوليد ابو عبد الله الجعفي عن زائدة
هو ابن قدامة بضم القاف وتخفيف الدال المهملة ابو الصلت الثقفي عن
ميسرة ضد الميمنة هو ابن عمارة الاشجعي الكوفي وليس له في البخاري سوى
هذا الحديث وقد ذكره في النكاح من وجه اخر وله حديث اخر في تفسير آل عمران
عن ابي حازم بالمهملة والزاي واسمه سلمان الاشجعي الغطفاني عن ابي هريرة
رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء
خيرا اي تواصوا ايها الرجال في حق النساء بالخير ويجوز ان تكون الباء للتعدية
والاستفعال بمعنى الافعال كالاستجابة بمعنى الاجابة قال تعالى فليستجيبوا لي
ويستجيب الذين امنوا وقال البيضاوي الاستيصاء قبول الوصية اي
اوصيكم بهن خيرا فاقبلوا وصيتي فيهن واعملوا بها واصبروا عليهن و
ارفقوا بهن واحسنوا عشرتهن وقال الطيبي السين للطلب مبالغة اي
اطلبوا الوصية من انفسكم في حقهن بخير وقال غيره استفعل على اصله
وهو طلب الفعل فيكون معناه اطلبوا الوصية من غيركم بهن كمن يعود
مريضا فيستحب له ان يحث المريض على الوصية والوصية بالنساء اكد
لضعفهن واحتياجهن الى من يقوم بامرهن فان المراة خلقت من ضلع
بكسر الضاد المعجمة وفتح اللام واحد الضلوع ويجوز تسكين اللام اعوج اي خلقت
كما تخرج النخلة من النواة وفيه اشارة الى ان حواء خلقت من ضلع ادم
الايسر وقيل من ضلعه القصير وجعل مكانه لحم روي ذلك عن عطاء عن ابن

عباس رضي الله عنهما وقال الجوهري كما بين الضلع التي تلي الشاكلة وتسمى الواهنة
وذلك ان الله تعالى لما اسكن ادم الجنة اقام مدة فاستوحش فشكا الى الله
الوحدة فنام فرأى في منامه امراة حسناء ثم انتبه فوجدها جالسة عنده فقال
من انت فقالت حواء خلقني الله لتسكن الي واسكن اليك وقال مجاهد انما
سميت المراة مراة لانها خلقت من المرء وهو ادم عليه السلام وقال مقاتل بن
سليمان نام ادم نومة في الجنة فخلقت حواء من قصيراه من شقه الايمن
من غير ان يتألم ولو تألم لم يعطف رجل على امراة ابدا وقال ابن عباس رضي الله
عنهما لام الله تعالى موضع الضلع لحما وامرأة آدم قال اثاثا بالثاء المثلثة
وهو بالسريانية وتفسيره بالعربية امراة وقال الربيع بن انس خلقت حواء من
طينة ادم عليه السلام واحتج بقوله تعالى هو الذي خلقكم من طين والاول
والاول اصح لقوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وان اعوج شيء
في الضلع اعلاه وقيل فيه دلالة على انها خلقت من ضلعه العليا لا من الضلع
التي تلي الشاكلة كما قال عطاء وفسره الجوهري على ما تقدم انفا وفيه نظر
ظاهر لا يخفى وقال الحافظ العسقلاني فيه اشارة الى ان اعوج ما في المراة لسانها
وفي استعمال اعوج استعمال لافعل في العيوب وهو شاذ وفائدة هذه المقدمة
ان المراة خلقت من ضلع اعوج فلا ينكر اعوجاجها او الاشارة الى انها لا تقبل
الاقامة كما ان الضلع لا تقبلها فان ذهبت تقيمه كسرته قيل هو ضرب مثل
للطلاق اي ان اردت منها ان تترك اعوجاجها افضى الامر الى طلاقها
ويؤيده قوله في رواية الاعرج عن ابي هريرة رضي الله عنه عند مسلم وان ذهبت
تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها وقيل الحديث لم يذكر فيه النساء الا بالتمثيل بالضلع
والاعوجاج الذي في اخلاقهن منه لان الضلع عوجاء فلا يتهيأ الانتفاع
بهن الا بالصبر على اعوجاجهن وقيل الصواب في اعلاه وفي تقيمه وفي كسرته وفي
تركته التانيث لان الضلع مؤنث وكذا يقال لم تزل عوجاء ولهذا جاء في
رواية مسلم المذكورة بهاء التانيث واجيب بان التذكير يجوز في المؤنث
الذي ليس بمزدوج وان تركته لم يزل اعوج ومطابقته الحديث للترجمة من

حيث انه لما كان مشتملا على بعض احوال الناس وهم من ذرية ادم عليه السلام
والترجمة مشتملة على الذرية وقد اخرجه البخاري في النكاح ايضا وكذا اخرجه مسلم
في النكاح والنسائي في عشرة النساء حدثنا عمر بن حفص اي ابن غياث قال
حدثنا ابي هو حفص بن غياث قال حدثنا الاعمش سليمان بن مهران قال
حدثنا زيد بن وهب الجهني هاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يدركه
مات سنة ست وسبعين قال حدثنا عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه
قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان احدكم
يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل
ذلك ثم يبعث الله ملكا باربع كلمات فيكتب عمله واجله ورزقه وشقي ام سعيد
ثم ينفخ فيه الروح فان الرجل ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وفي رواية فيدخل الجنة وان الرجل
ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل
بعمل اهل النار فيدخل النار والحديث قد مضى في باب ذكر الملائكة ومر الكلام فيه
هناك مستوفى ومطابقته للترجمة من حيث ان فيه بيان كيفية خلق بني ادم
ذريته والترجمة في خلق ادم وذريته حدثنا ابو النعمان هو محمد بن الفضل
السدوسي قال حدثنا حماد عن زيد عن عبيد الله بن ابي بكر بن انس عن انس
بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله وكل في الرحم
ملكا فيقول يا رب نطفة يا رب علقة يا رب مضغة فاذا اراد ان يخلقها اي
يصورها بالصورة الانسانية قال يا رب اذكر يا رب انثى يا رب شقي ام سعيد
فما الرزق فما الاجل فيكتب كذلك في بطن امه ولم يذكر في هذه الرواية العمل لانه يعلم
التزاما من ذكر السعادة والشقاوة فان قيل اذا كان الملك موكلا بالرحم فما معنى
البعث في الرواية الاخرى فالجواب هو ملك اخر او المراد بالبعث الامر بها فان
قيل قضاء الله ازلي فما وجه الكتابة حينئذ فالجواب معنى يكتب ليظهر الله ذلك للملك
ويامره بانفاذه وكتابته وقالوا المراد بالذراع التمثيل للقرب من موته ومن
لطف الله تعالى لعباده ان انقلاب الحال من الشر الى الخير كثير واما العكس

فهو في غاية القلة قال رحمته سبقت غضبه حدثنا قيس بن حفص هو ابو
محمد الدارمي البصري مات سنة سبع وعشرين ومائتين وهو من افراده قال
حدثنا خالد بن الحارث اي ابن سليم ابو عثمان الهجيمي البصري قال حدثنا شعبة
اي ابن الحجاج عن ابي عمران عبد الملك بن حبيب الجوني بفتح الجيم وسكون
الواو وبالنون عن انس بن مالك رضي الله عنه يرفعه اي يرفع انس الحديث
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لفظة يستعملها المحدثون في موضع قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك ان الله يقول لاهون اهل النار
عذابا اي لايسر اهلها من حيث العذاب لعل انه ابو طالب لو ان لك ما في
الارض من شيء كنت تفتدي به ويروى اكنت تفتدي به بهمزة الاستفهام
على سبيل الاستخبار وقوله تفتدي من الافتداء وهو خلاص نفسه من الذي
وقع فيه بدفع ما يملكه قال يقول نعم قال فقد سالتك ما هو اهون من هذا
وانت في صلب ادم ان لا تشرك بي فابيت الا الشرك اي امتنعت الا الشرك
ومطابقته للترجمة من حيث ان المذكور فيه من جملة ما يجري من اهل النار
وهم من ذرية ادم عليه السلام وقد اخرجه البخاري في صفة النار ايضا
واخرجه مسلم في التوبة حدثنا عمر بن حفص بن غياث قال حدثنا ابي هو
حفص بن غياث قال حدثنا الاعمش قال حدثني بالافراد عبد الله بن مرة
بضم الميم وتشديد الراء عن مسروق عن عبد الله هو ابن مسعود رضي
الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس على
البناء للمفعول ظلما نصب على التمييز والمراد بالنفس نفس بني ادم الا كان على
ابن ادم الاول هو ادم النبي عليه الصلوة والسلام كفل بكسر الكاف وسكون
الفاء وهو النصيب والجزء وقال الخليل الكفل من الاجر والاثم هو الضعف
وفي التنزيل من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة
سيئة يكن له كفل منها واما قوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته فنقله من ثعلب
الخبر من دمها لانه اي لان ابن ادم الاول اول من سن القتل اي على
وجه الارض من بني ادم فان قيل قال الله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى

او اجيب بان هذا اجزاء تاسيس وهو فعل لغيره ثم ان المراد من الابن هنا
هو قابيل وقد قتل اخاه هابيل وكان عمره عشرين سنة وعمر قابيل خمسة
وعشرين سنة وقال الطبري واهل العلم مختلفون في اسم القاتل فبعضهم
يقول هو قين بن ادم وبعضهم يقول هو قاين بن ادم وبعضهم يقول
هو قابيل وهو المشهور واختلفوا ايضا في سبب قتله هابيل فقال عبد الله
بن عمر ان الله امر ابني ادم ان يقربا قربانا فقرب هابيل اكرم غنمه وكان
صاحب الغنم والضرع وقرب قابيل اردا قمح عنده وكان صاحب الحرث
والزرع فتقبل الله قربان الاول ويروى بينا هما قاعدان اذ قالا لو قربنا
فقربا قربانا فتقبل من احدهما وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان من
شانهما انه لم يكن مسكين يتصدق عليه وانما كان القربان يقربه الرجل
فنزل نار فتاكل القربان المقبول عند الله فنزلت نار فاكلت قربان هابيل
دون قابيل وكان ذلك سبب الشر بينهما وحكى السدي عن اشياخه عن
مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال كانت حواء تلد توأما في كل بطن غلاما وجارية الا شيثا عليه السلام
فانه ولد منفردا فلما كان بعد مائة سنة من هبوط ادم عليه السلام الى الدنيا
ولدت قابيل وتوأمته اقليما ثم هابيل وتوأمته ليوذا وكان ادم عليه
السلام يزوج ابنه اخته التي لم تكن توأمته فلما بلغ قابيل وهابيل امر الله
تعالى ادم عليه السلام يزوج قابيل ليوذا اخت هابيل ويزوج هابيل اقليما
اخت قابيل وكانت من اجمل النساء واحسنهن فلما تعرض قابيل فقال انا
احق باختي فقال ادم عليه السلام قربا قربانا وكان قابيل صاحب زرع
وهابيل صاحب غنم فقرب قابيل صبرة من طعام من اردا زرعه واضمر في
نفسه الرضا بالله تعالى وكان القربان اذا قبل نزل من السماء نار بيضاء فتاكله
فنزلت نار فاكلت قربان هابيل ولم تاكل من قربان قابيل شيئا فحسد قابيل
في نفسه حتى قتل هابيل وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يزل الكبش يرعى
في الجنة حتى فدي به اسمعيل عليه السلام واختلفوا ايضا في اي موضع كان

القربان فعامة العلماء على انه كان بالهند واختلفوا ايضا في كيفية قتله
فقال ابن جريج انه اتاه وهو نائم فلم يدر كيف يقتله فاتاه شيطان متمثلا
فاخذ طيرا فوضع راسه على حجر ثم شدخ راسه بحجر اخر وقابيل ينظر اليه
ففعل بهابيل كذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما رماه بحجر فقتله
وروى مجاهد عنه انه رضخ راسه بصخرة وعن الربيع انه اغتاله فقتله
وقيل خنقه وقيل ضربه بحديدة فقتله واختلفوا ايضا في موضع مصرعه
فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن جبل ثور وعن جعفر الصادق بالبصرة
بمكان الجامع وعن الطبري عن عقبة حراء وعن المسعودي قتله بدمشق
وكذا قاله الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق فقال كان قابيل يسكن خارج
باب الجابية وانه قتل اخاه على جبل قاسيون عند مغارة الدم وقال كعب
الدم الذي على قاسيون هو دم ابن ادم وقال سبط ابن الجوزي والعجب
من هذه الاقوال وقد اتفق ارباب السير ان الوقعة كانت بالهند وان
قابيل اغتنم غيبة ابيه بمكة فما الذي اتى الى جبل ثور وحراء وبها مكة وما الذي
اتى به الى البصرة ولم تكن اسست واين الهند ودمشق او الجابية وهل صنفت
التواريخ الا ليتميز الصحيح والسقيم والسالم والسليم اللهم غفرا وقد روي عن
ابن عباس رضي الله عنه انه قتله على جبل نوذ بالهند هذا هو الصحيح وحكى
الثعلبي عن معاوية بن عمار سالت الصادق اكان ادم عليه السلام يزوج
ابنته من ابنه فقال معاذ الله وانما لما هبط الى الارض ولدت حواء بنتا فسماها
عناقا وهي اول من بغى على وجه الارض فسلط الله عليها من قتلها فولدت
على اثرها قابيل فلما ادرك اظهر الله له جنية يقال لها جمانة فاوحى الله اليه
ان زوجها منه فلما ادرك هابيل اهبط الله من الجنة حوراء اسمها بزلة فاوحى
الله اليه ان زوجها منه فاعترض قابيل على ابيه وقال انا اسن منه وكنت احق
بها فقال يا بني ان الله اوحى الي بذلك فقربا قربانا فكان ما كان فاصبح من النادمين
على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر وتلمذه للغراب
واسود لونه وسخط ولم يندم ندم التائبين على ما قيل روي انه لما قتله

تركه بالعراء لا يدري ما يصنع فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة
حتى اروح اي انتن وعكفت عليه السباع وتحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان
اول ميت من بني ادم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له
بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة ففعل به كذلك وقد روي انه لما قتله
اسود جسده فسأله ادم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته
ولذلك اسود جسدك وتبرأ عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وقيل انه
رثاه بشعر وهو قوله تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح تغير
كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول
ملحون وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر ذكره صاحب الكشاف
والله تعالى اعلم ومطابقة الحديث للترجمة من حيث ان القاتل فيه وهو قابيل
هو ابن ادم من صلبه وهو داخل في الذرية وقد اخرجه البخاري في الديات
وفي الاعتصام ايضا واخرجه مسلم في الحدود والترمذي في العلم والنسائي في التفسير
والمحاربة وابن ماجه في الديات باب بالتنوين الارواح جنود مجندة بيانه
يقول هذا وكذا ثبتت هذه الترجمة في معظم الروايات وهي متعلقة بترجمة
خلق ادم وذريته للاشارة الى انهم ركبوا من الاجسام والارواح قال اي
البخاري وقال الليث هو ابن سعد عن يحيى بن سعيد الانصاري عن عمرة
بنت عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت النبي صلى الله
عليه السلام يقول الارواح جنود مجندة الارواح جمع روح وهو الذي يقوم
به الجسد ويكون به الحياة وقوله جنود مجندة قال النووي معناه جموع مجتمعة
وانواع مختلفة وقيل اي اجناس مجنسة وفي هذا دليل على ان الارواح ليست
باعراض فانها كانت موجودة قبل الاجساد وانها تبقى بعد فناء الاجسام
ويؤيده ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر فما تعارف منها ائتلف قيل
تعارفها موافقة صفاتها التي خلقها الله تعالى عليها وتناسبها في اخلاقها
وقيل انها خلقت مجتمعة ثم فرقت في اجسادها فمن وافق قسيمه الفه ومن
باعده نافره وهذا معنى قوله وما تناكر منها اختلف وقال الخطابي فيه وجهان

احدهما ان يكون اشارة الى معنى التشاكل في الخير والشر وان الخير من
الناس يحن الى شكله والشرير يميل الى نظيره والارواح انما تتعارف بضرائب
طباعها التي جبلت عليها من الخير والشر فاذا اتفقت الاشكال تعارفت
وتالفت واذا اختلفت تنافرت وتناكرت والاخر انه روي ان الله خلق الارواح
قبل الاجساد وكانت تلتقي فلما التبست بالاجسام تعارفت بالذكر الاول
فصار كل منها انما يعرف وينكر على ما سبق له من العهد المتقدم وقال ابن
الجوزي اذا وجد احدكم من نفسه نفرة ممن له فضيلة او صلاح فليفتش عن
الموجب لها فانه ينكشف له فيتعين عليه ان يسعى في ازالة ذلك حتى
يتخلص من ذلك الوصف المذموم وكذلك القول اذا وجد في نفسه ميلا
الى من فيه شر وشبهة وشاع في كلام الناس قولهم المناسبة تؤلف بين
الاشخاص والشكل يالف شكله وعن عمرة قالت كانت بمكة امراة مزاحة
فنزلت على امراة مثلها بالمدينة فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول الارواح جنود مجندة الحديث
ذكره ابو يعلى في مسنده ولما نزل علي بن ابي طالب رضي الله عنه على الكوفة
قال يا اهل الكوفة قد علمنا خياركم من شراركم فقالوا لم ذلك قال كان
معنا ناس من الاخيار فنزلوا عند ناس فعلمنا انهم من الاخيار وكان
معنا ناس من الاشرار فنزلوا عند ناس فعلمنا انهم من الاشرار وكان
كما قال الشاعر ؛ عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ؛ فكل قرين بالمقارن
يقتدي ؛ وهذا التعليق وصله البخاري في الادب المفرد عن عبد الله
بن صالح عن الليث ووصله الاسماعيلي من طريق سعيد بن ابي مريم
عن يحيى بن ايوب وقد رواه مسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه
قال حدثنا قتيبة بن سعيد نا عبد العزيز يعني ابن محمد عن سهيل عن
ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الارواح جنود مجندة الحديث مطابقة للترجمة ظاهرة واما وجه مناسبة
الترجمة لكتاب الانبياء عليهم السلام فلعله هو الاشارة الى ان ادم

وذريته مركب من الروح والبدن (وقال يحيى بن ايوب) هو الغافقي المصري
(حدثني يحيى بن سعيد) هو الذي مضى عقيب (هذا) اي بمثل هذا الحديث
وهذا وصله الاسماعيلي من طريق سعيد بن ابي مريم عن يحيى بن ايوب كما نبهت
عليه (فائدة) اورد البخاري هذا الحديث من طريقين بلا اسناد لان عبد الله
بن صالح ليس من شرط هذا الكتاب ولا يحيى بن ايوب في الاصول انما اخرج
له البخاري في الاستشهاد وللمتن شاهد من حديث ابي هريرة رضي الله عنه
عند مسلم كما ذكرناه (تتمة) قال القرطبي الارواح وان اتفقت في كونها ارواحا
لكنها تتمايز بامور مختلفة تتنوع بها فتتشاكل اشخاص النوع الواحد و
تتناسب بسبب ما اجتمعت فيه من المعنى الخاص لذلك النوع للمناسبة
ولذلك نشاهد اشخاص كل نوع تالف نوعها وتنفر من مخالفها ثم انا نجد
بعض اشخاص النوع الواحد تتالف وبعضها تتنافر وذلك بحسب الامور
التي يحصل الاتفاق والانفراد بسببها والله تعالى اعلم (باب قول الله تعالى
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه) اي هذا باب معقود في قول الله عز وجل ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه كذا في رواية ابي ذر وليونيده وما وقع في الترجمة من
شرح الكلمات الاتي في سورة هود ونوح ابن لمك بفتح اللام
وسكون الميم بعدها كاف وقيل لمك بفتحتين وقيل لامك بفتح
الميم وكسرها ويقال انه بالعبرانية لامخ بفتح الميم وآخره خاء معجمة
وبالعربية لمك وبالسريانية لمخ وتفسيره المتواضع ويقال لمكان و
يقال ملكان بتقديم الميم على اللام وقال السهيلي ولمك وهو اول من
اتخذ العود للغناء واتخذ مصانع الماء وهو ابن متوشلخ بضم الميم
وقيل بفتحها وضم التاء المثناة الفوقية المشددة وسكون الواو وفتح
الشين المعجمة واللام وآخره خاء معجمة كذا ضبطه ابن المصري وضبطه ابو
العباس عبد الله بن محمد الناشي بضم الميم وفتح التاء والواو وسكون
الشين وكسر اللام وبالخاء المعجمة وقال السهيلي بضم الميم وفتح التاء وسكون
الواو ومنهم من ضبط آخره بالحاء المهملة ومعناه في الكلمات الرسول

لان اباه كان رسولا وهو خنوخ بفتح الخاء المعجمة وضم النون وسكون
الواو وآخره خاء معجمة اخرى ويقال بالحاء المهملة في اوله ويقال بالمهملتين
ويقال اخنوخ بزيادة همزة في اوله ويقال اخنخ باسقاط الواو ويقال
اهنخ بالهاء بعد الهمزة ومعناه على الاختلاف بالعربية ادريس سمي
به عليه السلام لكثرة درسه الكتب وصحف آدم وشيث عليهما السلام
وادرك من حيوة آدم ثلثمائة سنة وثمان سنين وهو ابن يارد
بالمثناة التحتية وفتح الراء كذا ضبطه ابو عمر وكذا ضبطه النسابة الجواني
الا انه قال بالذال المعجمة وقيل يرد بفتح الياء وسكون الراء وقال ابن
هشام اسمه في التورية يارد وهو عبراني وتفسيره ضابط واسمه في
الانجيل بالسريانية يرد وتفسيره بالعربي ضبط وقيل اسمه رائد ولم
يثبت وهو ابن مهلائيل بفتح الميم وسكون الهاء وبالهمزة وقد يقال
بالياء بلا همزة ومعناه الممدوح وقال ابن هشام مهاييل بفتح الميم و
سكون الهاء وكسر اللام وهو اسم عبراني وتفسيره بالعربية ممدوح وقال
السهيلي واسمه بالسريانية في الانجيل نابل بالنون والباء الموحدة وتفسيره
بالعربية سبح الله وفي زمنه كان بدء عبادة الاصنام وهو ابن قينان
بفتح القاف وسكون المثناة التحتية وبالنونين بينهما الف ومعناه
المستولي وجاء فيه قينن وقانن واسمه في الانجيل ماقيان وتفسيره
بالعربية عيسى وهو ابن انوش بفتح الهمزة الممدودة وضم النون
وآخره شين معجمة ومعناه الصادق ويقال ويقال ايانش بكسر
الهمزة وهو في اللغة العبرانية وتفسيره بالعربية الانس ويقال يانش
بالمثناة التحتية ومعناه المتوفي وهو ابن شيث بكسر الشين المعجمة
وسكون المثناة التحتية وآخره ثاء مثلثة ومعناه هبة الله ويقال
عطية الله وهذا اسمه بالعبرانية وبالسريانية شاث بالالف موضع
الياء وتوفي شيث عليه السلام وعمره تسعمائة سنة واثنتي عشرة
سنة ودفن مع ابويه آدم وحواء عليهما السلام في غار ابي قبيس

وهو الذي بنى الكعبة بالطين والحجارة وكانت هناك خيمة لادم عليه السلام وضعها الله له من الجنة وكان ابوا نوح عليه السلام مومنين واسم امه قينوش بنت بركائيل بن محوائيل بن خنوخ وذكر الزمخشري ان ام نوح شمخى بنت انوش وارسل الله نوحا عليه السلام الى ولد قابيل ومن تابعهم من ولد شيث وهو ابن خمسين سنة وقيل ابن ثلثمائة وخمسين سنة وقيل ابن ثمانين واربعمائة سنة واختلفوا في مقامه على قولين احدهما بالهند قال محي هذا والثاني بارض بابل والكوفة قاله الحسن البصري وقال ابن جرير كان مولده بعد وفاة ادم عليه السلام بمائة سنة وست وعشرين وقال مقاتل بينه وبين ادم الف سنة وصحح ابن حبان من حديث ابي امامة رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله انبي كان ادم قال نعم قال فكم كان بينه وبين نوح قال عشرة قرون وبينه وبين ادريس عليهما السلام مائة سنة وهو اول من نبي بعد ادريس عليه السلام وقال مقاتل اسمه السكن وقيل ساكن وقال السدي انما سمي سكنا لان الارض سكنت به وقيل اسمه عبد الغفار ذكره الطبري وسمي نوحا لكثرة نوحه وبكائه ويقال ان الله تعالى اوحى اليه لم تنوح بكائه فسمي نوحا ويقال انه نظر يوما الى كلب قبيح المنظر فقال ما اقبح صورة هذا الكلب فانطقه الله عز وجل وقال يا سكن على من عبت على النقش او على النقاش فان كان على النقش فلو كان خلقه بيدي حسنته وان كان على النقاش فالعيب عليه اعتراض في ملكه فعلم ان الله تعالى انطقه فناح على نفسه وبكى اربعين سنة قاله السدي عن اشياخه ومات نوح عليه السلام وعمره الف سنة و اربعمائة سنة قاله ابن الجوزي في كتاب اعمار الاعيان وقيل الف وثلثمائة وقيل الف وتسعمائة وثمانين سنة وقيل ان مدة عمره الف سنة الا خمسين عاما بعد البعثة وبعد الغرق فالله اعلم وقيل انه عاش بعد الطوفان ثلثمائة سنة وخمسين قيل انه مات بقرية الثمانين وهي

القرية التي بناها عند الجودي الذي ارسيت عليه السفينة وهي تقرب موصل بالشرق حكاه ابن مأمون قال ابن اسحق مات بالهند على جبل برد وقيل بمكة وقال عبد الرحمن بن سابط قبر هود وصالح وشعيب ونوح عليهم السلام بين زمزم والركن والمقام وقيل مات ببابل و قيل ببلد بعلبك في البقاع قرية يقال لها الكرك فيها قبر يقال له قبر نوح ويعرف الان بكرك نوح عليه السلام وقال ابن كثير واما قبره فروى ابن جرير والازرقي انه في المسجد الحرام وهذا اقوى واثبت من الذي ذكره كثير من المتاخرين من انه ببلدة بالبقاع تعرف بكرك نوح وقالوا ذكره الله في القران في مواضع فقيل في ثمانية وعشرين منها ما ذكره البخاري من قوله باب قول الله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه والاية في سورة هود قال الله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم بكسر الهمزة على ارادة القول وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي بفتح الهمزة اي باني لكم نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول مبين ويجوز ان يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم وهي في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب على طريقة جد جده ونهارك صائم للمبالغة وانما ذكر البخاري قصة نوح عليه السلام بعد قصة ادم عليه السلام فانه اول رسول بعثه الله الى اهل الارض من بعد ادم عليه السلام وقال اسحق لم يلق نبي من قومه من الاذى ما لقيه نوح عليه السلام الا نبي قتل قال ابن عباس رضي الله عنهما بادي الراي ما ظهر لنا ووصله ابن ابي حاتم من طريق عطاء عنه اي اول النظر قبل التامل وهذا اشارة الى ما في قوله تعالى في سورة الصفا عقيب الاية الاولى فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك

الا الذين هم اراذلنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم
كالاكبر او جمع ارذل جمع رذل بادي الراي ظاهر الراي من غير تعمق من البداء
وان ابدلته من الهمز لانكسار ما قبلها وقرا ابو عمرو بالهمز وانتصابه بالظرفية
على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الراي والعامل فيه اتبعك
وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة الدنيا
كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم علينا اي ما
نرى لك ولمتبعك علينا من فضل يوهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة
بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك
فغلب المخاطب على الغائبين اقلعي امسكي اشار به الى ما في قوله تعالى
في سورة هود اليها وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وفسر اقلعي
بقوله امسكي وكذا رواه علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما
وصله ابن ابي حاتم قال القاضي نودي بما ينادي به اولوا العلم وامر بما
يومرون به تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر
المطاع الذي يامر المنقاد الحكيم المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته
وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وعن
الكف عنه وفار التنور نبع الماء اشار به الى ما في قوله تعالى حتى اذا جاء
امرنا وهو غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه وحتى
هي التي يبتدا بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء وارتفع كالقدر
يفور والتنور تنور الخبز ابتدا منه النبوع على خرق العادة وكان
في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة
وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع فيها روي انه عليه السلام
اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع و
عرضها خمسين وسمكها ثلثين وجعل لها ثلثة بطون وحمل في اسفلها
الدواب والوحش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير وحمل فيها
اهله غير ابنه كنعان وامراته واعلة وكانا كافرين روي انهم كانوا

تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلثة حام وسام ويافث
ونساؤهم وسبعون رجلا وامراة من غيرهم وروي انه كان اذا اراد
ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست
فكان ما كان وقال عكرمة وجه الارض اي قال عكرمة مولى ابن عباس
رضي الله عنهما التنور وجه الارض كذا رواه ابن جرير من طريق
ابي اسحق الشيباني عن عكرمة في قوله تعالى وفار التنور قال وجه الارض
وقال مجاهد الجودي جبل بالجزيرة اشار الى ما في قوله تعالى وغيض الماء
اي نقص وقضي الامر اي وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء
المومنين واستوت اي استقرت السفينة على الجودي وقد فسره بقوله
جبل بالجزيرة وهي جزيرة ابن عمر في الشرق ما بين دجلة والفرات
وصله ابن ابي حاتم من طريق ابن ابي نجيح عنه وزاد تشامخت
الجبال يوم الغرق وتواضع هو لله تعالى فلم يغرق وارست عليه
سفينة نوح عليه السلام ويقال هو جبل بالموصل ويقال بالشام ويقال
بآمل وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب
وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا
واهبط بهم يوم عاشوراء وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا
وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا عليه السلام صام يوم
الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى فصار فرضا ثم نسخ
فرضيته بفرضية رمضان وبقي صومه سنة مثل داب حال اشار به
الى ما في قوله تعالى مثل داب قوم نوح وفسر الداب بالحال وهو العادة
ايضا وقد وصله الفريابي من طريق مجاهد ايضا باب قول الله تعالى
انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب
اليم الى اخر السورة اي هذا باب في ذكر سورة نوح عليه السلام هي
اثنان وعشرون اية ومائتان واربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وتسعون
حرفا وهذه الترجمة وقعت هكذا بعد قوله باب قول الله عز وجل ولقد

ارسلنا نوحا الى قومه وروايته الاكثرين ولم تقع في رواية ابي ذر الا باب
قول الله عز وجل انا ارسلنا نوحا الى قومه بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا
نوحا الى قومه ان انذر اي بان انذر اي بالانذار فحذف الجار او بان مفسرة
لانذر فحذف الجار والقول ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى
القول وقرئ بغيرها على ارادة القول قومك من قبل ان يأتيهم عذاب
اليم عذاب الآخرة او الطوفان قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا
الله واتقوه واطيعون وفي ان تحتمل الوجهان يغفر لكم من ذنوبكم بعض
ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به في الآخرة ويؤخركم
الى اجل مسمى هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة ان اجل الله ان
الاجل الذي قدره اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا جاء الاجل
الاطول لا يؤخر فبادروا في اوقات الامهال والتأخير لو كنتم تعلمون اذ لو كنتم
من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك اي عدم تأخير اجل الله عن وقته المقدر
ولا يلزم من الشك فيه الشك في موت نفسه وفيه انهم لانهماكهم في حب
الحيوة شاكون في الموت فان قيل كيف يؤخركم مع اخباره بامتناع تأخير
الاجل فالجواب انه قد سبق في ضمن التفسير الاشارة الى جواب هذا الاشتباه
والتوضيح انه قضى الله تعالى مثلا ان قوم نوح ان امنوا عمرهم الف سنة وان
بقوا على كفرهم اهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم امنوا يؤخركم الى اجل مسمى
اي الى وقت سماه الله وضربه امدا تنتهون اليه لا تجاوزونه وهو الوقت
الاطول تمام الالف ثم اخبر انه اذا جاء ذلك الامد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت
ولم يكن لكم حيلة فبادروا في اوقات الامهال والتأخير ومحصله ان الاجل الذي
قدره الله تعالى لا يؤخر فاذا لم تعبدوه لن تتجاوزوا الاجل الاقصر الى الاجل
الاقصى فيكون قوله تعالى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر تعليلا استينافيا
لتعليق تأخيرهم الى الاجل المسمى بعبادة الله تعالى وهو مراد بقوله في التفسير
اذا جاء على الوجه المقدر به ويحتمل ان يكون المعنى ان الاجل الاطول اذا جاء
لا يؤخر فيكون تعليلا لما فهم من تعقيبه التأخير بالاجل المسمى وهو عدم تجاوز

التأخير عنه وهو مراد بقوله في التفسير وقيل اذا جاء الاجل الاطول ولا شك
ان الاول انسب بمرام المقام لتضمنه الوعد والله تعالى اعلم قال رب 17
اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي دائما فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن الايمان
والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم ايمانا واني
كلما دعوتهم الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في آذانهم سدوا
مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني
كراهة النظر الي من فرط كراهة دعوتي او لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير
بصيغة الطلب للمبالغة واصروا اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر
الحمار على العانة اذا صر اذنيه اي سويهما ونصبهما واقبل عليها يكدمها ويطردها
استعير للاقبال على المعاصي والاكباب عليها واستكبروا عن اتباعي استكبارا
عظيما ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم
مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على وجه امكنني ثم لتفاوت الوجوه فان الجهار
اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد فعل صلى الله عليه وسلم
كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالاهون والترقي
في الاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما
لم يؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان او للتراخي بعضها عن بعض وجهارا
نصب على المصدر لانه احد نوعي الدعاء او صفة مصدر محذوف بمعنى
دعاء جهارا اي مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا فقلت استغفروا ربكم
بالتوبة عن الكفر انه كان غفارا للتائبين وكانهم لما امرهم بالعبادة قالوا
ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من
عصيناه فامرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه
ما هو اوقع في قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله
عنهم القطر اربعين سنة وقيل سبعين واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك
على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقا

وعن عمر رضي الله عنه انه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك
استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر والمجدح كوكب
كان يكثر المطر عند طلوعه اكثر ما يكون عند طلوع سائر الكواكب وعن الحسن
ان رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفروا الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة
النسل وآخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح
اتاك رجال يشكون ويسألون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآية
والسماء تحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدر ويستوي في هذا البناء المذكر
والمؤنث ويمداد بالجنات البساتين مالكم لا ترجون لله وقارا لا تاملون
له توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونوا على حال تاملون فيها تعظيمه
اياكم ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة
فتخافوا عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة
وقد خلقكم اطوارا حال مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء فانه
خلقهم اطوارا اي تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذي الانسان
ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشاهم خلقا
آخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه
تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال
الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا اي في السموات
وهو في السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس سراجا
شبهها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله والله
انبتكم من الارض نباتا انشاكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه ادل على الحدوث
والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة
الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا بالحشر واكده بالمصدر كما اكد
به الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لا محالة والله جعل لكم
الارض بساطا لتسلكوا تتقلبون عليها منها سبلا فجاجا واسعة جمع فج
ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم به

واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا واتبعوا رؤساءهم البطرين
باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في
الآخرة وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم باموال واولاد ادت بهم
الى الخسار ومكروا عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا كبيرا
في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش
الناس على اذى نوح وقالوا لا تذرن آلهتكم اي عبادتها ولا تذرن ودا
ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء
رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال
الزمان عبدوا وقيل للهذيل وقيل كانوا من اولاد آدم فقال ابليس لمن
بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات اولئك
قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقد انتقلت الى العرب وكان
ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل
انتقلت اسماؤها اذ يبعد بقاء اعيان تلك الاصنام كيف وقد خربت
في زمن الطوفان ولم يصنعها نوح عليه السلام في السفينة لانه بعث لنفيها
وابطالها وروي انه كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث
على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقد اضلوا
كثيرا الضمير للرؤساء او الاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين
الا ضلالا عطف على رب انهم عصوني ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج
مكرهم ومصالح دنياهم لا في امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين
في ضلال وسعر مما خطيئاتهم من اجل خطيئاتهم وما مزيدة للتاكيد والتفخيم
اغرقوا فادخلوا نارا والمراد عذاب القبر او عذاب الآخرة لعدم الاعتداد
بما بين الاغراق والادخال او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى
عنه لفقد شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران
فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض لهم باتخاذ آلهة من دون الله
لا تقدر على نصرهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا

اي احد او بهز مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار
ففعل به ما فعل باصل سيد اي فيعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا
عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرا احوالهم الف سنة
الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم وكان الرجل منهم ينطلق بابنه اليه
ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي حذرني منه فيموت الكبير وينشا الصغير
على ذلك وقد اخبره الله عز وجل انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن رب
اغفر لي ولوالدي لمك بن متوشلخ وشمخى بنت انوش وكانا مؤمنين و
لمن دخل بيتي منزلي او مسجدي او سفينتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات الى
يوم القيمة ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا واتل عليهم نبا نوح اذ قال لقومه يا
قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله الى قوله من المسلمين هذه
الاية ليست بموجودة في الكتب عند اكثر الاصول وهي في سورة يونس عليه السلام
قال الله تعالى واتل عليهم نبا نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه اذ قال لقومه
يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا
لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري
اياكم بايات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم
اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان
يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف مضاف اي وامر شركائكم وقيل
انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركائكم وقد قرئ فاجمعوا من
الجمع ومعنى امرهم بالعزم والاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه على اي وجه
يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاتهم ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا و
اجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غمة
اذا اهلكتموني وتخلصتم عن ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا ادوا الي ذلك
الامر الذي تريدون وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم وابرزوا الي من
افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلوني فان توليتم اعرضتم عن تذكيري
فما سالتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني

لتوليكم ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم
امنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف
امره ولا ارجو غيره حدثنا عبدان هو لقب عبد الله بن عثمان وقد تكرر
ذكره قال اخبرنا عبد الله هو ابن المبارك عن يونس هو ابن يزيد عن
الزهري انه قال قال سالم هو ابن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم وقال ابن
عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله
بما هو اهله ثم ذكر الدجال يعني بعد الفراغ من خطبته والدجال من ابنية
المبالغة لكثرة الكذب فيه وهو من الدجل وهو الخلط والتلبيس والتمويه فقال
اني لانذركموه ويروى لمنذركموه من الانذار وهو التخويف وقد اكدت
هذه الجملة بكلمة ان واللام وكون الجملة اسمية وما من نبي الا انذره قومه لقد
انذر نوح قومه انما خصه بعد التعميم اما لانه اول من انذر قومه وهددهم
بخلاف من سبق عليه فانهم كانوا في الارشاد بمنزلة تربية الاباء للاولاد و
اما لانه اول الرسل المشرعين المذكورين في قوله تعالى شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا واما لانه ابو البشر الثاني وذريته هم الباقون في الدنيا لا
غيرهم ولكني اقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون انه اعور وقد ورد
فيه كلمات متنافرة ورد انه اعور وفي رواية انها طافئة وفي اخرى انه جاحظ
العين كانها كوكب وفي اخرى انها ليست بناتئة وفي اخرى انه اعور العين
اليمنى وفي اخرى اعور العين اليسرى وفي حديث حذيفة رضي الله عنه
انه ممسوح العين عليها ظفرة غليظة ووجه الجمع بين هذه الاوصاف
المتنافرة ان يقدر فيها ان احدى عينيه ذاهبة والاخرى معيبة فيصح ان
يقال لكل واحدة عوراء اذ الاصل في العور العيب وان الله ليس باعور هذا
للتنزيه ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وقد اخرجه البخاري في كتاب
الجنائز في باب اذا اسلم الصبي مطولا بهذا الاسناد بعينه لكن ليس هناك
قوله ثم ذكر الدجال الى اخره حدثنا ابو نعيم بضم النون الفضل بن دكين قال
حدثنا شيبان هو ابن عبد الرحمن النحوي عن يحيى هو ابن ابي كثير عن ابي

سلمة اى ابن عبد الرحمن بن عوف انه قال سمعت ابا هريرة رضى الله عنه قال
قال النبى صلى الله عليه وسلم الا احدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبى
قومه انه اعور وانه يجيء معه بمثال الجنة والنار اى صورتهما ويروى بمثال الجنة
والنار واللفظ بمثال فالتى يقول انها الجنة هى النار وانى انذركم كما انذر به نوح
قومه وجه الشبه فيه الانذار بقيد مجيء بمثال فى صحته والا فالانذار لا يختص
به قال العينى تبعا للكرمانى قلت بل والحديث اخرجه مسلم فى الفتن ومطابقته
للترجمة ظاهرة حدثنا موسى بن اسمعيل التبوذكى قال حدثنا عبد الواحد
بن زياد بكسر الزاى وتخفيف المثناة التحتية قال حدثنا الاعمش عن ابى
صالح ذكوان الزيات عن ابى سعيد سعد بن مالك الخدرى رضى الله عنه
انه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم يجيء نوح وامته فيقول الله تعالى
هل بلغت فيقول نعم اى رب يعنى يا ربى فيقول لامته هل بلغكم فيقولون
لا ما جاءنا من نذير ويروى من نبى فان قيل قال الله تعالى اليوم نختم على افواههم
فكيف يتكلمون بذلك فالجواب ان فى يوم القيمة مواطن موطن يتكلمون
فيه وموطن يسكتون فيقول لنوح من يشهد لك فيقول محمد وامته اى
يشهد محمد وامته فنشهد بنون المتكلم مع الغير انه قد بلغ وهو قوله جل
ذكره وكذلك جعلناكم امة وسطا عدلا وخيارا وهى صفة منقولة من الاسم
الذى هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
لتكونوا شهداء على الناس ثم فسر الوسط بقوله والوسط العدل ويروى
فى الحديث عند غيره قال فيقولون كيف تشهد علينا امة محمد ونحن اول الامم
وهم اخرهم فيقولون نشهد ان الله تعالى بعث الينا رسولا وانزل عليه الكتاب
فكان فيما انزل علينا خبركم ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وقد اخرجه البخارى
فى التفسير والاعتصام ايضا واخرجه الترمذى وكذا النسائى وابن ماجة فى
الزهد حدثنا اسحق بن نصر هو ابن ابراهيم بن نصر ابو ابراهيم السعدى البخارى
وكان ينزل بالمدينة بباب سعد فالبخارى تارة يقول اسحق بن نصر
فينسبه الى ابيه وهو من افراده حدثنا محمد بن عبيد الطنافسى الحنفى الايادى

الاحدب الكوفى قال حدثنا ابو حيان بفتح المهملة وتشديد المثناة التحتية
يحيى بن سعيد بن حيان التيمى عن ابى زرعة بضم الزاى وسكون الراء وبالعين
المهملة واسمه هرم بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلى عن ابى هريرة رضى الله
عنه انه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم فى دعوة بفتح الدال اى فى ضيافة وبكسرها
فى النسب وبضمها فى الحرب فرفع اليه الذراع على البناء للمفعول قال ابن
التين والصواب رفعت وكذا فى الاصول رفعت الا انه جاز فى
المؤنث الذى لا فرج له تذكيره وتانيثه والذراع كذلك ولذلك قال وكانت
تعجبه يعنى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الذراع ويحبها وكانت
محبته لها لنضجها وسرعة استمرائها مع زيادة لذتها وحلاوة مذاقها وبعدها
عن مواضع الاذى فنهش منها نهشة بالاعجام وفى بعض الاصول بالاهمال
وكلاهما صحيح فالنهس بالمهملة الاخذ باطراف الاسنان وبالمعجمة الاخذ
بالاضراس وقال القزاز النهش اخذ اللحم بالاسنان وقيل هو القبض على
اللحم ونثره عند اكله وقال الاصمعى هما واحد وهو اخذ اللحم بالفم وخالفه ابو زيد
فذكر ما ذكرناه وقال انا سيد الناس يوم القيمة اى الذى يفوق قومه والمفزع
اليه فى الشدائد وخص يوم القيمة لارتفاع سودده وتسليم جميعهم له ولكون
ادم وجميع ولده تحت لوائه ذكره القاضى عياض وقال الكرمانى وتقييد سيادته
بيوم القيمة لا ينافى السيادة فى الدنيا انما خصه به لان هذه القصة قصة
يوم القيمة واذا كان هو سيد يوم القيمة وهو اعظم من الدنيا فبالاولى
ان يكون سيدا فى الدنيا ايضا فان قيل قال صلى الله عليه وسلم لا تخيروا بين
الانبياء وقال لا تفضلونى على يونس بن متى عليه السلام فكيف قال ذلك
فالجواب انه كان ذلك قبل اعلامه بسيادة ولد ادم والفضائل لا تنسخ اجماعا
فيبقى القبلية والذى قال فى يونس من باب التواضع وقد قيل ان يمنع
فى ذات النبوة والرسالة فان الانبياء عليهم السلام فيها على حد واحد اذ هى
شيء واحد لا تفاضل فيها وانما التفاضل فى زيادة الاحوال والكرامات والرتب
والالطاف هل تدرون بمن يجمع الله الاولين والاخرين فى صعيد واحد

اى ارض واسعة مستوية فيبصرهم الناظر اى يحيط بهم بصر الناظر
لا يخفى عليه منهم شئ لاستواء الارض وعدم حجاب ويروى فينفذهم البصر
بفتح اليا وبالذال المعجمة على الاكثر ويروى بضم اليا وقال ابو عبيد معناه
ينفذهم بصر الرحمن حتى ياتى عليهم كلهم قال العينى وهو كناية عن استيعابهم
بالعلم والله لا يخفى عليه شئ والصواب قول من قال فيبصر الناظر من الخلق
وعن ابى حاتم انما هو بدال مهملة اى يبلغ اولهم واخرهم وقال ابن الاثير
والصحيح فتح اليا مع الاعجام ويسمعهم بضم اليا من الاسماع الداعى وتدنو
منهم الشمس فيقول بعض الناس الا ترون الى ما انتم فيه الى ما بلغكم بدل
من قوله الى ما انتم فيه الا تنظرون كلمة الا فيهما موضعين للعرض والتخصيص
وهى بفتح الهمزة وتخفيف اللام الا من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض
الناس ابوكم ادم فياتونه فيقولون يا ادم انت ابو البشر خلقك الله بيده
ونفخ فيك من روحه الاضافة الى الله لتعظيم المضاف وتشريفه كقولهم
عبد الخليفة كذا وامر الملائكة فسجدوا لك واسكنك الجنة الا تشفع لنا
الى ربك الا ترى ما نحن فيه وما بلغنا بفتح الغين هو الصحيح لانه تقدم ما بلغكم
ولو كان بسكون الغين لقال بلغهم وقيل بالسكون وله وجه فيقول ربى
غضب اليوم لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله المراد من الغضب
لازمه وهو ارادة ايصال العذاب وقال النووى المراد من غضب الله
ما يظهر من انتقامه فيمن عصاه ما يشاهده اهل الجمع من الاهوال التى لم
يكن ولا يكون مثلها ولا شك انه لم يقع قبل ذلك اليوم مثله ولا يكون
بعده مثله ونهانى عن الشجرة فعصيته نفسى نفسى اى نفسى هى التى تستحق
ان يشفع لها اذا جعلته مبتدا والخبر اذا كانا متحدين فالمراد بعض لوازمه او قوله
نفسى مبتدا والخبر محذوف اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى نوح بيان لقوله اذ
هبوا الى غيرى فياتون نوحا فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل
وانما قالوا له ذلك لانه ادم الثانى او لانه اول رسول هلك قومه او لان ادم
ونحوه خرج بقوله الى اهل الارض لانها لم يكن لها اهل حينئذ او لان رسالته

كانت بمنزلة التربية للاولاد وفى التوضيح قولهم انت اول الرسل الى اهل
الارض هو الصحيح قاله الداودى وروى ان ادم عليه السلام نبى رسول
وقد روى فى ذلك حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
هو نبى وليس برسول وقيل رسول وليس بنبى انتهى وقال ابن بطال
ادم ليس برسول نقله عنه الكرمانى قال العينى الصحيح انه نبى رسول قد نزل
عليه جبريل وانزل عليه صحفا وعلم اولاده الشرايع وقول ابن بطال غير
صحيح واما قول من قال انه رسول وليس بنبى فظاهر الفساد لان كل رسول
نبى ومن لازم الرسالة النبوة انتهى وقال الحافظ العسقلانى اما كونه
اول الرسل فقد استشكل بان ادم كان نبيا وبالضرورة نعلم انه كان على
شريعة من العبادة وان اولاده اخذوا ذلك عنه فعلى هذا فهو رسول
اليهم فيكون هو اول الرسل ويحتمل ان يكون الاولية فى قول اهل الموقف
لنوح عليه السلام مقيدة بقولهم اهل الارض لانه فى زمن ادم لم يكن
للارض اهل او لان رسالة ادم الى اولاده كانت كالتربية للاولاد
واستشكله بعضهم بادريس ولا يرد لانه اختلف فى كونه جد النوح عليه
السلام وسماك الله عبدا شكورا قال تعالى انه كان عبدا شكورا وروى
عبد الرزاق بسند مقطوع ان نوحا عليه السلام كان اذا ذهب الى الغائط
قال الحمد لله الذى رزقنى لذته وابقى فى قوته واذهب عنى اذاه اما ترى بفتح
الهمزة وتخفيف الميم وهى حرف استفتاح بمنزلة الا وكلمة الا بعدها فى
موضعين للعرض والتخصيص الى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول
ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسى
نفسى ائتوا النبى صلى الله عليه وسلم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
بين ذلك بقوله فياتونى اذ اصله فياتوننى حذف نون الجمع بلا جازم ولا
ناصب لغة فاسجد تحت العرش فيقال يا محمد ارفع راسك واشفع
تشفع على البناء للمفعول من التشفيع وهو قبول الشفاعة وسل تعطه
هو على البناء للمفعول ايضا من الاعطاء قال محمد بن عبيد لا احفظ سائره

اي باق في الحديث لانه مطول علم من سائر الآيات وقد بقيها عبرة و حفظ
حتى قال ابن التين وقول النوح ائتوا النبي وهم انما دلهم على ابراهيم عليه
السلام وابراهيم دلهم على موسى عليه السلام وموسى دلهم على عيسى
عليه السلام وعيسى دلهم على نبينا صلى الله عليه وسلم وذكر الغزالي رحمه
الله ان بين اتيانهم من ادم الى نوح عليهما السلام الف سنة وكذا
بين كل نبي حتى يأتوا نبينا صلى الله عليه وسلم قال وارسل يوم القيمة
على منابر والعلماء العاملون على كراسي وهم رؤساء اهل المحشر ومن
يشفع للناس منهم رؤساء اتباع الرسل واول الشفعاء يوم القيمة
نبينا صلى الله عليه وسلم فان قيل روى ابو الزعراء عن ابن مسعود
رضي الله عنه نبيكم رابع اربعة جبريل ثم ابراهيم ثم موسى وعيسى
عليهم السلام ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم فالجواب انه قال البخاري
ابو الزعراء لا يتابع عليه والمشهور المعروف ان نبينا صلى الله عليه
وسلم هو اول شافع ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وقد اخرجه
البخاري في التفسير ايضا واخرجه مسلم في الايمان والترمذي في الزهد
والاطعمة والنسائي في الوليمة والتفسير وابن ماجة في الاطعمة حدثنا
نصر بن علي هو نصر بن علي بن نصر بسكون الصاد المهملة فيهما الجهضمي
الازدي البصري يكنى ابا عمرو قال اخبرنا ابو احمد هو احمد بن عبد الله
بن الزبير بن عمر بن درهم الزبيري عن سفيان هو الثوري عن
ابي اسحق عمرو بن عبد الله السبيعي عن الاسود بن يزيد من الزيادة
النخعي عن عبد الله اي ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قرأ فهل من مدكر واوله قوله تعالى ولقد تركناها آية
فهل من مدكر اي ولقد تركنا السفينة آية اي عبرة حتى نظرت اليها
اوائل هذه الامة نظراؤهم من سفينة كانت بعدها صارت رمادا وقال
قتادة القاها الله بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى
نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر اي متعظ معتبر خائف مثل

عقوبتهم

عقوبتهم فكيف كان عذابي ونذر اي انذاري استفهام تعظيم لما مضى
وتخويف لمن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل قراءة العامة يعني
قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالادغام واهمال الدال كما هو قراءة
المشهورة التي يقرأها السبعة لا بفك الادغام ولا بالمعجمة كما قرئ في
الشواذ وقال الفراء حدثني الكسائي عن اسرائيل والنعزمي عن ابي
اسحق عن الاسود قال قلنا لعبد الله فهل من مذكر او مدكر يعني بالدال
المهملة او بالمعجمة فقال انه قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدال
يعني بالمهملة ومطابقة الحديث للترجمة تؤخذ من قوله تعالى ولقد
تركناها آية فان الضمير راجع الى سفينة نوح عليه السلام وقد اخرجه
البخاري في التفسير وفي احاديث الانبياء ايضا واخرجه مسلم في الصلوة
وابو داود في الحروف والترمذي في القراءات والنسائي في التفسير باب
وان الياس لمن المرسلين هو بكسر الهمزة قطعا ووصلا ابن ياسين
بن العيزار بن هرون كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
وبه قال مقاتل ويقال انه بعث بعد هرون وعن ابن اسحق انه ابن
بشر بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران قيل والياس بقطع
الهمزة اسم عبراني وبوصلها كما هو رواية ابن ذكوان اسم دخله الالف
واللام وكان اسمه ياس وحكى الثعلبي عن ابن مسعود رضي الله
عنه ان الياس هو ادريس كما ان يعقوب هو اسرائيل قال عكرمة
وكذا في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه وان ادريس لمن المرسلين
وكان المصنف رجح عنده كون ادريس ليس من اجداد نوح فلهذا
ذكره بعده وسيأتي ما يتعلق به ان شاء الله تعالى وقيل هو نبي من الانبياء
الذين بعثوا الى بني اسرائيل وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو عم اليسع
وقال آخرون بعثه الله الى بني اسرائيل بعد مهلك حزقيل وقال وهب ان
الله تعالى لمن حزقيل وعظم في بني اسرائيل الاحداث ونسوا ما كان من
عهد الله اليهم حتى نصبوا الاوثان وعبدوها فبعث الله اليهم الياس

رسولا وكان الياس مع ملك من ملوك بني اسرائيل اسمه اجاب
وله امراة اسمها ازبيل وكان يسمع منه ويصدقه وكان بنوا اسرائيل
قد اتخذوا صنما يقال له بعل وقال ابن اسحق سمعت بعض اهل العلم
ما كان بعل الا امراة يعبدونها من دون الله فجعل الياس يدعوهم الى
الله وهم لا يسمعون منه شيئا الا ما كان من ذلك الملك ثم انه قال
ثم انه قال يوما لالياس عليه السلام والله ما ادري ما تدعوا اليه الا باطلا
والله ما ادري فلانا وفلانا فعدد ملوكا مثله من بني اسرائيل
بالشام يعبدون الاوثان الا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويشربون
ينقص دنياهم فاسترجع الياس ثم رفضه وخرج عنه وفعل ذلك
الملك ما فعل اصحابه من عبادة الاوثان فقال الياس اللهم ان بني
اسرائيل قد ابوا الا الكفر فاوحى اليه انا جعلنا امر ارزاقهم بيدك
حتى تكون انت الذي تاذن لهم في ذلك فقال الياس اللهم امسك
عنهم المطر فحبس عنهم ثلث سنين حتى هلكت المواشي والهوام والشجر
ولما دعا عليهم استخفى شفقة على نفسه منهم فكان حيث ما كان وضع
له رزق وكانوا اذا وجدوا ريح الخبز في مكان قالوا لقد دخل الياس
هذا المكان فيطلبونه ويلقى اهل ذلك المنزل منهم شرا ثم انهم استاذنوا
الله في الدعاء لهم فاذن له فجاءهم فقال ان كنتم تحبون ان تعلموا ان الذي
ادعوكم اليه هو الحق وانكم على باطل فاخرجوا اوثانكم وما تعبدون وادعوها
فان استجابوا لكم فهو كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم
على باطل وادعوا الله يفرج عنكم ما انتم فيه قالوا انصفت فخرجوا
باوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم فعرفوا ما هم عليه من الضلال
ثم سألوا الياس الدعاء فدعا ربه فمطروا واب عنهم فحييت
بلادهم فلم ينزعوا ولم يرجعوا واقاموا على اخبث ما كانوا عليه
فدعا الله ان يقبضه فكساه الريش والبسه النور وقطع عنه
لذة المطعم والمشرب فكان انسيا ملكيا ارضيا سماويا يطير مع

الملائكة وذكر الحاكم عن انس رضي الله عنه مصححا انه اجتمع مع سيدنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات وخالفه ابن الجوزي في تصحيحه و
الله تعالى اعلم اذ قال اي اذكر حين قال الياس عليه السلام لقومه الا
تتقون عذاب الله بالايمان به اتدعون بعلا اي اتعبدون بعلا او تطلبون
الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام يعبدونه فلذلك سميت
مدينتهم بعلبك وقال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي البعل الرب
بلغة اهل اليمن وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله
عنهما والمعنى اتدعون بعض البعول اي الاصنام فانهم ارباب على زعمهم
فتنوين بعلا على هذا الوجه للتبعيض قيل وكان من ذهب طوله عشرون
ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه وله اربعمائة سادن جعلوهم
انبياء فكان ابليس يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها
ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وتذرون احسن
الخالقين اي وتتركون عبادته فلا تعبدونه وقد اشار فيه الى ما يقتضي
للانكار المعني بالهمزة ثم صرح بقوله الله ربكم ورب اباءكم الاولين وقرا حمزة والكسائي و
حفص ويعقوب بالنصب على البدل والباقون بالرفع على الاستيناف
فكذبوه اي الياس فانهم لمحضرون في العذاب والنار وانما اطلقه اكتفاء
بالقرينة او لان الاحضار مطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين
من قومه فانهم نجوا من العذاب قال القاضي وهو مستثنى من الواو في
فكذبوه لا من محضرون لفساد المعنى انتهى وذلك لانه يستلزم ان يكون معنى
التكذيب مع كونهم مخلصين لظهور ان ضمير محضرون للمكذبين لكن
يمكن ان يقال لا فساد فيه لان استثناءهم من القوم المحضرين لعدم
تكذيبهم على ما دل عليه التوصيف بالمخلصين لا من المكذبين فالمعنى
واحد والتحقيق ان ضمير محضرون للمكذبين لا للقوم فالفساد ظاهر
وتركنا عليه في الاخرين اي ابقينا ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبياء
والامم الى يوم القيمة سلام على الياسين لغة في الياس مثل اسمعيل

والسميعين وميكائيل وميكائين وادريس وادراسين وسيناء وسينين
ولعل زيادة الياء والنون في السريانية بمعنى واختاره هنا لمراعاة الفواصل
وقيل انه جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين لكن فيه ان العلم اذا جمع
يجب تعريفه باللام او جمع للمنسوب اليه بحذف ياء النسبة كالاعجمين وهو
قليل ملبس وقرا نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة آل الى ياسين
لانها في المصحف مفصولا فيكون ياسين ابا الياس وقيل محمد صلى الله
عليه وسلم او القران او غيره والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله
انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس
وقال ابن عباس رضي الله عنهما هذا الخضر وصله ابن جرير من طريق علي
بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى سلام على ال ياسين
قال هذا الخضر ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم ان الياس
هو ادريس عليه السلام اما قول ابن مسعود رضي الله عنه فوصله عبد بن
حميد وابن ابي حاتم باسناد حسن عنه قال الياس هو ادريس ويعقوب
هو اسرائيل واما قول ابن عباس رضي الله عنهما فوصله جويبر في تفسيره عن
الضحاك عنه واسناده ضعيف ولهذا لم يجزم به البخاري وقد اخذ ابو بكر بن
العربي من هذا ان ادريس لم يكن جد النوح عليه السلام وانما هو من بني اسرائيل
واستدل على ذلك بقوله عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم مرحبا بالنبي
الصالح والاخ الصالح ولو كان من اجداده لقال له كما قال له آدم وابراهيم
عليهما السلام والابن الصالح وهو استدلال جيد الا انه قد يجاب عنه بانه قال
ذلك على سبيل التواضع والتلطف فليس ذلك نصا فيما زعم وقد قال ابن
اسحق في اول السيرة لما ساق النسب الكريم فلما بلغ الى نوح قال ابن لمك بن متوشلخ
بن خنوخ وهو ادريس فيما يزعمون واشار بذلك الى ان هذا القول ماخوذ
من اهل الكتاب وقال الياس هو الخضر والمشهور انه غيره والياس صاحب
البراري والخضر صاحب الجزائر ويجتمعان في كل يوم عرفة بعرفات ويقال
هو من سبط يوشع بن نون بعثه الله تعالى الى اهل بعلبك فكذبوه فاهلكهم

الله تعا

24

الله تعالى بالقحط وقال الله تعالى لالياس سلني اعطك فقال ترفعني اليك
فرفعه الله اليه وجعله ارضيا سماويا انسيا ملكيا يطير مع الملائكة وذلك
القول يؤيد كونه ادريس وان ادريس ليس جد النوح والله اعلم ولعل
المصنف رجح عدم كون ادريس جد النوح عليه السلام وعدم كون
الياس هو ادريس بل هو نبي من الانبياء غير ادريس عليه السلام حيث ذكره
بعدهما فقال باب ذكر ادريس عليه السلام قد سقط هذا الباب في رواية ابي
ذر وهو جد ابي نوح ويقال جد نوح عليه السلام القول الاول اولى من الثاني
لما تقدم انه ابن لمك بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس ولعل الثاني مجاز
لان جد الاب جد ونقل بعضهم الاجماع على انه جد لنوح وفيه نظر لانه ان ثبت
ما قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الياس هو ادريس لزم ان يكون ادريس
من ذرية نوح لا ان نوحا من ذريته لقوله تعالى في سورة الانعام و
نوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان الى ان قال وعيسى والياس
من ذرية نوح سواء قلنا ان الضمير في قوله ومن ذريته لنوح او لابراهيم
لان ابراهيم من ذرية نوح فمن من ذرية ابراهيم فهو من ذرية نوح لا محالة
وذكر ابن اسحق في المبتدأ ان الياس هو ابن نسي بن فنحاص بن العيزار
بن هرون اخي موسى بن عمران والله تعالى اعلم ثم ان هذا القول وهو جد ابي
نوح الى اخره لم يوجد في اكثر الاصول وانما وجد في رواية الحفصي ثم انه قد
اختلف في لفظ ادريس فقيل هو عربي واشتقاقه من الدراسة وقيل له ذلك
لكثرة درسه الصحف وقيل بل سرياني وفي حديث ابي ذر الطويل الذي صححه ابن
حبان ان الياس كان سريانيا ولكن لا يمنع ذلك كون لفظ ادريس عربيا
اذا ثبت ان له اسمين وقول الله تعالى ورفعناه مكانا عليا بالجر عطف
على ذكر ادريس ومعناه رفعنا ادريس مكانا عليا وهو السماء الرابعة وهو مكان
علي بغير شك واستشكل بعضهم بان غيره من الانبياء ارفع مكانا منه وهذا ليس
بشيء لانه لم يذكر انه اعلى من كل احد وقد اجاب ذلك البعض بان المراد انه لم يرفع
الى السماء من هو حي غيره ورد بان عيسى عليه السلام ايضا قد رفع وهو حي وهذا

الا يوجه على القول الصحيح من انه رفع وهو حي واما على قول من ياخذ بظاهر
قوله تعالى اني متوفيك ورافعك فلا يرد لانه مذكور ثم كون ادريس عليه
السلام رفع وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية وقد روى الطبري ان
كعبا قال لابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا ان
ادريس سال صديقا له من الملائكة فحمله بين جناحيه ثم صعد به فلما كان
في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت فقال له اريد ان تعلمني كم بقي من اجل
ادريس قال واين ادريس قال هو معي فقال ان هذا الشيء عجيب امرت ان
اقبض روحه في السماء الرابعة فقلت كيف ذلك وهو في الارض فقبض روحه
فذلك قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وهذا من الاسرائيليات والله اعلم بصحة
ذلك وذكر ابن قتيبة ان ادريس رفع وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة وفي
حديث ابي ذر رضي الله عنه الطويل الذي صححه ابن حبان ان ادريس عليه السلام
كان نبيا رسولا وانه اول من خط بالقلم وذكر ابن اسحق له اوليات كثيرة
منها انه اول من خاط الثياب قال عبدان كذا وقع في اكثر الروايات بصيغة
التعليق ووقع في رواية ابي ذر حدثنا عبدان ووصله الضياء الجوزقي من طريق
محمد بن الليث عن عبد الله بن عثمان وعبدان لقب عبد الله بن عثمان
وقد مر غير مرة قال اخبرنا عبد الله هو ابن المبارك قال اخبرنا يونس
هو ابن يزيد عن الزهري ابن شهاب ح تحويل من اسناد الى اسناد
آخر وحدثنا احمد بن صالح هو ابو جعفر المصري قال حدثنا عنبسة بفتح
العين المهملة وسكون النون وفتح الموحدة وبالسين المهملة هو ابن
خالد قال حدثنا يونس هو عم عنبسة عن ابن شهاب الزهري انه قال
قال انس بن مالك رضي الله عنه كان ابو ذر رضي الله عنه يحدث ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال فرج عن سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج
صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها
في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء فلما جاء الى السماء الدنيا قال
جبريل لخازن السماء افتح قال من هذا قال جبريل قال معك احد قال معي محمد قال

ارسل

ارسل اليه قال نعم قال فافتح فلما علونا السماء الدنيا اذا رجل عن يمينه اسودة
وعن يساره اسودة جمع سواد وهو الشخص فاذا نظر قبل بكسر القاف
وفتح الموحدة اي جانب يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي
الصالح والابن الصالح قلت من هذا يا جبريل قال هذا آدم وهذه الاسودة
عن يمينه وعن شماله نسم بنيه النسم بفتح النون والسين المهملة جمع نسمة
وهي النفس فاهل اليمين منهم اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار
فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى ثم عرج بي جبريل حتى اتى السماء
الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال الاول ففتح قال انس
رضي الله عنه فذكر انه وجد في السموات ادريس وموسى وعيسى وابراهيم
عليهم السلام ولم يثبت كيف منازلهم غير انه قد ذكر انه وجد آدم في السماء
الدنيا وابراهيم في السماء السادسة وقال انس رضي الله عنه فلما مر جبريل بادريس
قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح فقلت من هذا قال هذا ادريس ثم
مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قلت من هذا قال موسى
ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قلت من هذا قال
هذا عيسى ثم مررت بابراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت
من هذا قال هذا ابراهيم وفي رواية اخرى راى في السماء الدنيا آدم وفي الثانية
يحيى وعيسى وفي الثالثة يوسف وفي الرابعة ادريس وفي الخامسة هرون وفي
السادسة موسى وفي السابعة ابراهيم عليهم الصلوة والسلام وكان ابراهيم
عليهم السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور الذي بحيال الكعبة ويدخل كل يوم
سبعون الف ملك فلا يعودون اليه وكذا روي في روضة نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم قال واخبرني ابن حزم بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي هو ابو بكر بن محمد
بن عمرو بن حزم الانصاري ان ابن عباس رضي الله عنهما وابا حبة بفتح
المهملة وتشديد الموحدة وهو المشهور وقال القابسي بالمثناة التحتية
وغلطوه في ذلك وقال الواقدي بالنون واختلف في اسمه فقال ابو زرعة
عامر وقيل عمرو وقيل ثابت وقال الواقدي مالك الانصاري كانا يقولان

قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت اي علوت لمستوى ويروى
بمستوى بفتح الواو اي صعيدا اسمع صريف الاقلام وهو تصويتها حال الكتابة
قال ابن حزم وانس بن مالك رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ففرض
الله على خمسين صلوة فرجعت بذلك حتى امر بموسى فقال موسى ما الذي فرض
ويروى معلوما ومجهولا امتك على قلت فرض عليهم خمسين صلوة قال فراجع
ربك فان امتك لا تطيق ذلك فرجعت فراجعت ربي فوضع شطرها فرجعت
الى موسى فاخبرته فقال ارجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك فرجعت فراجعت
ربي فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي اي لوقوع التخلف فيه فلا
نطمع ان ابدله فرجعت الى موسى فقال ارجع ربك فقلت قد استحييت من
ربي ثم انطلق حتى اتى السدرة المنتهى ويروى حتى الى السدرة ويروى حتى اتى
الى السدرة فغشيها الوان لا ادري ما هي ثم ادخلت على البناء للمفعول
يعني الجنة ويروى باظهار الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ جمع جنبذ وهو القبة
واذا ترابها المسك وقد مر الحديث في اول كتاب الصلوة ومر الكلام فيه
مستوفى ومطابقته للترجمة في قوله فلما مر جبريل بادريس وكذلك في قوله وجد
في السموات ادريس باب قول الله عز وجل والى عاد اخاهم هودا اي بيان
ارسال هود عليه السلام الى قوم عاد وهو هود وهو ابن عبد الله بن رباح بن
خلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قاله قتادة
وقال مجاهد هو ابن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وقيل هو
عبد الله بن خلود الى اخره مثل الاول وقال ابن هشام هود اسمه عابر ويقال
عيبر بن ارفخشذ ويقال الفخشذ ويقال الفخشذ بن سام بن نوح وكان
هود عليه السلام اشبه ولد ادم بادم عليه السلام خلا يوسف وروى عبد بن
حميد من طريق قتادة انه وكانت عاد ثلث عشر قبيلة ينزلون الرمل بالدو
والدهنا وعالج ووبار وبرين وعمان الى حضرموت الى اليمن وكانت ديارهم
اخصب البلاد واكثرها جنانا فلما سخط الله عليهم جعلها مفاوز وكان هود
من قبيلة يقال لهم عاد بن اوس بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام

وهم عاد الاولى وكانوا اعرابا بالسكون في مواضع مذكورة وارسل الله تعالى
هودا عليه السلام اليهم وهو قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا اي وارسلنا الى
عاد اخاهم هودا قال الزمخشري اخاهم واحدا منهم وقال مقاتل هو اخوهم في
النسب لا في الدين وكان عاد الذي تسمت القبيلة به ملكهم وكان يعبد القمر
وطال عمره فراى من صلبه اربعة الاف ولد وتزوج الف امراة وهو اول ملك
الارض بعد نوح عليه السلام وعاش الف سنة ومائتي سنة ولما مات انتقل
الملك الى اكبر ولده وهو شديد بن عاد فاقام خمسمائة سنة وثمانين سنة
ثم مات فانتقل الملك الى اخيه شداد بن عاد وهو الذي بنى ارم ذات العماد و
كانت قبائل عاد التي تسمت به قد ملكوا الارض بقوتهم وافتخروا وقالوا من
منا قوة فلما كثر طغيانهم بعث الله اليهم هودا وهو قوله تعالى والى عاد اخاهم
هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون اي على الله
تعالى باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء وقوله تعالى واذكر اخا عاد يعني
هودا عليه السلام اذ انذر قومه بالاحقاف جمع حقف بكسر المهملة وهو
رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانوا يسكنون
بين رمال مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان
ومهرة وعن مقاتل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له
مهرة اليها تنسب الجمال المهرية وعن الضحاك الاحقاف جبال بالشام وعن
مجاهد هي ارض حسمى وعن قتادة ذكر لنا ان عادا كانوا احياء باليمن اهل
رمال مشرفين على البحر بارض من بلاد اليمن يقال لها الشحر وعن الخليل
هي الرمال العظام وعن الكلبي احقاف الجبل ما نضب عنه الماء زمان الغرق
كان ينضب الماء ويبقى اثره الى قوله كذلك نجزي القوم المجرمين يريد قوله
تعالى وقد خلت النذر اي الرسل جمع نذير بمعنى منذر من بين يديه و
من خلفه قبل هود وبعده والجملة حال او اعتراض الا تعبدوا الا الله
اي لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فان النهي عن الشيء انذار عن مضرته اني
اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم ومعنى ان هودا عليه السلام

قد انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم العذاب واعلمهم ان
الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو
انذاره وعن ابن عباس رضى الله عنهما يعنى الرسل الذين بعثوا قبله
والذين بعثوا فى زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد انذاره
هذا اذا علقت وقد خلت النذر بقوله انذر قومه بان جعلته حالا واما اذا
جعلته اعتراضا بين انذر قومه وبين ان لا تعبدوا فيكون بمعنى واذكر
انذاره قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل
ومن تاخر عنه مثل ذلك فاذكرهم قالوا اى قوم هود اجئتنا لتافكنا اى لتصرفنا
يقال افكه عن رايه عن آلهتنا اى عن عبادتها الى دينك وهذا لا يكون فاتنا
يا هود بما تعدنا اى هات لنا من العذاب الذى توعدنا به على الشرك ان
كنت من الصادقين فيما تقول قال اى هود عليه السلام انما العلم عند الله
لا علم لى بوقت عذابكم ولا مدخل لى فيه فاستعجل به وانما علمه عند الله فياتيكم به
فى وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به وما على الرسول الا البلاغ ولكنى
اريكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين
مقترحين سائلين غير ما اذن لهم فيه فلما راوه فى الضمير وجهان ان يرجع
الى ما تعدنا وان يكون مبهما قد وضح امره بقوله عارضا اما تمييزا او حالا
اى سحابا عرض فى افق السماء مستقبل اوديتهم متوجها اوديتهم والاضافة فيه
لفظية قالوا هذا عارض ممطرنا اى ياتينا بالمطر بل هو اى قال هود عليه السلام
بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقرى قل بل هو ريح اى هى ريح ويجوز ان يكون
بدل ما فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله تدمر اى تهلك كل شىء من نفوسهم و
اموالهم بامر ربها اذ لا يوجد نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشيئته وفى ذكر
الامر والرب واضافته الى الريح فوائد وقرى يدمر كل شىء من دمر دمارا اذا هلك
فيكون العائد محذوفا او الهاء فى ربها ويحتمل ان يكون استئنافا للدلالة على
ان لكل ممكن فناء مقتضيا لا يتقدم ولا يتاخر ويكون الهاء لكل شىء فانه بمعنى
الاشياء فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم اى فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث

لو حضرت

لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرا عاصم وحمزة ويعقوب لا يرى
الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع مساكنهم قال الكشاف معناه لا يرى شىء
الا مساكنهم وقال الفراء لا يرى الناس لانهم كانوا تحت الرمل وانما يرى مساكنهم
لانها قائمة كذلك نجزى القوم المجرمين اى من اجرم مثل جرمهم وهذا تحذير
لمشركى العرب ومختصر قصة هود عليه السلام انه لما دعا على قومه ارسل الله
الريح عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما اى متتابعة ابتدئت غدوة الاربعاء
وسكنت فى اخر الثامن واعتزل هود ومن معه من المؤمنين اى حظيرة لا
يصيبهم منها الا ما يلين الجلود ويلذ النفوس وعن مجاهد كان قد امن معه
اربعة الاف فذلك قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه
برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وهو السموم وكانت تدخل انوف الكفرة
وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم وكانت تقلع الشجر وتهدم البيوت
ومن لم يكن منهم فى بيته اهلكته فى البرارى والجبال وقال السدى لما راوا
ان الابل والرجال تطير بين السماء والارض فى الهواء تبادروا الى البيوت فلما
دخلت الريح دارهم فاخرجتهم منها ثم اهلكتهم ثم ارسل الله عليهم طيرا سودا
فنقلتهم الى البحر فالقتهم فيها ثم ان هودا عليه السلام بقى بعد هلاك قومه ما
شاء الله ثم مات وعمره مائة وخمسون سنة وحكى الخطيب عن ابن عباس رضى
الله عنهما انه عاش اربعمائة وستين سنة وكان بينه وبين نوح ثمانمائة
سنة وستين سنة واختلفوا فى مكان توفى فقيل بارض الشحر من بلاد
حضرموت وقبره ظاهر هناك ذكره ابن سعد فى الطبقات وعن عبد
الرحمن بن سابط بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا
وان قبر هود وشعيب وصالح واسمعيل عليهم السلام فى تلك البقعة وقيل
بجامع دمشق فى حائط القبلة قبر يزعم الناس انه قبر هود عليه السلام
والله تعالى اعلم وقال ابن الكلبى لم يكن بين نوح وابراهيم من الانبياء
عليهم السلام الا هود وصالح فيه اى فى هذا الباب روى عن عطا هو ابن
ابى رباح وسليمان هو ابن يسار عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله

وسلم اما تعليق عطاء فوصله البخاري في بدء الخلق في باب ما جاء في قوله تعالى
وهو الذي ارسل الرياح عن مكي بن ابراهيم عن ابن جريج عن عطاء عن عائشة
رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا راى مخيلة اقبل وادبر
ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا امطرت السماء سري عنه فعرفته عائشة ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
وما ادري لعله كما قال قوم عاد فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم
الاية واما تعليق سليمان فوصله البخاري في تفسير سورة الاحقاف حدثنا
احمد اخبرنا ابن وهب اخبرنا عمرو ان ابا النضر حدثه عن سليمان بن يسار
عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت ما رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا حتى ارى منه لهواته الحديث وقول الله
عز وجل بالجر عطف على مدخول الباب وفي بعض الاصول باب قول الله عز وجل
بدون الباب واما عاد فاهلكوا بريح صرصر وهو عطف على قوله تعالى فاما ثمود
فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة او الرجفة
لتكذيبهم بالقارعة اي بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار
والانتثار شديدة تفسير للصرصر اي شديدة الصوت لها صرصرة او شديدة
البرد من الصر بالفتح كانها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق لشدة بردها وتفسير
الصرصر بالشديدة وهو تفسير ابي عبيدة وفي المجاز عاتية من عتا عتوا اذا جاوز
الحد في الشيء ومنه العاتي وهو الذي جاوز الحد في الاستكبار قال ابن عيينة
اي سفيان بن عيينة في تفسير قوله عاتية عتت من الخزان بضم الخاء جمع
خازن وهم الملائكة الموكلون بالريح يعني عتت عليهم فلم تطعهم وجاوزت
المقدار وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارسل الله تعالى نسمة
من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فيوم طغت
على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل وفي رواية سعيد بن عبد الرحمن المخزومي
عن ابن عيينة عن غير واحد في قوله عاتية قال عتت على الخزان ما خرج منها
الا مقدار الخاتم وجاء نحوه عن علي رضي الله عنه اخرجه ابن ابي حاتم عنه قال
لم ينزل الله شيئا من الريح الا بوزن على يدي ملك الا يوم عاد فانه اذن لها

دون الخزان

دون الخزان فعتت على الخزان سخرها عليهم اي سلطها عليهم وادامها
28 سبع ليال وثمانية ايام حسوما متتابعة فسر البخاري قوله حسوما بقوله
متتابعة وكذا فسره ابو عبيدة قال اي ولاء متتابعة على انه جمع حاسم
من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها على الداء مرة اخرى حتى تنحسم وقال
الضحاك كاملة لم تفتر عنهم حتى افنتهم قال عطية لانها حسمت شوماء
حسمت عنهم كل خير واستاصلته وقال الخليل قاطعات قطعت دابرهم
والحسم القطع والمنع ومنه حسم الرضاع وقال النضر بن شميل حسمتهم
قطعتهم فانتصاب حسوما على الحال وقال الزمخشري الحسوم اما جمع حاسم
كشهود جمع شاهد واما مصدر كالكفور والشكور فان كان جمعا يكون
حالا بمعنى حاسمة وان كان مصدرا يكون منصوبا بالفعل مضمر اي تحسم
حسوما بمعنى تستاصل استيصالا او يكون صفة كقولك ذات حسوم او
يكون مفعولا له اي سخرها عليهم للاستيصال وقرا السدي حسوما بالفتح
حالا من الريح اي سخرها عليهم مستاصلة وقيل هي ايام العجوز وهي اخر
الشتاء وذلك ان عجوزا من عاد توارت في سرب اي بيت في الارض
فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها ويقال لتلك الايام ايضا
ايام العجز اي ايام البرد العجز فترى القوم ان كنت حاضرهم فيها اي
في مهابها او في الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع بمعنى سقط
كانهم اعجاز نخل خاوية اصولها فسر الاعجاز بالاصول وقد فسره ابو
عبيدة ايضا بالاصول اي اصول النخل على ان النخل يؤنث وقد يذكر
ايضا كما في قوله تعالى كانهم اعجاز نخل منقعر وقد فسره بعضهم بالجذوع
وعلى التفسير الاول المراد به ما بقي على المكان بعد قطع الجذع وهذا كما فسره
بعضهم بقوله هي التي لا رؤس لها روي ان الريح كانت تحمل الرجل
فترفعه في الهواء ثم تلقيه فتشدخ راسه فيبقى جثة بلا راس وقوله
خاوية بمعنى منا كلة الاجواف لان الريح اخرجت ما في بطونهم
شبههم باعجاز نخل لعظم اجسامهم قيل كان طول احدهم اثنى عشر ذراعا

وقال ابو حمزة طول كل رجل منهم كان سبعين ذراعا وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ثمانين ذراعا وقال ابن الكلبي كان اطولهم مائة ذراع
واقصرهم ستين ذراعا وقال وهب بن منبه كان راس احدهم مثل القبة
العظيمة وكان عين الرجل يفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم فهل
ترى لهم من باقية بقية في الباقية بالبقية اشارة الى ان الباقية
اسم كالبقية لا وصف والتاء للنقل الى الاسمية وهو تفسير ابي عبيدة
ايضا وقيل من نفس باقية وقيل من بقاء على انه مصدر كالطاغية
من الطغيان والعاقبة حدثنا محمد بن عرعرة بفتح المهملتين
وسكون الراء الاولى اي ابن البرند الناجي السامي البصري مات سنة
ثلث عشرة ومائتين قال حدثنا شعبة عن الحكم بفتحتين ابن عتيبة مصغر
عتبة عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وهي ريح
تقابل الصبا وورد في صفة اهلاكهم بالريح ما اخرجه ابن ابي حاتم من
حديث ابن عمر رضي الله عنهما والطبراني من حديث ابن عباس رضي
الله عنهما رفعاه ما فتح الله على عاد من الريح الا موضع الخاتم فمرت
باهل البادية فحملتهم ومواشيهم واموالهم بين السماء والارض فراهم
الحاضرة فقالوا هذا عارض ممطرنا فالقتهم عليهم فهلكوا جميعا والحديث
قد مضى في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا ومطابقته
للترجمة ظاهرة قال اي البخاري وقال ابن كثير هو محمد بن كثير كذا روي
هنا معلقا ورواه في تفسير براءة بقوله حدثنا محمد بن كثير فوصله لكنه لم
يسقه تمامه وانما اقتصر على طرف من اوله وابن كثير هذا هو احد مشايخ
البخاري روى عنه في الكتاب في مواضع وروى مسلم عن عبد الله الدارمي
عنه عن اخيه حديثا في الرؤيا عن سفيان اي الثوري عن ابيه سعيد
بن مسروق بن حبيب الثوري الكوفي عن ابن ابي نعم بضم النون وسكون
المهملة البجلي واسم الابن عبد الرحمن ابو الحكم البجلي الكوفي العابد وكان

من عباد اهل الكوفة ممن يصبر على الجوع الدائم اخذه الحجاج ليقتله
وادخله بيتا مظلما وسد الباب خمسة عشر يوما ثم امر بالباب ففتح
ليخرج ويدفن فدخلوا عليه فاذا هو قائم يصلي فقال له الحجاج سر حيث
شئت واما اسم ابي نعم فما وقفت عليه عن ابي سعيد سعد بن مالك
بن سنان الانصاري الخدري رضي الله عنه انه بعث علي رضي الله
عنه وهو باليمن الى النبي صلى الله عليه وسلم بذهيبة ويروى بذهبة
في تربتها قال النووي هكذا هو في جميع نسخ بلادنا بذهبة بفتح الذال
وكذا نقله القاضي عن جميع رواة مسلم وعن الجلودي قال وفي رواية
ابن ماهان بذهيبة على صيغة التصغير وقال ابن قرقول قوله بعث
بذهب كذا الرواية عن مسلم عند اكثر شيوخنا قال الخطابي الذهيبة
انما انثها على نية القطعة من الذهب ويقال الذهب يؤنث ومؤنث
الثلاثي اذا صغر تلحق في تصغيره الهاء نحو قويسة وشميسة فقسمها
بين اربعة اي بين اربعة انفس وفي رواية مسلم فقسمها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين اربعة نفر الاقرع بن حابس يجوز
فيه الرفع والجر اما الرفع فعلى انه خبر مبتدأ محذوف اي احدهم الاقرع
واما الجر فعلى انه وما بعده من معطوف بدل من الاربعة او بيان
والاقرع بفتح الهمزة وسكون القاف وبالراء وبالعين المهملة ابن
حابس بالحاء المهملة وكسر الموحدة وبالسين المهملة ابن عقال بن
محمد بن سفيان بن مجاشع المجاشعي الدارمي احد المؤلفة قلوبهم قال
ابن اسحق الاقرع بن حابس التميمي قدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع عطارد بن حاجب في اشراف بني تميم بعد فتح مكة وقد
كان الاقرع بن حابس وعيينة بن حصين شهدا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحنينا والطائف وقال ابن دريد اسم
الاقرع فراس وفي التوضيح بخط منصور بن عثمان البخاري
الصواب حصين وقال ابو عمر في باب الفاء في الاستيعاب فراس

بن حابس اظنه من بني العنبر قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في وفد بني تميم وفي التوضيح في كتاب لطائف المعارف لابي يوسف كان
الاقرع اصم مع فرعه اعور وفي الكامل كان في صدر الاسلام سيد
خندف وكان محله فيها محل عيينة بن حصين في قيس وقال المرزباني
هو اول من حرم القمار وكان حكما في كل موسم وقال الجاحظ في كتاب العرجان
انه من اشرافهم واحد العرج الاشراف وقال ابو عبيدة كان اعرج الرجل
اليسرى قتل باليرموك سنة ثلث عشرة مع عشرة من بنيه وقال ابن دريد
استعمله عبد الله بن عامر بن كريز على جيش انفذه الى خراسان فاصيب
بالجوزجان والله تعالى اعلم **الحنظلي** نسبة الى حنظلة بن مالك بن زيد
مناة بن تميم **ثم المجاشعي** نسبة الى مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة
بن مالك بن زيد مناة بن تميم **وعيينة** على صيغة التصغير **بن بدر**
وفي رواية مسلم وعيينة بن حصين ففي رواية البخاري نسب الى جده
وفي رواية مسلم نسب الى ابيه حصين بن بدر بن عمرو بن جوية
بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان بن بغيض
بن ريث بن غطفان **الفزاري** بفتح الفاء وتخفيف الزاي وبالراء
نسبة الى فزارة المذكور في نسبه وفي التوضيح عيينة اسمه حذيفة بن
حصين بن حذيفة بن بدر ولقب عيينة لان طعن في عينه وكنيته
ابو مالك اسلم قبل الفتح وارتد مع طليحة بن خويلد وقاتل معه
تزوج عثمان بابنته وهو خريق في ارايته وهو المقول فيه الاحمق
المطاع **وزيد الطائي** وفي رواية مسلم وزيد الخير الطائي قال النووي قال
هذه الرواية زيد الخير الطائي كذا هو في جميع النسخ الخير بالراء وقال في رواية
الخيل باللام وكلاهما صحيح يقال بالوجهين كان يقال له في الجاهلية زيد الخيل
فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير لانه لم يكن في العرب اكثر
من خيله وقال ابو عبيدة وكان له شعر وخطابة وشجاعة وكرم وتوفي
لما انصرف من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحمى وقيل توفي اخر خلافة

عمر رضي الله عنه وقال ابو عمر زيد الخيل هو زيد بن مهلهل بن زيد بن
30 منهب الطائي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع وسماه
رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير واقطع له ارضين في ناحية
يمنها بالمنذر وفي كتاب العرج توفي بماء يقال له فردة وقيل لما دخل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم طرح له متكأ فاعظم ان يتكي عليه بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فرده فاعاده ثلاثا وعلمه دعوات
كان يدعو بها فيعرف بها الاجابة ويستسقي فيسقى وقال يا رسول الله اعطني
مائة فارس اغير بهم على الروم فلم يلبث بعد انصرافه الا قليلا حتى حم ومات
وكان في الجاهلية اسر عامر بن الطفيل وجز ناصيته ثم اعتقه وقال ابن
دريد وكان لا يدخل مكة الا متعمما من خيفة النساء عليه **ثم احد بني نبهان**
بفتح النون وسكون الموحدة هو ابن اسود بن عمرو بن الغوث بن
طي قال الرشاطي من بني نبهان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن
مهلهل بن زيد بن منهب بن عبد رضا بن مختلس بن ثوب بن مالك
بن نابل بن اسود بن نبهان كان من اجمل الناس واحسنهم ولما قدم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من انت قال انا زيد الخيل قال انت زيد
الخير **وعلقمة بن علاثة** بضم العين المهملة وتخفيف اللام وبالثاء المثلثة
بن عوف بن الاحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن
صعصعة كان من اشراف قومه حليما عاقلا ولم يكن فيه ذاك الكرم ارتد
لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف ثم اسلم ايام الصديق
رضي الله عنه وحسن اسلامه واستعمله عمر رضي الله عنه على حوران فمات
بها **العامري** نسبة الى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن
بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان **ثم احد بني كلاب**
كلاب هذا هو المذكور اولا في النسب **فغضبت قريش والانصار** وليس في
رواية مسلم والانصار **قالوا اتعطي صناديد اهل نجد** اراد بهم الرؤساء وهو
جمع صنديد بكسر الصاد وفي رواية مسلم اتعطي بهمزة الاستفهام على سبيل

الانكار والنجد بفتح النون وسكون الجيم ما بين الحجاز الى الشام الى
العذيب فالطائف من نجد والمدينة من نجد وارض اليمامة والبحرين الى
عمان الى العروض وقال ابن دريد نجد بلد للعرب وانما سمي نجدا لعلوه على
انخفاض تهامة **وتدعنا** ويروى نعطي وندع بيا الغيبة ايضا **قال النبي صلى
الله عليه وسلم انما اتالفهم** من التألف وهو المداراة والايناس ليثبتوا
على الاسلام رغبة فيما يصل اليهم من المال **فاقبل رجل** وفي رواية مسلم فجاء
رجل هذا الرجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة واسمه حرقوص بن زهير قبيل
ولعله ذو الثدية وقال ابن الاثير في كتاب الادواء ذو الثدية احد الخوارج
الذين قتلهم علي رضي الله عنه بحروراء من جانب الكوفة وهو الذي قال
فيه النبي صلى الله عليه وسلم وآية ذلك ان فيهم رجلا اسود احد عضديه مثل
ثدي المراة ومثل البضعة تدردر ويقال له ذو الثدي ايضا وهو حبشي
واسمه نافع **غائر العينين** اي غارت عيناه فدخلتا وهو ضد الجاحظ وقال
الكرماني غائر العينين اي داخلتين في الراس لاصقتين بقعر الحدقة
مشرف الوجنتين اي غليظهما ويقال ليس بسهل الخد وقد فسرت وجنتاه
اي علتا واصله من الشرف وهو العلو والوجنتان العظمان المشرفان
على الخدين وقيل لحم الخد وكل واحدة وجنة فاذا عظمت فهو موجن والوجنة
مثلثة الواو وحكاها يعقوب بالالف بدل الواو فهذه اربع لغات وقال
ابن جني اري الرابعة على البدل وفي الجيم لغتان فتحها وكسرها حكاها في البارع
عن كراع والاسكان هو الشايع فصار في الجيم ثلاث لغات وقال ثابت هما
فرق الخدين اذا وضعت يدك وجدت حجم العظم تحتها وحجمه نتوه وقال ابو
حاتم هو ما نتا من لحم الخدين بين الصدغين وكنفي الانف **ناتئ الجبين**
اي مرتفعه وقيل مرتفع على ما حوله وقال النووي الجبين جانب الجبهة ولكل
انسان جبينان يكتنفان الجبهة **كث اللحية** يعني كثير شعرها غير مسبلة والكث
بفتح الكاف وتشديد المثلثة وقال ابن الاثير الكثاثة في اللحية ان تكون
غير دقيقة ولا طويلة وفيها كثافة يقال رجل كث اللحية بفتح الكاف وقوم كث

بالضم **محلوق** وفي صحيح مسلم محلوق الراس وفي الكامل للمبرد رجل مضطرب
الخلق اسود وانه يكون لهذا ولاصحابه نبأ وفي التوضيح وفي الحديث انه لا يدخل
النار من شهد بدرا والحديبية حاشا رجلا اسود منهم قيل هو حرقوص
ذكره الشيخ البصري وفي الثعلبي انه اصل الخوارج **فقال اتق الله يا محمد فقال** صلى
الله عليه وسلم **من يطع الله اذا عصيت** اي عصيته وفي مسلم فمن يطع الله ان
عصيته **ايامنني الله على اهل الارض فلا تامنوني فسأله رجل قتله** اي قال
النبي صلى الله عليه وسلم رجل قتل هذا القائل **احسبه خالد بن الوليد** اي احسب
ان هذا السائل هو خالد بن الوليد كذا جاء هنا على الحسبان وجاء في الصحيح انه خالد
من غير حسبان وفي رواية اخرى انه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولا تنافي
في هذا لانهما كانا سالا جميعا **فمنعه** اي منع خالدا عن القتل وذلك لئلا يتحدث
الناس انه يقتل اصحابه فهذه هي العلة وسلك معه مسلكه مع غيره من
المنافقين الذين آذوه وسمع منهم من غير موطن ما كرهه لكنه صبر استبقاء
لانقيادهم وتاليفا لغيرهم حتى لا ينفروا **فلما ولى قال ان من ضئضئ هذا** بكسر
الضادين المعجمتين وسكون الهمزة الاولى وهو الاصل والعقب وحكاهما
عن بعض رواة مسلم فيما حكاه القاضي وهو شايع في اللغة وقال ابن سيده
الضئضئ والضؤضؤ الاصل وقيل هو كثرة النسل وقال في المهملة الضنضئ و
السيضئ كلاهما الاصل عن يعقوب وحكى بعضهم صيصئ بوزن قنديل
حكاه ابن الاثير وقال النووي وقالوا لاصل الشيء اسماء كثيرة منها الضئضئ
بالمعجمتين والمهملتين والنجار بكسر النون والنحاس والسنخ بكسر السين واسكان
النون ونجا سنخه والعيص والارومة **قوم يقرؤون القران لا يجاوز حناجرهم**
جمع حنجرة وهي راس الغلصمة حيث تراه ناتئا من خارج الحلق وقال ابن
التين معناه لا يرفع في الاعمال الصالحة وقال القاضي عياض لا تفقهه
قلوبهم ولا ينتفعون بما تلوه منه ولا لهم حظ سوى تلاوة الفم وقيل معناه
لا يصعد لهم عمل ولا تلاوة ولا يتقبل **يمرقون من الدين** وفي رواية من الاسلام
اي يخرجون منه **مروق السهم من الرمية** اي خروج السهم اذا نفذ من الصيد

من جهة اخرى ولم يتعلق بالسهم من دمه شيء وبهذا سميت الخوارج المارقة
والدين هنا الطاعة يريد انهم يخرجون من طاعة الائمة كخروج السهم من الرمية
والرمية بفتح الراء وتشديد الياء على وزن فعيلة من الرمي بمعنى مفعول قال
الداودي الرمية الصيد المرمي وهذا الذي ذكره صفات الخوارج الذين لا يدينون
للائمة ويخرجون عليهم **يقتلون اهل الاسلام** هو كذلك فعل الخوارج **ويدعون**
اي يتركون **اهل الاوثان** هو جمع وثن وهو كل ماله جثة معمولة من جواهر الارض
او من الخشب والحجارة كصورة الادمي يعمل وينصب فيعبد وهذا بخلاف الصنم
فانه الصورة بلا جثة ومنهم من لم يفرق بينهما قيل لما خرج اليهم عبد الله بن خباب
رسولا من عند علي رضي الله عنه جعل يعظهم فرأى احدهم تمرة لمعاهد فجعلها في فيه
فقال بعض اصحابه تمرة معاهد فبم استحللتها فقال لهم عبد الله بن خباب انا ادلكم
على ما هو اعظم حرمة رجل مسلم يعني نفسه فقتلوه فارسل اليهم علي رضي الله عنه ان
اقيدونا به فقالوا كيف نقيدك به وكلنا قتله فقاتلهم علي فقتل اكثرهم قيل كانوا
خمسة الاف وقيل كانوا عشرة الاف **لئن انا ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد** اي قتلا
استاصلهم بالكلية كاستئصال عاد لا يبقى منهم احد ولم يرد انه يقتلهم بالالة
التي قتلت بها عاد بعينها فلا يرد انه كيف يكون ذلك وعاد قد اهلكوا بريح صرصر
وهذا على تقدير كون اضافة قتل الى عاد من الاضافة الى المفعول ويحتمل ان تكون
من الاضافة الى المفعول ويحتمل ان تكون من الاضافة الى الفاعل ويراد به القتل
الشديد القوي اشارة الى انهم موصوفون بالشدة والقوة ويروى قتل ثمود فان
قيل اليس قال صلى الله عليه وسلم لئن ادركتهم لاقتلنهم ولم لم يدع خالدا رضي الله
عنه بقتله فالجواب انه صلى الله عليه وسلم انما اراد ادراك زمان خروجهم اذا كثروا
وامتنعوا بالسلاح واعترضوا الناس بالسيف ولم تكن هذه المعاني مجتمعة اذ ذاك
وانما انذر صلى الله عليه وسلم ان سيكون ذلك في الزمان المستقبل وقد كان كما قال
صلى الله عليه وسلم فاول ما نجم هولاء في ايام علي رضي الله عنه فان المال الذي اعطى
رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك المؤلفة قلوبهم من اي مال كان فالجواب انه
قال بعضهم من خمس الخمس ورد بانه ملكه وقيل من راس الغنيمة وانه خاص به لقوله تعالى

قل الانفال لله والرسول ورد بان الاية منسوخة وذلك ان الانفال ربما انهزموا
32 يوم حنين فايد الله رسوله وامده بالملائكة فلم يرجعوا حتى كان الفتح ورد الله
الغنائم الى رسوله من اجل ذلك فلم يعطهم منها شيئا وطيب نفوسهم بقوله ترجعون
برسول الله صلى الله عليه وسلم الى رحالكم بعدما فعل ما امر به واختيار ابي عبيد
انه كان من الخمس لا من خمس الخمس ولا من راس الغنيمة وانه جائز للامام ان
يصرف للاصناف المذكورة في اية الخمس حيث يرى ان فيه مصلحة للمسلمين ولكن
ينبغي ان يعلم اولا ان هذا الذهب ليس من غنيمة حنين ولا من الخمس وقد فرقها
كلها ومطابقة الحديث للترجمة في قوله لاقتلنهم قتل عاد وقد اخرجه البخاري في
التفسير ايضا وكذا في التوحيد وفي المغازي واخرجه مسلم في الزكوة وابو داود في
السنة والنسائي في الزكوة والتفسير والمحاربة **حدثنا خالد بن يزيد** هو ابو الهيثم
المقرئ الكاهلي الكوفي قال **اخبرنا اسرائيل** اي ابن يونس بن ابي اسحق السبيعي **عن**
ابي اسحق عمرو بن عبد الله السبيعي **عن الاسود** هو ابن يزيد النخعي انه **قال**
سمعت عبد الله اي ابن مسعود رضي الله عنه **سمعت رسول الله صلى الله عليه**
وسلم يقرا فهل من مدكر قد مضى هذا الحديث في اخر باب قوله تعالى انا ارسلنا
نوحا الى قومه وقد مر الكلام فيه ايضا **باب قول الله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا**
وقع هذا الباب في اكثر نسخ البخاري متاخرا عن هذا الموضع بعدة ابواب
والصواب اثباته هنا وهذا مما يؤيد ما حكاه ابو الوليد عن ابي ذر الهروي
ان نسخة الاصل من البخاري كانت ورقا غير محبوك فربما وجدت الورقة في
غير موضعها فنسخت على ما وجدت ووقع في بعض التراجم اشكال بحسب ذلك
والا فقد وقع في القران ما يدل على ان ثمود كانوا بعد عاد كما كان عاد بعد قوم
نوح والله تعالى اعلم كذا قال الحافظ العسقلاني وانت خبير بانه لا يستلزم وقوع
قصة ثمود بعد قصة عاد في القران رعاية الترتيب في هذا الصحيح فتامل قال تعالى
والى ثمود اخاهم صالحا اي وارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وانما قال اخاهم لان
صالحا عليه السلام كان من قبيلتهم واختلفوا في ثمود فقال الجوهري ثمود قبيلة
من العرب وهم قوم صالح وكذلك قال الفراء سميت بذلك لقلة مائهم وقال

الزجاج الثمد الماء القليل الذي لا مادة له وقيل ثمود اسم رجل وقال عكرمة هو ثمود
بن جاثر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقال الكلبي وكانت هذه
القبيلة تنزل في وادي القرى الى الحجر والى حد واطراف الشام وكانت اعمارهم
طويلة وكانوا يبنون المساكن فتنهدم فلما طال ذلك عليهم اتخذوا من الجبال بيوتا
ينحتونها وعملوها على هيئة الدور ويقال كانت منازلهم اولا بارض كوش
من بلاد عالج ثم انتقلوا الى الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وخالفوا امر الله
وعبدوا غيره وافسدوا في الارض فبعث الله صالحا نبيا فدعاهم الى الله تعالى
حتى شمط ولم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون وصالح هو ابن عبيد بن جاثر
بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل صالح بن عبيد بن اسف بن
ماسخ بن عبيد بن خادر بن ثمود قاله مقاتل وقيل صالح بن كالون قاله الربيع
وقيل صالح بن يوسف بن شالخ بن عبيد بن جاثر بن ثمود قاله مجاهد وقال
ايضا كان بينه وبين ثمود مائة سنة وكان في قومه بقايا من قوم عاد على
طولهم وهيئتهم وكان لهم صنم من حديد يدخل فيه الشيطان في السنة مرة واحدة
ويكلمهم وكان ابو صالح سادنه فغار لله وهم بكسره فناداهم الصنم اقتلوا كالون
فقتلوه ودسوه في مغارة فمكث عليه امراته مدة تحت يا ملك فقال ان زوجك
في مغارة الفلانية فجاءت اليه فهو ميت فاحياه الله تعالى فقام اليها فوطئها
فعلقت بصالح من ساعتها وعاد كالون ميتا باذن الله تعالى ولما شب
صالح بعثه الله الى قومه وعمره قبل البلوغ ولكن قد راهق قاله وهب وقال ابن
عباس رضي الله عنه لما تم له اربعون سنة ارسله اليهم وذكره الله تعالى في القران
في ثمانية مواضع وبين قصته مع قومه فلما اهلك الله قومه نزل صالح بفلسطين
واقام بالرملة وقال السدي ان هو ومن معه من المؤمنين الى مكة فاقاموا
يعبدون حتى ماتوا فقبورهم غربي الكعبة بين دار الندوة والحجر وقال ابن
قتيبة اقام صالح في قومه عشرين سنة ومات وهو ابن مائة وثمان وخمسين سنة
وقيل ابن ثلثمائة وستة وثلثين سنة وحكاه الخطيب عن ابن عباس رضي الله
عنهما وهو الاظهر ويقال ان صالحا مات باليمن وقبره بموضع يقال له الشبوة

وذكر الطبري ان صالحا خرج مع المؤمنين الى الشام فسكنوا فلسطين ومات
بها وكان بين صالح وبين هود عليهما السلام مائة سنة وبين صالح وابراهيم
عليهما السلام الستمائة سنة وثلثون سنة **كذب اصحاب الحجر** اشارة الى قوله
تعالى ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وفسر الحجر بقوله **موضع ثمود** وهو ما بين
المدينة الى الشام وقال الكرماني هو منازل ثمود ناحية الشام عند وادي القرى وقال
العسقلاني وكانت منازلهم بالحجر وهو بين تبوك والحجاز وانما قال المرسلين
صالح وهو وان كان واحدا فالمراد هو ومن معه من المؤمنين وقيل كل من
كذب واحدا من الرسل فكانما كذبهم جميعا **واما حرث حجر حرام** اشار به الى
ما في قوله تعالى وقالوا هذه انعام وحرث حجر وفسر الحجر بقوله حرام وكذا فسره
ابو عبيدة وحذف البخاري الفاء عن جواب اما وهو قوله حرام وهو جائز **وكل
ممنوع فهو حجر** اي كل شيء يمنع فهو حجر اي حرام **ومنه حجرا محجورا** اشار الى ما في قوله
تعالى ويقولون حجرا محجورا وقال ابو عبيدة اي حراما **والحجر كل بناء تبنيه** دخل
الفاء لتضمن قوله ما جرت عليه معنى الشرط **ومنه** اي من الحجر بمعنى الحرام
سمي حطيم البيت وهو حائط مستدير الى جانب الكعبة **حجرا كانه مشتق من
محطوم مثل قتيل من مقتول** اراد ان الحطيم بمعنى المحطوم كما ان القتيل بمعنى
مقتول يعني انه فعيل بمعنى مفعول وليس فيه اشتقاق اصطلاحي وهو
بمعنى مكسور وكان الحطيم سمي به لانه اخرج من البيت وترك هو محطوما اي
مكسورا باخراجه عنه وقيل الحطيم ما بين الركن والباب سمي حطيما لازدحام
الناس فيه وقيل سمي الحطيم حطيما لان العرب كانت تطرح فيه ثيابها التي تطوف
فيها وتتركها حتى تحطم وتفسد بطول الزمان فعلى هذا هو فعيل بمعنى فاعل **ويقال
للانثى من الخيل حجر ويقال للعقل حجر** كما في قوله تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر
اي لذي عقل لانه يمنع صاحبه من الوقوع في المهالك **وحجى** بكسر الحاء وفتح الجيم
مقصورا وهو ايضا من اسماء العقل ومنه الحجى بمعنى الستر وفي الحديث من بات
على ظهر بيت ليس عليه حجى فقد برئت منه الذمة شبهه بالحجر الذي بمعنى العقل
لان العقل يمنع الانسان من الفساد ويحفظه من التعرض للهلاك فكذلك

بالحفظ ... من الارض فهو حجر صح

الستر الذي على السطح يمنع الانسان من التردي والسقوط واما حجر اليمامة
فهو منزل يعني اما حجر اليمامة بفتح الحاء فهو اسم منزل باليمامة وقال الحافظ لتعلق
بقصة اليمامة البلد المشهور بين الحجاز واليمن ذكره استطرادا وليس له تعلق
بما قبله لانه كما عرفت بفتح الحاء الا ان من مكسور الحاء غير ما ذكره حجر القميص وفيه
جاء الكسر والفتح افصح وكذا حجر الانسان فيه لغتان قاله ابن فارس ويجمع على
حجور وجاء في الحجر الذي بمعنى الحرام الكسر والضم والفتح وقال الجوهري الكسر افصح
والحجر بفتحتين معروف وهو اسم رجل ايضا ومنه اوس بن حجر الشاعر المشهور
والحجر بفتح الحاء وسكون الجيم مصدر حجر القاضي عليه اذا منعه من التصرف في ماله
وحجر بضم الحاء وسكون الجيم بنت مر واسم رجل ايضا وهو حجر الكندي الذي
يقال له آكل المرار وحجر بن عدي الذي يقال له الادبر حدثنا الحميدي بضم الحاء
عبد الله بن الزبير بن عيسى وقد مر غير مرة قال حدثنا سفيان هو ابن عيينة
قال اخبرنا هشام بن عروة عن ابيه عن عبد الله بن زمعة بفتح الزاي و
سكون الميم وفتحها اي ابن الاسود بن المطلب بن اسد بن عبد العزى
بن قصي القرشي الاسدي امه قريبة بنت ابي امية اخت ام سلمة ام المؤمنين
رضي الله عنها وكان من اشراف قريش وكان يأذن على النبي صلى الله عليه
وسلم بعد في اهل المدينة وزمعة واخوه عقيل قتلا يوم بدر كافرين وابو
الاسود كان من المستهزئين ذكروا ان جبرئيل عليه السلام ضرب في وجهه بورقة
فعمي وكان لعبد الله ابن اسمه يزيد قتله مسرف بن عقبة صبرا يوم الحرة وقتل
له بنون ايضا يوم الحرة وليس لعبد الله بن زمعة في البخاري غير هذا الحديث
وقال ابو عمر روى عنه عروة ثلثة احاديث احدها ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذكر النساء فقال ايضرب احدكم المرأة ضرب العبد ثم يضاجعها
من آخر يومه الثاني انه ذكر الضرطة فوعظهم فيها فقال لم يضحك احدكم مما
يفعل الثالث حديث الباب وقد جمع عروة الثلاث المذكورة في حديث
واحد كما يجي بيانه عن قريب قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر
الذي عقر الناقة اي ناقة صالح وقصتها ان ثمود بعد عاد عمروا بلادهم

وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طويلة لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت
من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا
الاصنام فبعث الله اليهم صالحا عليه السلام ولما دعا قومه الى الله تعالى
لم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه اية فقال
اية اية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة
فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا
اتبعتنا فقال صالح عليه السلام نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها
الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة
منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة
وكانوا اصحاب ابل وكانت النوق عندهم عزيزة فقالوا لتكن الناقة
سوداء حالكة عشراء ذات عرف وناصية ووبر فان فعلت صدقناك
واجبناك فاخذ صالح عليه السلام عليهم مواثيق لئن فعلت ذلك
لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فقال اخرجي باذن الله
فتمخضت الصخرة تمخض الحامل فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا
وطلبوا وعظمى وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فامن خلق
ممن حضر ملكهم جندع بن عمرو ورهط من قومه واراد اشراف ثمود ان
يؤمنوا فمنعهم ناس من رؤسائهم ذؤاب بن عمرو والحباب
صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم وفي تاريخ الغوري قالوا لصالح
لن نؤمن لك حتى تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة ذات الوان من
احمر ناصع واصفر فاقع واسود حالك وابيض يقق ويكون نظرها
كالبرق الخاطف ورغاها كالرعد القاصف ويكون طولها مائة ذراع
وعرضها كذلك ذات ضروع اربعة فتحلب منها ماء وعسلا ولبنا وخمرا و
يكون لها تبيع على صفتها وليكن حنينها بتوحيد الهك والاقرار بنبوتك
فخرجت مثل ما قالوا فامن بعضهم وكذب بعضهم وكذب اخو الملك صالحا
ومكث من لم يؤمن به منهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب

الماء وكانت ترد غبا فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه
حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج أي تتفرج ما بين رجليها فيحتلبون ما شاؤوا حتى
تمتلئ أوانيهم فيشربون ويدخرون قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه
أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت
الناقة إذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم إلى بطنه
وإذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك
عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار
لما أضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه
فانطلق سقبها أي ولدها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال لهم
صالح أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت
الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم
مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة
ثم يصبحكم العذاب قال الله تعالى فعقروها فقال تمتعوا في داركم أي
في منازلكم أو في دار الدنيا ثلاثة أيام الأربعاء والخميس والجمعة فلما رأوا
العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله إلى أرض فلسطين فلما
كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالأنطاع
فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا **فقال انتدب لها**
رجل من ندب لأمر فانتدب أي دعاه له فأجاب **ذو عزة ومنعة** بفتح
الميم والنون وبالعين المهملة وقيل بسكون النون وهي القوة و
ما يمنع به الخصم **في قومه** كذا في رواية الأكثر وللكشميهني والسرخسي في قوة
كأبي زمعة هو الأسود بن المطلب وكان ذا عز ومنعة في قومه كعاقر
الناقة وهو قدار بن سالف وذكر السهيلي أنه كان ولد زنا وهو أحمر
ثمود الذي يضرب به المثل في الشؤم وكان أحمر أشقر أزرق قصيرا وقال
الثعلبي اسمه قديرة وقال الجوهري اسمه قدار بالدال المهملة وهو الأصح
وقال ذهب وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون

فانضاف إليهم قدار فصاروا تسعة وأسماؤهم الهذيل بن عبد رب
35 غنم بن غنم ورباب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم
بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي وعاقر الناقة هو
قدار بن سالف كما مر وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء أشرافهم
وهم الذين سعوا في عقر الناقة روي أنه كان لصالح مسجد في الحجر في
شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث بنزول العذاب
فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء
يصلي قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب
حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين
هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه فهلكوا ثمة
وهلك قومهم في أماكنهم في الصيحة وقيل جاؤوا بالليل شاهري سيوفهم
وقد أرسل الله الملائكة ملأ دار صالح فدمغوهم أي شجوهم حتى بلغت
الشجة الدماغ منهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا ومطابقة
الحديث للترجمة ظاهرة وقد أخرجه البخاري في التفسير وفي الأدب وفي النكاح
أيضا وأخرجه مسلم في صفة النار والترمذي في التفسير وكذا النسائي
فيه وفي عشرة النساء وابن ماجه في النكاح **حدثنا محمد بن مسكين**
أبو الحسن اليمامي شيخ الشيخين قال **حدثنا يحيى بن حسان** منصرفا وغير
منصرف هو ابن حيان بفتح الحاء المهملة والتشديد المثناة التحتية التنيسي
وقد مر في الجنائز قال **حدثنا سليمان** هو ابن بلال أبو أيوب مولى القاسم
بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه بربريا **عن عبد الله بن دينار**
عن ابن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما نزل الحجر أي منازل ثمود **في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا**
من بئرها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجنا منها واستقينا فأمرهم أن يطرحوا
ذلك العجين ويهريقوا أي ويريقوا من الإراقة والهاء زائدة **ذلك الماء**
بين في رواية نافع عقيب هذا عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أمرهم أن

يهرقوا ما استقوا من بئارها وان يعلفوا الابل العجين وانما امر بذلك
خوفا ان يورثهم قسوة او شيئا يضرهم ومطابقته للترجمة ظاهرة و
يروى عن سبرة بفتح السين المهملة وسكون الموحدة بن معبد
بفتح الميم وسكون العين المهملة وفتح الموحدة قال ابو عمر سبرة بن
معبد الجهني ويقال ابن عوسجة بن حرملة بن سبرة بن خديج بن
مالك بن عمرو الجهني ابو ثرية بفتح المثلثة وكسر الراء وتشديد
المثناة التحتية وقال ابو عمر الصواب ضم المثلثة وفتح الراء سكن
المدينة وله بها دار ثم انتقل الى مرو وليس له في البخاري الا هذا الحديث
وابي الشموس بفتح الشين المعجمة وضم الميم واخره سين مهملة وهو
بلوي بفتح الموحدة واللام ولا يعرف اسمه ان النبي صلى الله عليه وسلم
امر بالقاء الطعام اما حديث سبرة بن معبد فوصله احمد والطبراني من
طريق عبد العزيز بن الربيع بن سبرة بن معبد عن ابيه عن جده
سبرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حين راح من
الحجر من كان عجن منكم من هذا الماء عجينة او حاس به حيسا فليلقه
واما حديث ابي الشموس فوصله البخاري في الادب المفرد والطبراني
وابن منده من طريق سليم بن مطر عن ابيه عنه قال كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فذكر الحديث وفيه فالقى
ذو العجين عجينه وذو الحيس حيسه ورواه ابن ابي عاصم من هذا
الوجه وزاد فقلت يا رسول الله قد حست حيسة افالقمها راحلتي
قال نعم قال ابو ذر جندب بن جنادة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من اعتجن بمائه اي امر من اعتجن بمائه بالالقاء وقد وصله البزار
من طريق عبد الله بن قدامة عنه انهم كانوا مع النبي صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك فاتوا على واد فقال لهم النبي صلى الله عليه
وسلم انكم بواد ملعون فاسرعوا وقال من اعتجن عجينة او طبخ قدرا
فليكبها الحديث وقال لا نعلمه الا بهذا الاسناد حدثنا ابراهيم بن المنذر

قال اخبرنا انس بن عياض عن عبيد الله هو ابن عمر بن حفص بن عاصم
بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما اخبره ان الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارض
ثمود الحجر بالنصب بدل من ارض ثمود واستقوا من بئارها واعتجنوا به فامرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهرقوا ما استقوا من بئارها وان يعلفوا
بفتح الياء من علفت الدابة علفا الابل العجين وامرهم ان يستقوا
من البئر التي كانت تردها الناقة هكذا رواية الكشميهني وفي رواية
غيره التي كان قال قيل امر في الحديث الماضي بالطرح وههنا بالتعليف
اجيب بان المراد بالطرح ترك الاكل او الطرح عند الدواب وفي الحديث
كراهة الاستقاء من ابار ثمود قيل ويلتحق بها نظائرها من الابار والعيون
التي كانت لمن هلك بتعذيب الله تعالى على كفره واختلف في الكراهة
فقيل للتحريم وهل يمتنع صحة التطهر من ذلك الماء ام لا وانظر هل لا ومطابقته
للترجمة ظاهرة وقد اخرجه مسلم في اخر الكتاب تابعه اسامة اي تابع
عبيد الله اسامة بن زيد بن حارثة الليثي عن نافع عن ابن عمر رضي
الله عنهما ووصل هذه المتابعة حرملة بن يحيى ابو حفص المصري عن عبيد
الله بن وهب المصري قال اخبرنا اسامة بن زيد فذكر مثل حديث عبيد الله
وفي اخره وامرهم ان ينزلوا على بئر ناقة صالح عليه السلام ويستقوا منها
حدثنا محمد هو ابن مقاتل قال اخبرنا عبد الله هو ابن المبارك عن معمر
عن الزهري انه قال اخبرني بالافراد سالم بن عبد الله عن ابيه ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا زاد
في رواية انفسهم وهو اعم من الكون لثمود وغيرهم ممن هو
كصفتهم من سائر الامم الذين نزلت بهم المثلات وان كان السبب
ورد فيهم الا ان تكونوا باكين وفي رواية القابسي باكيين بيائين قال
ابن التين وليس بصحيح لان الياء الاولى مكسورة في الاصل فاستثقلت
وحذفت احدى اليائين لالتقاء الساكنين ان يصيبكم ما اصابهم اي

حذر ان يصيبكم كقولك ان تقرب الاسد ان يفترسك وان مصدرية
اي كراهة الاصابة وهذا التقدير عند البصريين والتقدير عند الكوفيين
لئلا يصيبكم ما اصابهم وهذا خطأ عند البصريين لانهم لا يجوزون اضمار لا
ثم تقنع اي تستر بردائه وهو على الرحل وهو رحل البعير ومطابقة الحديث
للترجمة ظاهرة وقد اخرجه البخاري في المغازي والنسائي في التفسير
حدثنا عبد الله بن محمد المعروف بالمسندي قال حدثنا وهب هو ابن جرير
قال اخبرنا ابي هو جرير بن حازم البصري قال سمعت يونس هو ابن يزيد
الايلي عن الزهري عن سالم ان ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين
ان يصيبكم مثل ما اصابهم ووقع في رواية احمد الا ان تكونوا باكين
فان لم تكونوا باكين فتباكوا خشية ان يصيبكم ما اصابهم وقد مر في
كتاب الصلوة في باب الصلوة في موضع الخسف حديث ابن عمر رضي
الله عنهما من وجه اخر رواه اسمعيل بن عبد الله عن مالك عن عبد
الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين فان
لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما اصابهم وروى احمد والحاكم
باسناد حسن عن جابر رضي الله عنه لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالحجر قال لا تسألوا الايات فقد سألها قوم صالح وكانت الناقة ترد
من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن امر ربهم وكانت تشرب
يوما ويشربون لبنها يوما فعقروها فاخذتهم صيحة اخمد الله من تحت
اديم السماء الا رجلا واحدا كان في حرم الله وهو ابو رغال فلما خرج من الحرم
اصابه ما اصاب قومه وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال
ابو رغال هو الجد الاعلى لثقيف وهو بكسر الراء وتخفيف الغين المعجمة باب
فتنة ياجوج وماجوج هما اسما رجلين ابني يافث بن نوح عليه السلام
كذا ذكره القاضي عياض مشتقان من تاجج النار وهي حرارتها واشتعالها

سموا بذلك لكثرتهم وشدتهم وهذا على قراءة من همز وقيل الهمز من الاجاج
وهو الماء الشديد الملوحة وقيل هما اسمان عجميان غير مشتقين فمن
همزهما جعل وزن ياجوج يفعولا من اجيج النار او الظليم ومن لا يهمزهما جعلهما
اعجميين وقال الاخفش من همزهما جعل الهمزتين اصلية ومن لم يهمزهما جعل
الالفين زائدتين يجعل ياجوج فاعولا من يجت وماجوج فاعولا من
مجت الشيء من فمي وقال الزمخشري ياجوج وماجوج اسمان اعجميان بدليل
منع الصرف للعجمة والعلمية وهم من ذرية ادم بلا خلاف ولكن اختلفوا
فقيل انهم من يافث بن نوح عليه السلام قاله مجاهد وقيل انهم جيل
من الترك قاله الضحاك وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل
والديلم ذكره الزمخشري وقيل هم من الترك مغول المغول وهم اشد باسا
واكثر فسادا من هؤلاء وقيل هم من بني ادم ولكن من غير حواء لان ادم
نام فاحتلم فامتزجت نطفته بالتراب فلما انتبه اسف على ذلك الماء الذي
خرج منه فخلق الله من ذلك هما ياجوج وماجوج متعلقون بنا من جهة
الاب دون الام حكاه الثعلبي عن كعب الاحبار وحكاه النووي ايضا
في شرح مسلم وغيره لكن العلماء ضعفوه وقال ابن كثير وهو جدير بذلك
اذ لا دليل عليه بل هو مخالف لما ذكرناه من ان جميع الناس اليوم من ذرية
نوح عليه السلام بنص القران وقد جاء في حديث ايضا امتناع الاحتلام
على الانبياء عليهم السلام وقال نعيم بن حماد حدثنا يحيى بن سعيد حدثني
سليمان بن عيسى قال بلغني انهم عشرون امة ياجوج وماجوج وياجيج واجيج
والغيلانيين والغسليين والترانيين والقوطيين وهو الذي يتحف اذنه
والقوسطيين والكنعانيين والدوانيين والحاجونيين والانطار والبعاسيين
ورؤسهم رؤس الكلاب وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما باسناد جيد الانس
عشرة اجزاء تسعة ياجوج وماجوج وسائر الناس جزء واحد وعن عطية بن
حسان انهم امتان في كل امة اربعمائة الف امة ليس فيها امة تشبه الاخرى وذكر
القرطبي مرفوعا ياجوج امة لها اربعمائة امير وكذلك ماجوج صنف منهم طوله مائة

وعشرون ذراعا قال ويروى انهم يأكلون جميع حشرات الارض من
الحيات والعقارب وكل ذي روح من الطير وغيره وليس لله خلق ينمو نماءهم
في العام الواحد نيه اخولت تداعي الحمام ويعوون عواء الكلاب ومنهم من
له قرن وذنب وانياب بارزة يأكلون اللحوم النيئة وقال ابن عبد البر في
كتاب الامم هم امة لا يقدر احد على استقصاء ذكرهم لكثرتهم ومقدارا رابع العالم
مائة وعشرون سنة وان تسعين منها ياجوج وماجوج وهم اربعون امة
مختلفوا الخلق والقدود في كل امة ملك ولغة منهم من شبه وثب وبعضهم
يغير على بعض ومنهم من لا يتكلم الا همهمة ومنهم مشوهون وفيهم شدة وباس
واكثر طعامهم الصيد وربما اكل بعضهم بعضا وذكر الباجي عن عبد الرحمن بن
ثابت في الارض خمسمائة عام منها ثلثمائة بحور ومائة والتسعون ليأجوج
وماجوج وسبع للحبشة وثلاث لسائر الناس وروى ابن مردويه في تفسيره
عن احمد بن كامل نا محمد بن سعد العوفي ثنا ابي ثنا عمي نا ابي عن ابيه عن ابن
عباس عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنهم قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم
وذكر ياجوج وماجوج لا يموت الرجل منهم حتى يولد لصلبه الف رجل وباسناده
عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعا ياجوج وماجوج امم كثيرة كل امة اربعمائة
الف رجل لا يموت احدهم حتى ينظر الى الف رجل من صلبه كلهم قد حملوا السلاح
الحديث وذكر ابو نعيم ان صنفا منهم اربعة اذرع طولا واربعة اذرع عرضا
يأكلون مشائم نسائهم وعن علي رضي الله عنه صنف منهم في طول شبر له مخاليب
وانياب السباع وتداعي الحمام وعواء الذئب وشعور تقيهم الحر والبرد واذان
عظام احديهما وبرة يشتون فيها والاخرى جلدة يصيفون فيها وفي التذكرة
وصنف منهم كالارز طوله مائة وعشرون ذراعا وصنف يفترش اذنه ويلتحف
بالاخرى ويأكلون من مات منهم وعن كعب الاحبار ان التنين اذا اذى اهل
الارض نقله الله الى ياجوج وماجوج فجعله رزقا لهم فينحرونها كما تنحرون الابل
والبقر ذكره نعيم بن حماد في كتاب الفتن وروى مقاتل بن حيان عن عكرمة
مرفوعا بعثني الله ليلة اسري بي الى ياجوج وماجوج فدعوتهم الى دين الله تعالى

فابوا ان يجيبوا فهم في النار مع من عصى من ولد آدم وولد ابليس وقول الله
عز وجل بالجر عطفا على مدخول الباب وفي بعض النسخ باب قول الله عز وجل
من غير ذكر قصة ياجوج وماجوج قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج
مفسدون في الارض وسيأتي بيان ذلك ان شاء الله تعالى وقول الله تعالى
هو ايضا عطف على ما قبله وفي اكثر الاصول وقع هكذا باب قول الله تعالى يسألونك
عن ذي القرنين الى آخره من غير ذكر قصة ياجوج وماجوج وقول الله عز وجل
قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض ويسألونك عن
ذي القرنين الى قوله سببا كذا في رواية ابي ذر وساق غيره الاية ثم اتفقوا في
قوله طريقا هو قول ابي عبيدة في مجازه وقد سقط قوله طريقا في بعض نسخ البخاري
الى قوله ائتوني زبر الحديد والايات في اواخر سورة الكهف قال الله تبارك
وتعالى ويسألونك عن ذي القرنين السائلون هم اليهود سألوا النبي
صلى الله عليه وسلم على جهة الامتحان وقيل سأله ابو جهل واشياعه وليس
ذو القرنين المذكور في القرآن هو الاسكندر اليوناني الذي بنى الاسكندرية
لان كان وزيره ومعلمه ارسطاطاليس وكان يأتمر بامره وهو من الكفار بلا
شك وذو القرنين المذكور في القرآن عبد صالح ملك الارض شرقا وغربا
قال الزمخشري ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان
ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبخت نصر واختلف فيه فقيل كان عبدا
صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة
فاذا سرى يهديه النور من امامه ويحوطه الظلمة من ورائه وقيل كان نبيا قاله الضحاك
وعبد الله بن عمرو والصحيح وعليه ظاهر القرآن وروى الحاكم من حديث ابي هريرة
رضي الله عنه مرفوعا ما ادري اكان ذو القرنين نبيا ام لا وقيل كان رسولا
وقال الثعلبي والصحيح ان شاء الله تعالى نبيا مرسلا ووزيره الخضر عليه السلام وقيل
كان ملكا من الملائكة وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين
فقال اللهم غفرا رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة
وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور

وسئل عنه فقال احب الله فاحبه واغرب الجاحظ في الحيوان فحكى ان امه
كانت من بني ادم وان اباه كان من الملائكة قال واسم ابيه فيري واسم امه
عبري والله اعلم بصحته ومما يدل على انه ليس الاسكندر اليوناني ما روى الفاكهي
من طريق عبيد بن عمير ان ذا القرنين حج ماشيا فسمع به ابراهيم عليه السلام
فتلقاه ومن طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ذا القرنين دخل
المسجد الحرام فسلم على ابراهيم عليه السلام وصافحه ويقال انه اول من صافح
ومن طريق عثمان بن ساج ان ذا القرنين سال ابراهيم عليه السلام ان يدعو
له فقال وكيف وقد افسدتم بئري فقال لم يكن ذلك عن امري يعني ان بعض
الجند فعل ذلك بغير علمه وذكر ابن هشام في التيجان ان ابراهيم تحاكم الى ذي
القرنين في شيء فحكم له وروى ابن ابي حاتم من طريق علباء بن احمر ان ذا
القرنين قدم مكة فوجد ابراهيم واسمعيل عليهما السلام يبنيان الكعبة
فاستفهمهما عن ذلك فقالا نحن عبدان مأموران فقال من يشهد لكما فقامت
خمسة اكبش فشهدت فقال صدقتما قال الحافظ العسقلاني الاكبش المذكورة
حجارة ويحتمل ان تكون غنما فهذه الاثار يشد بعضها بعضا ويدل على قدم
عهد ذي القرنين ومما يدل عليه ايضا انه كان ذو القرنين من العرب
واما الاسكندر اليوناني فهو من اليونان والعرب كلها من ولد سام بن
نوح عليه السلام بالاتفاق واليونان من ولد يافث بن نوح عليه السلام
فافترقا وفي ايراد المصنف قصة ذي القرنين قبل قصة ابراهيم عليه السلام
اشارة الى توهين قول من زعم انه الاسكندر اليوناني لانه كان قريبا من
زمن عيسى عليه السلام وبين زمن ابراهيم وعيسى عليهما السلام اكثر
من الفي سنة وقيل انه الاسكندر اليوناني واليه ذهب الزمخشري وتبعه القاضي
واختلف في زمانه فقيل في القرن الاول من ولد يافث بن نوح عليه السلام
روي ذلك عن علي رضي الله عنه وانه ولد بارض الروم وقيل كان بعد نمرود
روي ذلك عن الحسن وقيل انه من ولد اسحق من ذرية العيص روي ذلك عن
مقاتل وقيل كان في زمن الفترة بين موسى وعيسى عليهما السلام وقيل في زمان

39

الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام والاصح انه من ولد سام بن نوح
عليه السلام وانه كان في ايام ابراهيم الخليل عليه السلام واجتمع به بالشام و
قيل بمكة كما تقدم واما ما اخرجه الطبري ومحمد بن الربيع من حديث عقبة بن
عامر رضي الله عنه باسناد فيه ابن لهيعة ان رجلا سال النبي صلى الله عليه
وسلم عن ذي القرنين فقال كان من الروم فاعطي ملكا فصار الى مصر
وبنى الاسكندرية فلما فرغ اتاه ملك فعرج به فقال انظر ما تحتك قال ارى مدينة
واحدة قال تلك الارض كلها وانما اراد الله ان يريك وقد جعل لك في الارض
سلطانا فسر فيها وعلم الجاهل وثبت العالم فقد ضعفه الحافظ والله تعالى اعلم
وقال الحافظ العسقلاني والذي يظهر ان الاسكندر ربما لقب بذي القرنين
تشبيها بالمتقدم لسعة ملكه وغلبته على البلاد الكثيرة او لانه لما غلب على الفرس
وقتل ملكهم انتظم له ملك المملكتين الواسعتين الروم والفرس فلقب بذي
القرنين لذلك والحق ان الذي قص الله نبأه في القران هو المتقدم ثم انه قد
اختلف في اسمه فروى ابن مردويه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما انه
عبد الله بن الضحاك بن سعد بن عدنان واسناده ضعيف جدا وهو مباين
لما تقدم انه كان في زمن ابراهيم عليه السلام فكيف يكون من ذريته لا سيما
على قول من قال كان بين عدنان وابراهيم عليه السلام اربعون ابا وقيل
اسمه الهميسع ذكره الهمداني قال وكنيته ابو الصعب بن عمرو بن عريب بن
زيد بن كهلان بن سبا وقيل مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور
بن عبد الله بن الازد بن غوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن قحطان
وقيل باسقاط عبد الله الاول وقيل اسمه الصعب وبه جزم كعب الاحبار وذكره
ابن هشام في التيجان عن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا واصح ما قيل
في اسمائه الصعب لكثرة القائلين به ولوروده في كثير من اشعار العرب
وقال الاعشى بن قيس بن ثعلبة • والصعب ذو القرنين امسى ثاويا •
بالحنو في جدث هناك مقيم • والحنو بكسر المهملة وسكون النون في ناحية
العراق وقال الربيع بن ضبع • والصعب ذو القرنين عمر ملكه • الفين

امسى بعد ذاك رميما • وقال قيس بن ساعدة • والصعب ذو القرنين
اصبح ثاويا • باللحد بين ملاعب الارياح • ووقع ايضا مثله في شعر امرئ القيس
واوس بن حجر وطرفة بن العبد وغيرهم • وقد اختلف في اسم ابيه ايضا فقال
كعب هو ابو مراثد وقال الهمداني هو مالك بن الحارث رائش بن الحارث
بن مالك بن سبا وقيل عبد الله بن قحطان وقيل مرزبه وقيل مرزبان بن مرزبه
الاخير رأى والاب بدال وقيل هو هرمس بن هردس وهذا ليس من اسماء العرب
ولا الذي قبله وحكى القرطبي انه قيل فيه فريدون الذي قتل الضحاك الجبار
وفيه يقول ان ح • فكانه الضحاك في فتكاته • بالعالمين وانت افريدونا
وللضحاك قصة طويلة ذكرها الطبري وغيره وان افريدون قد عده في ملوك
الفرس الاول والاقوى ان ذا القرنين من العرب كما تقدم ويدل على ذلك
قول تبع قد كان ذو القرنين قبلي مسلما • ملكا يدين له الملوك وتحشد • من
بعده بلقيس كانت عمتي • ملكتهم حتى اتاها الهدهد • وقال الحارث الفنحر
يكون ذو القرنين من العرب يخاطب قوما من سفر سموا له واحد اسلكم فيخوفه
في الجاهلية لا اسم يماثل محتملا • كالتبعين وذي القرنين يقبله • اهل الحجى واحق
القول ما قبلا • وقال النعمان بن بشير • ومن ذا يعادينا من الناس معشر
كرام وذو القرنين منا وحاتم • وقد جاء في حديث انه من حمير وامه رومية
وانه كان يقال له ابن الفيلسوف لعقله وذكر ابن هشام انه اول التبابعة
وذكر مقاتل انه من حمير وقد ابوه ارض الروم فتزوج امرأة من غسان فولدت
له ذا القرنين وقال وهب بن منبه وسمي الاسكندر ابن هيابرك هو
الاسكندر اليوناني في الاسم وكثير من الناس يخلطون في هذا ويزعمون ان
الاسكندر المذكور في القرآن هو الاسكندر اليوناني وهو زعم فاسد على ما تقدم
ثم انه قد اختلف في سبب تسميته ذا القرنين فقيل لانه بلغ المشرق والمغرب قطري
الارض وقيل لانه ملكهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف
قرني الدنيا يعني جانبيها شرقا وغربا وقيل كان في راسه شبه قرنين او صفيرتان تتواريهما
العمامة والعرب تسمي الخصلة من الشعر قرنا وفي الناس ضفائرهم وتسمية

في حديث ام عطية في غسل ابنته وامرنا ان نجعل راسها ثلثة قرون ومنه
قول جميل • فلثمت فاها آخذا بقرونها • وقيل كان له غديرتان من شعر يطا
فيهما • وقيل كان صفحتا راسه من نحاس روي ذلك عن مجاهد وقيل
كان له قرنان وقيل لانه عمر حتى انقرض في زمانه قرنان من الناس
وقيل كان في راسه ما يشبه القرنين وقيل رأى انه قبض على قرني الشمس وقيل
لان قرني الشيطان عنده مطلع الشمس وقد بلغه وعن وهب لانه ملك الروم
والفارس وروي الروم والترك وقيل لانه كان كريم الطرفين الاب والام كانا
من بيوت شرف وقيل لانه كان اذا قاتل قاتل بيديه وركابيه جميعا وسأل
ابن الكواء عليا رضي الله عنه ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك
ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه
الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين يعني دعا قومه
الى التوحيد فضربوه على قرنه فمات ثم بعث فضربوه على قرنه الاخر فمات ثم بعث
وقيل لانه اعطي علم الظاهر والباطن حكاه الثعلبي وقيل عن الربيع لانه دخل
ارض النور وارض الظلمة مع وزيره الخضر وفاته عين الحيوة ودخلها الخضر
فاغتم لذلك غما شديدا فايقن بالموت فمات بدومة الجندل وكان منزله دي
حكاه علي رضي الله عنه وقيل بشهرزور وقيل بارض بابل وكان قد ترك الدنيا
وتزهد وهو الاصح وقيل مات بالقدس ذكره ابو بكر الواسطي الخطيب في فضائل القدس
قيل وكان عمره ما سار في الارض في البلاد منذ يوم بعثه الله تعالى الى ان قبض
خمسمائة عام وقال مجاهد عاش الف سنة مثل ادم عليه السلام وقيل كان مدة
ملكه الفي سنة وكان في زمن الخليل عليه السلام وقيل عاش الى ان ادركه سيل العرم
وقال ابن عباس رضي الله عنهما بلغني انه عاش ستا وثلثين سنة وقيل
ثنتين وثلثين سنة والله تعالى اعلم قل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
سأتلوا عليكم قال الزمخشري الخطاب لاحد الفريقين منه ذكرا اي من اخباره
وقصصه انا مكنا له في الارض من كل شيء اي من اسباب كل شيء اراده من اغراضه
ومقاصده في ملكه سببا طريقا يوصل اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود

من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ
وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع سببا ويقال
سهلنا عليه الامر في السير في الارض حتى بلغ مشارقها ومغاربها قال علي رضي
الله عنه سخر الله له السحاب فحمل عليه وبسط له النور فكان الليل والنهار
سواء عليه وابن عباس رضي الله عنهما في قوله وآتيناه من كل شيء سببا
اي علما يتسبب به الى ما يريد وقيل علما بالطرق وممالك فسخرنا له اقطار
الارض كما سخر الريح لسليمان عليه السلام وقيل جعل له في كل امة سلطانا
وهيبة وقيل ما يستعين به على لقاء العدو حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها
تغرب في عين حمئة اي ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت فيها الحمأة
ومن قرأ حامية فقيل معناه مثل الاول وقيل حارة ويجوز ان تكون حارة
وذات حمأة وعن ابي ذر رضي الله عنه كنت رديف رسول الله صلى الله
عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال اتدري يا ابا ذر اين
تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وهي قراءة
ابن مسعود وطلحة وابن عمر وابن عمرو بن العاص والحسن وكذا قراءة
ابن عامر وحمزة والكسائي وشعبة وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما حمئة وهي
قراءة نافع وابن كثير وابي عمرو وحفص ووجد عندها قوما اي وجد عند العين
او عند نهاية العمارة قوما لباسهم جلود السباع وليس لهم طعام الا ما احرقته
الشمس من الدواب اذا غربت نحوها وما لفظته العين من الحيتان اذا وقعت
وعن ابن السائب هناك قوم مؤمنون وقوم كافرون قلنا يا ذا القرنين
من قال انه نبي قال هذا قول ووحي ومن منع ذلك قال انه الهام اي بالارشاد
وتعليم الشرائع اما ان تعذب اي بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا
قال الزمخشري كانوا كفرة فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى
الاسلام فاختار الدعوة وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة
القتل ويؤيد الاول قوله تعالى قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه
عذابا نكرا يعني اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره واستمر على ظلمه العظيم

الذي هو الشرك فنعذبه ومن بقي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله
في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله وعن قتادة كان يطبخ من كفر في
القدور وهو العذاب النكر واما من آمن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه
الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى اي جزاء فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائي
وحفص ويعقوب جزاء منونا منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى
اي الجنة مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اي يجزى بها جزاء
وعن قتادة ومن آمن اعطاه كتابه وسنقول له من امرنا اي مما
نأمر به يسرا سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر اي لا نأمره بالصعب
الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك ثم اتبع سببا
اي ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس اي الموضع
الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار
مضاف اي مكان مطلع الشمس فانه مصدر وجدها تطلع على قوم
قيل هم الزنج لم نجعل لهم من دونها اي من دون الشمس وامامها سترا من
اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع
الشمس اكثر من جميع اهل الارض وقيل من البناء وعن كعب الاحبار
ان ارضهم لا تمسك الابنية لا يستقر عليها الابنية وقد اتخذوا
اسرابا فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم
وحروثهم وعن الحسن كانت ارضهم على شاطئ البحر على الماء لا تحمل البناء
فاذا طلعت عليهم الشمس دخلوا في الماء واذا ارتفعت عنهم خرجوا وعن
بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك
وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى
ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال
فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم
يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هو فوق الماء كهيئة الزيت
فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون ولم

السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم والله تعالى اعلم كذلك اي امر ذي
القرنين كما وصفنا في رفعة المكان وبسطة الملك تعظيما لامره او امره
فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار وقيل لم نجعل لهم سترا مثل
ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الابنية والجبال والحصون والاكنان من
جنس الثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ
مغربها وقيل تطلع الشمس على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني
انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه
الى من آمن منهم وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات واسباب
الملك خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت
مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعني طريقا ثالثا
معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا
بلغ بين السدين اي الجبلين المبني بينهما سد ذي القرنين وهما جبلا
ارمينية وآذربيجان وقيل جبلان في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك
مما يلي المشرق ومبني من ورائهما ياجوج وماجوج وقرا نافع وابن عامر
وحمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان
قاله الكسائي وقيل ما كان من خلق فهو مضموم وما كان من عمل العباد
فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله و
خلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس قاله ابو عمرو بن
العلا وقيل بالعكس وقيل بالفتح ما رايته وبالضم ما توارى عنك وقد
فسر البخاري السدين بقوله والسدين الجبلين روى ابن ابي حاتم
من حديث عقبة بن عامر مرفوعا في قصة ذي القرنين فانه صار حتى
بلغ مطلع الشمس ثم اتى السدين وهما جبلان لينان يزلق عنهما كل شيء
في اسناده ضعف وانتصب بين على انه مفعول به ببلوغ كما انجر على
الاضافة في قوله تعالى هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد
تقطع بينكم لانه من الظروف المتصرفة التي تستعمل اسما وظرفا وجد من

دونهما اي امام السدين قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا لا
يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها لغرابة لغتهم و
قلة فطنتهم وقرا حمزة والكسائي لا يفقهون بضم اليا وكسر القاف
اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين
اي قال مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه قال الذين من
دونهم ان ياجوج وماجوج قال القاضي قبيلتان من ولد يافث بن نوح
عليه السلام وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم وهما اسمان
اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما
الهمز كما قرا عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتانيث هذا وقراءة ياجوج
وماجوج وقدم التفصيل في ذلك مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل
والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا ياكلون
شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منه قتلا واذى
شديدا وقيل كانوا ياكلون وقيل كانوا يفعلون فعل قوم لوط فهل
نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا وقرا حمزة والكسائي خراجا وكلاهما
واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر
وقد فسر البخاري قوله خرجا بقوله خرجا اجرا روى ابن ابي حاتم من
طريق ابن جريج عن عطا عن ابن عباس رضي الله عنهما خرجا قال
اجرا عظيما على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم علينا وقد
ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي قال اي ذو القرنين ما مكني فيه
ربي خير اي ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار والملك خير مما
تبذلون لي من الخراج فلا حاجة لي اليه كما قال سليمان عليه السلام فما آتاني
الله خير مما اتاكم وقرا ابن كثير مكنني على الاصل فاعينوني بقوة بفعلة و
صناع يحسنون البنا والعمل او بما اتقوى به من الالات اجعل بينكم
وبينهم ردما حاجزا حصينا موثقا والردم اكبر من السد من قولهم ثوب
مردم اذا كان رقاع فوق رقاع اتوني زبر الحديد اي قطعه الزبرة

القطعة الكبيرة وهو لا ينافي والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى
المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ائتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة
على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في ائتوني الخبر ولان اعطاء
الالة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل وقد فسر البخاري الزبر
واحدها زبرة وهي القطع وهكذا فسره ابو عبيدة حيث قال زبر الحديد
اي قطع الحديد واحدتها زبرة حتى ساوى بين الصدفين بفتحتين جانبي
الجبل لانهما يتصادفان اي يتقابلان وقرا ابن كثير وابن عامر والبصريان
بضمتين وابو بكر بضم الصاد واسكان الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال
وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الاخر وقد
فسر البخاري الصدفين حتى اذا ساوى بين الصدفين يقال عن ابن
عباس رضي الله عنهما الجبلين وصله ابن ابي حاتم من طريق علي بن ابي
طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله بين الصدفين قال
بين الجبلين وقال ابو عبيدة قوله بين الصدفين اي ما بين الناحيتين
من الجبلين قال انفخوا اي قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد حتى اذا
جعله نارا اي جعل المنفوخ كالنار بالاحماء قال اتوني افرغ عليه قطرا
اي اتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول للدلالة الثاني عليه وبه تمسك
البصريون على ان اعمال الثاني في باب تنازع العاملين اولى اذ لو كان
قطرا مفعول اتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس والقطر النحاس
المذاب لانه يقطر وقرا حمزة وابو بكر قال ائتوني موصولة الهمزة قال البخاري
قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال اتوني افرغ عليه قطرا اصب عليه قطرا رصاصا
فسر قوله قطرا بقوله رصاصا وهو بكسر الراء وفتحها ثم قال وقال الحديد اي القطر
هو الحديد حكاها ابو عبيدة قال في قوله افرغ عليه قطرا اي اصب عليه
حديدا ذائبا وجعله قوم الرصاص ويقال الصفر بضم الصاد وكسرها وفي
المغرب الصفر النحاس الجيد الذي يعمل منه الانية روى ابن ابي حاتم
من طريق الضحاك قال افرغ عليه قطرا قال صفرا وقال ابن عباس رضي

الله عنهما النحاس وصله ابن ابي حاتم باسناد صحيح الى عكرمة عن ابن عباس
قال افرغ عليه قطرا ومن طريق السدي قال القطر النحاس وبناه لهم
بالحديد والنحاس ومن طريق وهب بن منبه قال شرفه بزبر الحديد والنحاس
المذاب وجعل خلاله عرقا من نحاس واصفر فصار كانه برد محبر من
صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا
من تلاقي متقاربين وقرا حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على
غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه اي يعلوه بارتفاعه
وانملاسه وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته قيل حفر للاساس حتى
بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان
من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين وساوى
اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب
على الحديد المحمي فاختلط والتصق بعضها ببعض وصار جبلا صلدا وقيل
بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس
مذاب في تجاويفها قيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ قال البخاري فما
اسطاعوا ان يظهروه يعلوه وهكذا فسره ابو عبيدة قال فما اسطاعوا
ان يظهروه اي ان يعلوه تقول ظهرت فوق الجبل اذا علوته استطاع
استفعل من طعت له فلذلك فتح استطاع يستطيع اشار به الى ان فما اسطاعوا
الذي بلا تاء مثناة فوقية جمع مفرده استطاع ووزنه في الاصل استفعل
لانه من طعت له بضم الطاء وسكون العين لانه من باب نصر ينصر وهو
اجوف واوي من الطوع تقول طاع له وطعت له مثل قال له وقلت له
ولما نقل طاع الى باب الاستفعال صار استطاع على وزن استفعل ثم حذفت
التاء للتخفيف بعد نقل حركتها الى الهمزة فصار اسطاع بفتح الهمزة وسكون
السين واشار الى هذا بقوله فلذلك فتح اسطاع يسطيع اي فلاجل حذف
التاء ونقل حركتها الى الهمزة قيل اسطاع يسطيع بفتح الهمزة في الماضي وفتح
الياء في المستقبل كذا قال العيني والظاهر ما قال الكرماني ما حاصله انه حذف التاء

منه ولذلك بفتح حرف المضارعة من يستطيع اذ لو كان افعل من الطاعة
وزيد فيه السين لكان مضارعه يستطيع بضم حرف المضارعة وقال بعضهم
استطاع بفتح الهمزة يستطيع بضم اليا على انه افعل زيد فيه السين وما استطاعوا
له نقبا اشارة الى ان التصرف المذكور كان في قوله فما اسطاعوا ان يظهروه
واما قوله وما استطاعوا له نقبا فعلى الاصل من باب الاستفعال قال هذا
اي السد او الاقتدار على تسويته رحمة من ربي على عباده ونعمة عظيمة
لهم فاذا جاء وعد ربي اي وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او اذا دنا
مجي يوم القيمة وشارف ان ياتي جعله دكا اي جعله مدكوكا مبسوطا مسوى
بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط
السنام وقرا الكوفيون دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا
كائنا لا محالة وهو آخر حكاية ذي القرنين وقال البخاري قال هذا رحمة ربي
فاذا جاء وعد ربي جعله دكا الزقه بالارض اي جعله مستويا بالارض قال
ابو عبيدة جعله دكا اي تركه مدكوكا اي الزقه بالارض وناقة دكاء لا سنام
لها يعني يقال ناقة دكاء اي لا سنام لها مستوية الظهر والعرب تصف الفاعل
والمفعول بمصدرهما فمن ذلك جعله دكا اي مدكوكا والدكداك من الارض
مثله اي الملتصق بالارض المستوي بها حتى صلب وتلبد وقال الجوهري الدكداك
من الرمل ما تلبد منه بالارض ولم يرتفع وكان وعد ربي حقا قد عرفت
انفا ان هذا آخر حكاية ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض
وهذا ابتداء كلام آخر له نوع تعلق بما قبله على احد التفسيرين اي وتركنا بعض
ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في بعض مزدحمين
في البلاد وروي انهم يأتون البحر ويشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون
الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان يأتوا مكة
والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله تعالى النغف في اقفائهم فيدخل آذانهم
فيموتون والنغف بالتحريك والنغف محركة الدود الذي يكون في انوف الابل
والغنم وروى الترمذي من حديث السدي عن ابي هريرة رضي الله عنه

وفيه فيخرجون على الناس فيستقون المياه وفي تفسير مقاتل فاذا خرجوا فيشرب
44 اولهم دجلة والفرات حتى يمر آخرهم فيقول قد كان ههنا مرة ماء او المعنى
وتركنا بعض الخلق يوم القيمة يموج اي يضطرب ويختلط في بعض انسهم
وجنهم وهم حيارى من شدة يوم القيمة حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج
وهم من كل حدب ينسلون وبعض النسخ باب حتى اذا فتحت الى آخره حتى
هذه حرف ابتداء الجملة الا انها تقتضي جوابا هو المقصود وذكره قبل جوابه
واقترب الوعد الحق والواو زائدة كما في قوله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت
ابوابها والمعنى ان حرمة رجوع اهل قرية اهلكها الله تعالى واقعة مستمرة الى
قيام الساعة وظهور اماراتها وهي فتح سد ياجوج وماجوج فحتى متعلقة بقوله
حرام وغاية له وقرا ابن عامر ويعقوب بالتشديد وحذف المضاف الى
ياجوج وماجوج وهو سدها كما حذف المضاف الى القرية وهو اهلها وقد
تقدم ان ياجوج وماجوج قبيلتان من سام بن نوح عليه السلام على
ما هو الاصح وقيل من ولد يافث وانه روى ابن مردويه والحاكم من حديث
حذيفة رضي الله عنه مرفوعا ياجوج امة وماجوج امة كل امة اربعمائة الف
رجل لا يموت احدهم حتى ينظر الى الف رجل من صلبه كلهم قد حملوا السلاح
لا يمرون على شيء اذا خرجوا الا اكلوه ويأكلون من مات منهم وذكر ابن هشام
في التيجان ان امة منهم آمنوا بالله فتركهم ذو القرنين لما بنى السد بارمينية
فسموا الترك لذلك وقد يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج
وغيرهم الى الناس مسوقين الى المحشر وقيل هم ياجوج وماجوج يخرجون
حين يفتح السد والحدب النشز من الارض اي المرتفع وقرا ابن عباس
رضي الله عنهما من كل جدث وهو القبر وينسلون اي يسرعون من النسلان
وهو مقاربة الخطو مع الاسراع كمشي الذئب اذا بادر والعسلان بالعين
المهملة مثله وقرئ ينسلون بضم السين ايضا قال قتادة حدب اكمة يعني
ان قتادة فسر الحدب بالاكمة وهي الارض المرتفع وقال رجل للنبي صلى الله
عليه وسلم رايت السد مثل البرد المحبر بضم الباء وهو نوع من الثياب معروف

ويجمع ابراد وبرود والبردة الشملة المخططة والمحبر بالحاء المهملة وتشديد الموحدة
المفتوحة اي خط ابيض وخط اسود او احمر فقال رايته اي رايته صحيحا
وانت صادق في ذلك وهذا التعليق وصله ابن ابي عمر من سعيد عن
قتادة عن رجل من اهل المدينة انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
قد رايت سد ياجوج وماجوج قال كيف رايته قال مثل البرد المحبر طريقة حمراء
وطريقة سوداء قال قد رايته ورواه الطبراني من طريق سعيد عن قتادة
عن رجلين عن ابي بكرة ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال فذكر
نحوه واخرجه البزار من طريق يوسف بن مريم الحنفي عن ابي بكرة ورجل راى
السد فسطولا واخرجه ابن مردويه في تفسيره عن سليمان بن احمد
اخبرنا احمد بن محمد بن يحيى اخبرنا ابو الجماهر اخبرنا سعيد بن بشير عن قتادة
عن رجلين عن ابي بكرة الثقفي ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اني قد رايته يعني السد فقال كيف هو قال كالبرد المحبر قال
قد رايته قال حدثنا قتادة قال طريقة حمراء من نحاس وطريقة سوداء
من حديد وقال نعيم بن حماد في كتاب الفتن حدثنا سلمة بن علي ثنا سعيد
بن بشير عن قتادة قال قال رجل يا رسول الله قد رايت الردم وان الناس
يكذبونني فقال كيف رايته قال رايته كالبرد المحبر قال صدقت والذي نفسي
بيده لقد رايته ليلة الاسراء لبنة من ذهب ولبنة من رصاص وقال الحوفي
في تفسيره وبعد ما بين الجبلين مائة فرسخ فلما اخذ ذو القرنين في عمله حفر له
اساسا حتى بلغ الماء وجعل عرضه خمسين فرسخا وجعل حشوه الصخور
وطينه النحاس المذاب فبقي كانه عرق من جبل تحت الارض ثم علاه وشرفه
بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقا من نحاس فصار كانه
برد محبر حدثنا يحيى بن بكير هو يحيى بن عبد الله بن بكير ابو زكريا المخزومي
قال حدثنا الليث اي ابن سعد عن عقيل بضم العين هو ابن خالد مولى
عثمان بن عفان رضي الله عنه عن ابن شهاب محمد بن مسلم الزهري عن
عروة بن الزبير اي ابن العوام ان زينب بنت ابي سلمة عبد الله بن عبد

الاسد المخزومية وزينب ربيبة النبي صلى الله عليه وسلم اخت عمر بن ابي سلمة
وامهما ام سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن ام حبيبة
رملة بنت ابي سفيان صخر بن حرب بن امية وام حبيبة زوج النبي صلى
الله عليه وسلم ايضا عن زينب ابنة جحش اي ابن رئاب زوج النبي صلى
الله عليه وسلم ايضا ومن لطائف هذا الاسناد ان فيه ثلث صحابيات
يروي بعضهن عن بعض وهو من النوادر وانذر منه ما في احدى روايات
مسلم اربع من الصحابيات وهو انه روى اولا وقال حدثني عمرو الناقد
حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن زينب بنت ام سلمة
عن ام حبيبة عن زينب بنت جحش ان النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ
من نومه وهو يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم
من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وعقد سفيان بيده عشرة الحديث
ثم روى وقال حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة وسعيد بن عمرو الاشعثي وزهير بن
حرب وابن ابي عمر قالوا حدثنا سفيان عن الزهري بهذا الاسناد وزادوا
في الاسناد عن سفيان فقالوا عن زينب بنت ابي سلمة عن حبيبة عن ام
حبيبة عن زينب بنت جحش واخرجه الترمذي ايضا وقال حدثنا سعيد بن
عبد الرحمن المخزومي وغير واحد قالوا ثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن
زينب بنت ابي سلمة عن حبيبة عن ام حبيبة عن زينب بنت جحش رضي الله
عنهم قالت استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوم محمرا وجهه وهو
يقول لا اله الا الله يرددها ثلث مرات ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم
من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وعقد عشرا الحديث واخرجه ابن ماجة
عن ابي بكر بن ابي شيبة عن سفيان بن عيينة عن الزهري الى اخره نحوه وفيه
وعقد بيده عشرة وقال الترمذي قال الحميدي عن سفيان بن عيينة حفظت
من الزهري في هذا الاسناد اربع نسوة زينب بنت ابي سلمة عن حبيبة
وهما ربيبتا النبي صلى الله عليه وسلم عن ام حبيبة عن زينب بنت جحش
زوجي النبي صلى الله عليه وسلم وقال النووي وحبيبة وهذه هي بنت ام حبيبة

ابنة ابي سفيان ولدتها من زوجها عبيد الله بن جحش الذي كانت عنده
قبل النبي صلى الله عليه وسلم هذا وذكره ابو عمر في الاستيعاب في كتاب النساء
فقال حبيبة بنت ابي سفيان قال ابان بن صمعة سمع محمد بن سيرين يقول
حدثتني حبيبة بنت ابي سفيان سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من
مات له ثلاث من الولد الحديث ولم يرو عنها غير محمد بن سيرين ولا يعرف لابي
سفيان ابنة يقال لها حبيبة والذي نظنه انها حبيبة بنت ام حبيبة ابنه
اي سفيان بن عيينة تاكيدا لما قاله ان حبيبة بنت ام حبيبة وليست بنت
ابي سفيان والله تعالى اعلم **ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها** اي على
زينب بنت جحش **فزعا** نصب على الحال وانما دخل عليها على هذه الحالة خشية
ان يدركه وفيهم لما فيه من الحرج وهلاك الدين **يقول لا اله الا الله ويل**
للعرب كلمة ويل للحزن والهلاك ومشقة من العذاب وكل من وقع في الهلكة
يدعى بالويل وانما خص العرب لاحتمال انه اراد ما وقع من قتل عثمان رضي الله
عنه بينهم وقيل يحتمل انه اراد ما سيقع من مفسدة ياجوج وماجوج لان
معظم مفسدتهم راجع اليهم وقد وقع ما اخبر بعض به صلى الله عليه وسلم
حيث يقال ان ياجوج هم الترك وقد وقع منهم من المفاسد العظيمة في بلاد
المسلمين ما وقع وقد اهلكوا الخليفة المعتصم وجرى ما جرى ببغداد **من شر**
قد اقترب فتح اليوم من ردم اي من سد **ياجوج وماجوج** يقال ردمت
الثلمة اي سددتها الاسم والمصدر سواء وذلك انهم يحفرون كل يوم حتى
لا يبقى بينهم وبين ان يخرقوا النقب الا يسيرا فيقولون غدا انا نفرغ
منه فياتون بعد الصباح فيجدونه عاد كهيئته فاذا جاء الوقت قالوا عند المساء
غدا ان شاء الله نفرغ فيفتحونه ويخرجون اخرجه ابن مردويه في تفسيره من
ابي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما وفي تفسير مقاتل يغدون اليه في كل يوم فيعالجونه
حتى يولد فيهم رجل مسلم فاذا غدوا عليه قال لهم المسلم قولوا بسم الله فيعالجونه
حتى يتركونه رقيقا كقشر البيض ويرون ضوء الشمس فيقول المسلم قولوا بسم الله غدا
ان شاء الله فيفتحونه الحديث **مثل هذه وحلق باصبعيه الابهام والتي تليها** يعني

جعل الاصبع السبابة في اصل الابهام وضمهما حتى لم يبق بينهما الا خلل يسير
وهو من مواضعات الحساب وظاهر هذا يدل على ان الذي فعل هذا هو
النبي صلى الله عليه وسلم وقد مر في حديث مسلم من طريق سفيان بن عيينة
وعقد سفيان بيده عشرة وفي رواية البخاري ايضا في كتاب الفتن
وعقد سفيان تسعين او مائة وياتي ايضا من حديث ابي هريرة رضي
الله عنه فتح الله من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين
وجاء في رواية مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه من طريق وهيب عن عبد الله
بن طاوس عن ابيه عنه وفيه وعقد وهيب بيده تسعين فههنا ثلثة
اشيا الاول الاختلاف في العاقد والثاني الاختلاف في العدد والثالث ان
هذا الحديث يعارضه قوله صلى الله عليه وسلم انا امة امية لا نكتب ولا نحسب
فالجواب عن الاول ما اشار اليه كلام ابن العربي ان نقل العقد مدرج و
ليس منه صلى الله عليه وسلم وانما الرواة عبروا عن الاشارة التي في قوله
صلى الله عليه وسلم مثل هذه في حديث الباب وغيره وذلك لانهم لم
يثبتوا تلك الاشارة وعن الثاني ما قاله القاضي عياض ان المراد التقريب
بالتمثيل لا حقيقة التحديد وعن الثالث ان قوله صلى الله عليه وسلم انا امة
الحديث لبيان صورة خاصة معينة **فقالت** ويروى قالت بدون الفاء
وهو الظاهر **زينب بنت جحش فقلت يا رسول الله انهلك** بالنون وكسر
اللام وحكي فتحها **وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث** قال الكرماني بفتح
الخاء المعجمة والباء الموحدة وفسره الجمهور بالفسوق والفجور وقيل المراد الزنا
خاصة وقيل اولاد الزنا والظاهر انه المعاصي مطلقا ومعنى ان الخبث اذا
كثر فقد يحصل الهلاك وان كان هناك صالحون ومطابقته الحديث للترجمة
ظاهر **حدثنا مسلم بن ابراهيم قال اخبرنا وهيب** مصغر وهيب هو ابن خالد
البصري قال **اخبرنا ابن طاوس** هو عبد الله بن طاوس **عن ابيه عن**
ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فتح الله من ردم
ياجوج وماجوج مثل هذا وعقد بيده تسعين ومطابقته الحديث للترجمة

طاهر وقد اخرجه البخاري في الفتن ايضا وكذا اخرجه مسلم فيه حدثنا اسحق بن
نصر هو اسحق بن ابراهيم بن نصر بسكون المهملة البخاري قال اخبرنا ابو اسامة
حماد بن اسامة عن الاعمش سليمان بن مهران انه قال اخبرنا ابو صالح ذكوان
الزيات عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يقول الله تبارك وتعالى اي يوم تقوم الساعة يا ادم فيقول لبيك
وسعديك وقد مضى تفسير لبيك في التلبية في الحج وقوله سعديك اي ساعدت
طاعتك مساعدة بعد مساعدة واسعادا بعد اسعاد ولهذا ثني وهو من
المصادر المنصوبة بفعل لا يظهر في الاستعمال وقال الجرمي لم يسمع سعديك مفردا
والخير في يديك اي ليس لاحد معك فيه شرك فيقول اخرج بعث النار اخرج
امر من الاخراج وبعث النار بالنصب مفعوله وهو بفتح الموحدة وبالمثلثة
بمعنى مبعوث ويقال بعث النار حزبه اي اخرج من بين الناس الذي
هو من اهل النار وميزهم وابعث اليها قال وما بعث النار قال من كل الف
تسعمائة وتسعة وتسعين اي اخرج من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه من مائة تسعة وتسعين وفي الترمذي
مثله عن عمران وصححه وعن انس كذلك اخرجه ابن حبان في صحيحه وروى
عن عمران اني لارجو ان تكونوا شطر اهل الجنة ثم قال ارجو ان تكونوا اكثر اهل
الجنة فعنده اي عند قول الله عز وجل لادم عليه السلام ذلك يشيب
الصغير وتضع كل ذات حمل حملها فان قيل يوم القيمة ليس فيه حمل ولا وضع
فالجواب ان ذلك مجاز عن الهول والشدة يعني لو تصورت هناك
الحوامل لوضعن حملها كما تقول العرب اصابنا امر يشيب منه الولدان
وقيل هو عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا فيكون حقيقة وترى
الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قالوا يا رسول
الله واينا ذلك الواحد قال ابشروا فان منكم رجلا ومن ياجوج ماجوج الفا
ويروى رجل والف بالرفع على انه مبتدأ مؤخر بتقدير ضمير الشان في ان ثم
قال والذي نفسي بيده ارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا اي عظمنا ذلك

وقلنا الله اكبر سرورا بهذه البشارة العظيمة فقال ارجو ان تكونوا ثلث
41 اهل الجنة فكبرنا قال ارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة فكبرنا فان قيل لم ذكر الربع
اولا ثم الثلث ثم النصف فالجواب ان ذلك اوقع في النفس وابلغ في الاكرام فان
تكرار الاعطاء مرة بعد اخرى يدل على الملاحظة والاعتناء به وفيه ايضا حملهم على
تجديد شكر الله وتكبيره وتحميده على كثرة نعمه قال ما انتم في الناس الا كالشعرة
السوداء في جلد ثور ابيض او كشعرة بيضاء في جلد ثور اسود وهذا تنويع من
رسول الله صلى الله عليه وسلم او شك من الراوي وجاء فيه تسكين العين
وفتحها فان قيل اذا كانوا كالشعرة فكيف يكونون نصف اهل الجنة فالجواب انه
اشارة الى كثرة اهل النار كثرة لا نسبة لها الى اهل الجنة والله تعالى اعلم و
مطابقة الحديث للترجمة في قوله ومن ياجوج وماجوج الف والحديث اخرجه
البخاري في تفسير سورة الحج ايضا باب قول الله عز وجل واتخذ الله ابراهيم
خليلا وتمام الاية ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه
لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه
على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن عامل للحسنات تارك
للسيئات واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها
حنيفا مائلا عن سائر الاديان وهو حال من المتبع او من ملة او من ابراهيم
واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند
خليله انما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما لشانه وتنصيصا على انه ممدوح وابراهيم
بالسريانية معناه اب رحيم لرحمته الاطفال ولذلك جعل هو وسارة
كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون الى يوم القيمة وسيأتي عن قريب
وقال الجواليقي ابراهيم ابرهم ابراهم ابراهام والخليل فعيل بمعنى فاعل وهو من
الخلة بالضم وهي الصداقة والمحبة تخللت القلب فصارت خلاله وهذا صحيح
في النسبة الى قلب ابراهيم عليه السلام من حب الله تعالى واما اطلاقه في حق
الله فعلى سبيل المقابلة ويقال الخلة اصلها الاصطفاء وسمي بذلك لانه
يوالي ويعادي في الله وخلة الله له نصره وجعله اماما وقيل هو مشتق من

الخلة بفتح المعجمة وهي الحاجة سمي بذلك لانقطاعه الى ربه وقصره حاجته
عليه وقيل من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال وقيل من
التخلل فان كل واحد من الخليلين يتخلل الاخر او من الخل بمعنى الطريق في
الرمل فانهما يتوافقان في الطريقة والخلة استصفاء صرح بها للترغيب في اتباع
ملته والايذان بانه في نهاية من الحسن وغاية من كمال البشر وقد ذكر ابن جرير
في تفسيره عن بعضهم انما سماه الله خليلا لانه بعث الى خليل له من اهل
الموصل او من اهل مصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو
كان ابرهيم يريده لنفسه لفعلت ولكن انما يريد للاضياف وقد اصابنا ما
اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة ذات رمال فملؤا منها الغرائر حياء
من الناس فلما اخبروه ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة رضي
الله عنها الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابرهيم
عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال عليه السلام من اين هذا لكم فقالت
رضي الله عنها من خليلك المصري او الموصلي فقال بل من عند خليلي الله
جل جلاله فسماه الله خليلا وقيل انما سمي خليلا لشدة محبته لربه عز وجل و
محبة ربه له لما قام له من الطاعات التي يحبها ويرضاها وقد جاء من
طريق جندب بن عبد الله البجلي وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله
بن مسعود رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
اتخذني خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا وقال ابن ابي حاتم باسناده الى
عبيد بن عمير قال كان ابرهيم عليه السلام يضيف الناس فخرج يوما
يلتمس انسانا يضيفه فلم يجد احدا يضيفه فرجع الى داره فوجد فيها
رجلا قائما فقال يا عبد الله ما ادخلك داري بغير اذن قال دخلتها باذن
ربها قال ومن انت قال ملك الموت ارسلني ربي الى عبد من عباده ابشره
بان الله قد اتخذه خليلا قال من هو فوالله ان اخبرتني ثم كان باقصى
البلاد لاتيته ثم لا ابرح له جارا حتى يفرق بيننا الموت قال ذلك العبد
انت قال نعم قال فبم اتخذني ربي خليلا قال انك تعطي الناس ولا تسالهم

واختلف في نسبه فقيل انه ابرهيم بن آزر واسمه تارح بمثناة وراء
مفتوحة واخره حاء مهملة بن ناحور بنون ومهملة ومضمومة بن
شاروخ بمعجمة وراء مضمومة واخره خاء معجمة بن راغو بغين معجمة
بن فالخ بفاء ولام مفتوحة بعدها معجمة بن عبير ويقال عابر وهو بمهملة
وموحدة بن شالخ بمعجمتين بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام
لا يختلف جمهور اهل النسب ولا اهل الكتاب في ذلك الا في النطق ببعض
هذه الاسماء وقيل هو ابرهيم بن تارح بن ناحور بن شاروخ بن
راغو بن عابر بن شالخ بن قينان بن ارفخشذ بن سام بن نوح
حكاه السدي عن اشياخه لكن قيل انه اسقط ذكر قينان من عمود
النسب بسبب انه كان ساحرا وقيل ابرهيم بن اشوع بن راغو بن
فالخ بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وقيل ابرهيم بن
آزر بن ناحر بن سارغ بن فالغ بن القاسم الذي قسم الارض
بن عبير بن شالخ بن داقد بن فالخ وهو سام وقيل آزر بن صارح
بن راغو بن فالخ بن ارفخشذ وقال الثعلبي كان اسم ابي ابرهيم
الذي سماه ابوه تارح فلما صار مع نمرود قيما على خزانة آلهته سماه
آزر وقيل آزر اسم صنم وقال ابن اسحق آزر لقب له وعيب به ومعناه
معوج وقيل هو بالنبطية يا شيخ الهرم وقال الجوهري آزر اسم اعجمي وقال
البلاذري عن الشرقي بن القطامي ان معنى آزر السيد المعين وقيل
آزر وتارح اسمان علمان له كاسرائيل ويعقوب وقال وهب اسم ام
ابرهيم عليه السلام نونا بنت كرنبا بن سام بن نوح وقال ابن هشام
لم يكن بين نوح وابرهيم عليه السلام الا هود وصالح عليهما السلام
وكان بين ابرهيم وهود عليهما السلام ستمائة سنة وثلثون سنة
وبين نوح وابرهيم عليهما السلام الف ومائة وثلثة واربعون سنة
وقال الثعلبي وكان بين مولد ابرهيم وبين الطوفان الف سنة
ومائتا سنة وثلث وستون سنة وذلك بعد خلق ادم عليه السلام بثلثة

الا في سنة وثلثمائة سنة وسبع وثلثين سنة وكان مولد ابراهيم
عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان ولكن اختلفوا في اي مكان
ولد فقيل ببابل من ارض السواد بمدينة نمرود قاله ابن عباس
رضي الله عنهما وعن مجاهد بكوثا محلة بكوفة وعن عكرمة بالسوس
وعن السدي بين البصرة والكوفة وعن الربيع بن انس بكسكر ثم
نقله ابوه الى كوثا وعن وهب بحران والصحيح هو الاول وقال محمد بن
سعد في الطبقات كنية ابراهيم عليه السلام ابو الاضياف وقد سماه
الله باسامي كثيرة من الاواه والحليم والمنيب قال الله تعالى ان ابراهيم
لحليم اواه منيب ومنها الحنيف وهو المائل الى الدين الحق ومنها القانت
والشاكر الى غير ذلك وهذه اوصاف له في الحقيقة ومات ابراهيم
وهو ابن مائتي سنة وهو الاصح ويقال مائة وخمسة وسبعون قاله الكلبي
وقال مقاتل مائة وتسعون سنة ودفن في مغارة التي في حبرون
وهي الآن تسمى بمدينة الخليل وقوله عز وجل عطف على قول الله عز وجل
ان ابراهيم كان امة قانتا لله والاية في اواخر سورة النحل قال الله تعالى
ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة في
اشخاص كثيرة كقوله وليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم
الزائغة بالحجج الدامغة وقد كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس
كفارا قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق
ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة
ابراهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر
النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه الى صراط
مستقيم في الدعوة الى الله وقوله عز وجل هو عطف على المجرور اليضا
لاواه حليم الاواه على وزن فعال للمبالغة فيمن يقول اوه واصله
اوه بسكون الواو والهاء ويقال اوه بفتح الواو مع التشديد وبعضهم

يقول

يقول اواه بالمد والتشديد وفتح الواو وسكون الهاء لطول الصوت بالشكاية
ويقال اوياه واواه قال القاضي الكثير التاوه وهو كناية عن فرط ترحم ورقة
قلبه حليم صبور على الاذى وقيل معنى كون ابراهيم عليه السلام اواها انه كان كلما ذكر
لنفسه تقصيرا او ذكر له شيء من شدائد الاخرة كان يتاوه اشفاقا واستعظاما
قال ابو ميسرة ضد الميمنة واسمه عمرو بن شرحبيل الهمداني الوادعي الكوفي كان
فاضلا عابدا سمع ابن مسعود رضي الله عنه ابو وائل شقيق بن سلمة
الرحيم بلسان الحبشة الاواه وهذا الاثر وصله وكيع في تفسيره من طريق ابي اسحق
عن ابي ميسرة عمرو بن شرحبيل قال الاواه الرحيم بلسان الحبشة وروى ابن ابي
حاتم من طريق ابن مسعود باسناد حسن قال الاواه الرحيم ولم يقل بلسان
الحبشة ومن طريق عبد الله بن شداد احد كبار التابعين قال قال رجل يا رسول
الله ما الاواه قال الخاشع المتضرع في الدعاء ومن طريق ابن عباس قال الاواه
الموقن ومن طريق مجاهد قال الاواه الحفيظ الرجل يذنب الذنب سرا ثم يتوب
منه سرا ومن وجه اخر عن مجاهد قال الاواه المنيب الفقيه الموقن ومن
طريق الشعبي قال الاواه المسبح ومن طريق كعب الاحبار في قوله اواه كان
اذا ذكر النار قال اواه من عذاب الله ومن طريق ابي ذر قال كان رجل يطوف
بالبيت ويقول في دعائه اوه اوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه لاواه و
رجاله ثقات الا ان فيه رجلا مبهما وذكر ابو عبيد انه فعال من التاوه ومعناه
متضرع مشفق ملازم لطاعة ربه وقيل هو الكثير البكاء وقيل هو الكثير الدعاء
وفي الحديث اللهم اجعلني لك مخبتا اواها منيبا حدثنا محمد بن كثير قال اخبرنا
سفيان هو الثوري قال اخبرنا المغيرة بن النعمان النخعي الكوفي قال حدثني
بالافراد سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال انكم محشورون من الحشر وهو الجمع وفي رواية مسلم تحشرون
بالمضارعة على البناء للمفعول حفاة جمع حاف وهو خلاف الناعل كقضاة
جمع قاض من حفي يحفى حفية وحفاية عراة جمع عار من الثياب غرلا بضم
الغين المعجمة جمع اغرل وهو الاقلف وهو الذي لم يختن وبقيت فيه غرلته

وهي قلفته وهي الجلدة التي تقطع في الختان قال الازهري وغيره الاغرل والارغل
والاغلف بالغين المعجمة في الثلاثة والاقلف والاعرم بالعين المهملة كلها
بمعنى وجمعها غرل ورغل وغلف وقلف وعرم والغرلة ما يقطع ذكر الصبي
وهو القلفة وبطولها يعرف نجابة الصبي وقال ابو هلال العسكري لا يلتقي الراء
مع اللام في العربية الا في اربع كلمات ارل اسم جبل وورل دابة وجرل اسم الحجارة
والغرلة وقال صاحب التوضيح اهمل برل الديك وهو الريش الذي يستدير بعنقه هذا
اقول اما ارل فهو بفتحتين جبل وموضع بديار فزارة واما الورل فهو بفتحتين
دابة مثل الضب والجمع ورلان والجرل بفتح الجيم والراء الحجارة وكذلك الجرول والواو
للالحاق بجعفر وبرل الديك بضم الموحدة وقال الجوهري برائل الديك عفرته وهو
الريش الذي يستدير في عنقه ولم يذكر برلا وقد برائل الديك برائله اذا نفش برائله
ويقال ايضا عين اغرل بالغين المعجمة اي واسعة ورجل غرل بفتح الغين المعجمة
وكسر الراء مسترخي الحلق بالحاء المهملة فان قيل ما فائدة القلفة يوم القيامة فالجواب
ان المقصود انهم يحشرون كما خلقوا لا يفقد منه شيء حتى الغرلة تكون معهم و
قال ابن الجوزي لذة جماع الاقلف يزيد على لذة جماع المختون وقال ابن
عقيل بشرة حشفة الاقلف موقاة بالقلفة فتكون بشرتها ارق وما هو موضع
الحس كلما كان ارق كان الحس اصدق كراحة الكف اذا كانت موقاة من
الاعمال صلحت للحس واذا كانت يد قصار او نجار خفي فيها الحس فلما ابانوا في الدنيا
تلك البضعة لاجل اعادها الله ليذيقها من حلاوة فضله قال والسر في الختان
مع ان القلفة معفو عما تحتها من النجس انه سنة ابراهيم عليه السلام فان
قيل روى ابو داود من حديث ابي سعيد رضي الله عنه انه لما حضره الموت
دعا بثياب جدد فلبسها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها ورواه ابن حبان ايضا وصححه و
روى الترمذي من حديث بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم تحشرون رجالا وركبانا وتجرون على وجوهكم
ففيهما معارضة لحديث الباب ظاهرا فالجواب انهم يبعثون من قبورهم

في ثيابهم التي يموتون فيها ثم عند الحشر تتناثر عنهم ثيابهم فيحشرون عراة و
بعضهم يأتون الى موقف الحساب عراة ثم يكسون من ثياب الجنة وبعضهم
حمل قوله يبعثون في ثيابه على العمل اي في اعماله التي يموت فيها من خير او
شر قال تعالى ولباس التقوى ذلك خير وقال تعالى وثيابك فطهر اي عملك
اخلصه وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه مرفوعا يبعث كل عبد على ما مات
عليه وحمله بعضهم على الشهداء الذين امر صلى الله عليه وسلم بان يزملوا
في ثيابهم ويدفنوا بها ولا يغير شيء من حالهم ويحتمل ان يكون ابو سعيد
رضي الله عنه سمع الحديث في الشهداء فتاوله على العموم وقال بعضهم ومما يدل
على حديث الباب قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة و
قوله تعالى كما بدأكم تعودون ولا ملابس يومئذ الا من الجنة وذهب الغزالي
الى حديث ابي سعيد واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم بالغوا في اكفان
موتاكم فان امتي تحشر في اكفانها وسائر الامم عراة ورواه ابو سفيان مسندا
واجيب عنه على تقدير صحته انه محمول على امتي الشهداء واحتج الغزالي ايضا
بما رواه ابو نصر الوائلي في الابانة من حديث ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه
مرفوعا احسنوا اكفان موتاكم فانهم يتباهون بها ويتزاورون في قبورهم
واجيب بان ذلك يكون في البرزخ كما في نفس الحديث فاذا قاموا اخرجوا كما في
حديث ابن عباس رضي الله عنهما الا الشهداء ثم قرأ كما بدأنا اول خلق نعيده
واول الاية قوله تعالى يوم نطوي السماء مقدرا باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم
او حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والطي ضد النشر وهو
من قولك طوى عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني آدم فانتقلوا
ثم طويت عنهم وقرئ بالياء والبناء على البناء للمفعول كطي السجل للكتب اي طيا
كطي الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي
وحفص على الجمع اي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وعن علي وابن عمر رضي الله
عنهم السجل ملك يطوي كتب ابن آدم اذا رفعت اليه وعن ابن عباس رضي
الله عنهما السجل كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنه ايضا السجل الرجل

يفعل بهذه الاقوال الكتاب اسم الصحيفة المكتوب فيها كما بدأنا اول خلق نعيده
اي نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدأنا اياه في كونهما ايجادا عن العدم
او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على
الابداء لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء
وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او فعل يفسره نعيده او موصولة
والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد مثل الذي بدأناه واول
خلق ظرف لبدأنا او حال من الضمير الموصول المحذوف وقيل المعنى كما بدأناهم
في بطون امهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيمة نظيرها وعدا مقدر
بفعله تأكيدا لنعيده او منتصب لانه عدة بالاعادة علينا انجازه انا كنا
فاعلين ما وعدناه لا محالة او قادرين على ان نفعل واول من يكسى
يوم القيمة ابراهيم فيه منقبة ظاهرة له وفضيلة عظيمة وخصوصية كما خص
موسى عليه السلام بانه نجده متعلقا بساق العرش مع ان سيد الانبياء
اول من ينشق الارض ولا يلزم من ذلك ان يكونا افضل منه بل هو افضل
من كل نبي ورسول اذ لا يلزم من اختصاص شخص بفضيلة كونه افضل مطلقا
ويمكن ان يقال لا يدخل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك لان قوما من اهل
الاصول ذكروا ان المتكلم لا يدخل تحت عموم خطابه وقد ثبت لابراهيم عليه السلام
اوليات كثيرة منها انه اول من ضاف الضيف وقص الشارب واختتن ورأى
الشيب وغير ذلك وقد اتى الحافظ العسقلاني على ذلك بادلته في كتابه اقامة الدلائل على
معرفة الاوائل وروى ابن المبارك في دقائقه من حديث عبد الله بن الحارث
عن علي رضي الله عنه اول من يكسى خليل الله قبطيتين ثم يكسى محمد صلى الله عليه
وسلم حلة حبرة عن يمين العرش وفي منهاج الحليمي من حديث عباد بن كثير
عن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه اول من يكسى من حلل الجنة ابراهيم ثم محمد
ثم النبيون ثم قال اذا انا بمحمد صلى الله عليه وسلم انه بحلة لا يقوم لها البشر لنفاسة
الكسوة فكانه كسي مع ابراهيم عليه السلام وروى ابو نعيم من حديث ابن مسعود
رضي الله عنه فيه فيكون اول من يكسى ابراهيم فيقول ربنا عز وجل اكسوا خليلي

فيؤتى بريطتين بيضاوين فيلبسهما ثم يقعد مستقبل العرش ثم اوتى
بكسوتي فالبسها فاقوم عن يمينه مقاما يغبطني فيه الاولون والاخرون
وفي الاسماء والصفات للبيهقي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا
اول من يكسى ابراهيم حلة من الجنة ويؤتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش
ويؤتى بي فاكسى حلة لا يقوم لها البشر ولعل الحكمة في خصوصية ابراهيم
عليه السلام بذلك انه القي في النار مجردا وقيل انه اول من لبس السراويل
مبالغة في الستر لا سيما في الصلوة فلما فعل ذلك جوزي بان يكون اول
من يستر يوم القيمة الا ان ناسا من اصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال
بكسر الشين ضد اليمين ويراد بها جهة النار فاقول اصيحابي اصحابي
الاول خبر مبتدأ محذوف تقديره هؤلاء اصحابي والثاني تأكيد له ويروى
اصيحابي اصيحابي بالصيغة للتصغير وفيه اشارة الى قلة عدد من هذا
وصفهم فيقال ويروى فيقول اي الرب او الملك انهم لن يزالوا ويروى
لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم ويروى منذ فارقتهم وفي رواية
مسلم الا وانه سيجاء برجال من امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول يا رب
اصحابي فيقال لا تدري ما احدثوا بعدك قال الخطابي الارتداد هنا التأخر عن
الحقوق اللازمة والتقصير فيها وقيل هو ضد ولان ظاهر الارتداد يقتضي
الكفر كقوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم اي رجعتم الى الكفر
والشرع بعد الهدى سحقا وهذا لا يقال للمسلمين فان شفاعته للمذنبين
فان قيل كيف خفي عليه صلى الله عليه وسلم حالهم مع اخباره بعرض اعمال
امته عليه فالجواب انهم ليسوا من امته وانما يعرض عليه اعمال الموحدين
لا المرتدين ومنهم منافقين وقال ابن التين يحتمل ان يكونوا منافقين او
مرتكبي الكبائر من امته قال ولم يرتد احد من امته ولذلك قال على اعقابهم
لان الذي يعقل من قول المرتدين الكفر اذا اطلق من غير تقييد وقيل هم
قوم من جفاة العرب دخلوا في الاسلام ايام حيوته رغبة ورهبة كعيينة
بن حصين جاء به ابو بكر اسيرا والاشعث بن قيس فلم تقبلهما ولم يثبت فيهما

فعاد الاسلام وقال النووي المراد به هنا المنافقون والمرتدون وقيل المراد من
كان في زمنه مسلما ثم ارتد بعده فناداه لما كان يعرفه في حال حيوته من اسلامهم
فيقال ارتدوا بعدك فان قيل يشكل عليه عرض الاعمال فالجواب انه قد سبق
ان الذي يعرض عليه اعمال الموحدين لا المرتدين ولا المنافقين وقال ابو
عمر كل من احدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض كالخوارج والروافض
وسائر اصحاب الاهواء وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق والمعلنون
بالكبائر فاقول كما قال العبد الصالح هو عيسى بن مريم عليهما السلام وكنت
عليهم شهيدا ما دمت الى قوله الحكيم والاية في سورة المائدة قال الله عز وجل
واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من
دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او
صلة اتخذوا ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله
مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده
او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما
زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله تعالى وكانه قيل اتخذوني وامي الهين
متوصلين بنا الى الله قال سبحانك اي انزهك تنزيها من ان يكون لك
شريك وما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان
اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيه
في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك
للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين
باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه
بعد ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به او بدل منه
وليس شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع
او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله مما امرتني به فان المصدر
لا يكون مفعول القول ولا ان تكون ان مفسرة لان الامر مسندا الى الله
تعالى وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا

ان يؤول القول بالامر فكانه قيل ما امرتهم الا بما امرتني به ان اعبدوا الله وكنت
عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه 52
او شهيدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني بالرفع الى السماء لقوله اني متوفيك
ورافعك والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب
لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه
عليها بارسال الرسل وانزال الكتب والمراقبة في الاصل المراعاة وقيل انت
العالم بهم وانت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له اي شاهد لما حضر و
غاب وقيل على من عصى واطاع ان تعذبهم فانهم عبادك اي ان تعذبهم
فانك تعذب عبادك ولا على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على
انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك وقد ذكر ذلك على وجه
الاستعطاف والتسليم لامره وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز و
لا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب
ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت
فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك بمقتضى الوعيد فلا امتناع
فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان ومطابقة الحديث للترجمة في قوله واول
من يكسى يوم القيمة ابرهيم عليه السلام وقد اخرجه البخاري في التفسير و
الرقاق واحاديث الانبياء ايضا واخرجه مسلم في صفة القيمة والترمذي في
الزهد والتفسير والنسائي في الجنائز والتفسير حدثنا اسمعيل بن عبد الله هو
اسمعيل بن ابي اويس واسم ابي اويس عبد الله قال اخبرنا وفي نسخة حدثني
اخي عبد الحميد اي ابن ابي اويس يكنى ابا بكر الاصبحي المدني عن ابن
ابي ذئب هو محمد بن عبد الرحمن بن ابي ذئب عن سعيد المقبري عن ابي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يلقى ابرهيم
اباه آزر يوم القيمة وعلى وجه آزر قترة اي سواد الدخان وغبرة اي غبار
ولا يرى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه قال تعالى ووجوه

يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة ويقال القترة الظلمة وفسره ابن المنير
القترة بالغبرة فعلى هذا يكون ان من الترادف قال وقيل القترة ما يغشى الوجه
من كرب وقال الزجاج القترة الغبرة معها سواد كالدخان وعن مقاتل
سواد وكآبة فيقول لها ابراهيم الم اقل لك لا تعصني فيقول ابوه فاليوم
لا اعصيك فيقول ابراهيم يا رب انك وعدتني ان لا تخزني يوم يبعثون
من الاخزاء وثلاثيه خزاه يخزوه خزوا ... وخزي يخزى من باب
علم يعلم خزيا بالكسر اي ذل وهان وقال ابن السكيت معناه وقع في بلية وخزي
يخزى خزاية اي استحيى فهو خزيان ... فاي خزي اخزى
من ابي الابعد اي الابعد من رحمة الله وافعل التفضيل ... ان الفاسق
بعيد والكافر ابعد وقيل بمعنى الباعد اي الهالك من بعد بكسر العين اذا
هلك وعلى المعنيين بمضاف محذوف اي من خزي ابي الابعد فيقول الله اني حرمت
الجنة على الكافرين ثم قال يا ابراهيم ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ ...
بذيخ بكسر الذال المعجمة وسكون التحتية بعدها خاء معجمة ذكر الضبع الكثير
الشعر وقال ابن سيده والجمع اذياخ وذيوخ وذيخة ... ملتطخ
بالرجيع او بالطين او بالدم وحكمة ... ابراهيم ... لئلا يشفع فيه فيجازى
له خلاف ... فينظره ليتبرأ منه فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار ومطابقة الحديث
للترجمة في ذكر ابراهيم عليه السلام وقد اخرجه البخاري في التفسير ايضا حدثنا
يحيى بن سليمان ابو سعيد الجعفي الكوفي نزيل مصر وهو من افراد البخاري
قال حدثني بالافراد ابن وهب هو عبد الله بن وهب المصري قال اخبرني
بالافراد ايضا عمرو هو ابن الحارث المصري ان بكيرا مصغرا هو ابن عبد الله
بن الاشج حدثه عن كريب مولى ابن عباس رضي الله عنهما قال دخل
النبي صلى الله عليه وسلم البيت اي الكعبة فوجد فيه صورة ابراهيم وصورة
مريم فقال اما بالتشديد لهم اي قريش فقد سمعوا ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة
هذا ابراهيم اي هذه صورة ابراهيم مصور فما له يستقسم استبعاد منه في حق
ابراهيم لانه معصوم منه فان قيل اين قسيم اما فالجواب ان قسيمه هو قوله

هذا ابراهيم او هو محذوف نحو واما صورة مريم فكذا والاستقسام طلب
53 معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام وهي القداح وقيل الاستقسام بالازلام
هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة واما تحريم ذلك لانه دخول في علم
الغيب وفيه اعتقاد انه طريق الى الحق وفيه افتراء على الله اذ لم يامر بذلك
والحديث قد مضى في كتاب الحج في باب من كبر في نواحي الكعبة وقد مضى
الكلام فيه هناك ومطابقته للترجمة من حيث ان ذكر فيه ابراهيم عليه السلام
حدثنا ابراهيم بن موسى بن يزيد ابو اسحاق الرازي يعرف بالصغير قال حدثنا
هشام اي ابن يوسف الصنعاني قاضيها عن معمر عن ايوب السختياني
عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما راى الصور في البيت لم يدخل حتى امر بها اي بمحوها فمحيت على البناء
للمفعول اي محوها ... ورأى ابراهيم واسمعيل بايديهما الازلام وهو
جمع زلم ... فقال قاتلهم الله اي لعنهم والله ان استقسما
... اي ما استقسما بالازلام قط وذلك
انه ... او امر من معاظم الامور ضرب بالقداح
وكان ... مكتوب على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وبعضها مهمل فان
خرج ... وان خرج الناهي امسك عنه وان خرج المهمل كررها
واجالها ... ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة حدثنا علي بن عبد الله
المعروف بابن المديني قال اخبرنا يحيى بن سعيد القطان قال اخبرنا عبيد الله
بالتصغير هو ابن عمر بن عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال حدثني سعيد بن ابي سعيد المقبري عن ابيه كيسان عن ابي هريرة رضي
الله عنه انه قال قيل يا رسول الله من اكرم الناس قال اتقاهم اي اشدهم تقوى
فقالوا ليس عن هذا نسألك قال فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل
الله ومنه اخذ ان ع فقال ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يعني ان يوسف نبي الله اشرفهم
لان معنى الكرم هنا الشرف وذلك لان من اتقى ربه عز وجل شرف لان التقى

بحمله على اسباب الفخر والشرف لانها تبعده عن الطمع في كثير من مباح فضلا عن
غيره من المآثم وذلك ليس الا من اسره هواه وادعى القرطبي انه يخرج من
هذا الحديث ان اخوة يوسف عليه السلام ليسوا انبياء اذ لو كانوا كذلك لشاركوه
في هذه المنقبة وفيه نظر لانه ذكره لكونه افضلهم لاسيما على قول من ادعى
رسالته قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب اي اصولهم
التي ينسبون اليها ويتفاخرون بها وانما جعلت معادن لما فيها من الاستعدادات
المتفاوتة فمنها قابلة لفيض الله على مراتب المعدنيات ومنها غير قابلة له وشبههم
بالمعادن لانهم اوعية للعلوم كما ان المعادن اوعية للجواهر النفيسة تسألوني
خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وانما قيده بقوله اذا فقهوا
ليدل ان كل من اسلم وكان شريفا في الجاهلية فهو خير من الذي لم يكن له
الشرف فيها لان المعنى ليس على ذلك فان الوضيع العالم خير من الشريف
الجاهل والعلم يرفع كل من لم يرفع ثم قوله فقهوا بكسر القاف معناه فهموا وعلموا
وهو من باب علم يعلم وان فقه بضم القاف يفقه كذلك فمعناه صار فقيها
عالما والفقه في العرف خاص بعلم الشريعة بل بعلم الفروع ومطابقته للحديث
للترجمة في قوله خليل الله قال ابو اسامة حماد بن اسامة ومعتمر هو ابن سليمان
بن طرخان عن عبيد الله عن سعيد عن ابي هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم اشار بهذا التعليق الى ان ابا اسامة ومعتمرا خالفا
يحيى بن سعيد القطان في الاسناد حيث لم يرويا الا عن سعيد عن
ابي هريرة ولم يذكرا الاب بخلاف يحيى فانه قال عن سعيد عن ابيه عن ابي
هريرة رضي الله عنه اما تعليق ابي اسامة فوصلها البخاري في قصة يوسف
عليه السلام عن عبيد بن اسمعيل عن ابي اسامة واما تعليق معتمر فوصلها
في قصة يعقوب عليه السلام عن اسحق بن ابراهيم عن معتمر بن سليمان
عن عبيد الله حدثنا مؤمل بلفظ اسم المفعول من التأميل ابن هشام
اليشكري ختن اسمعيل بن علية قال اخبرنا اسمعيل بن علية قال اخبرنا
عوف الاعرابي قال اخبرنا ابو رجاء عمران العطاردي قال حدثنا سمرة

اي ابن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتاني الليلة آتيان فاتينا اي فذهبا بي حتى اتينا على رجل طويل لا اكاد
ارى رأسه طولا وانه ابراهيم عليه السلام والحديث قد مضى في اواخر
كتاب الجنائز مطولا وذكر منه هنا طرفا ومطابقته للحديث ظاهرة حدثنا
بيان بفتح الموحدة وتخفيف المثناة التحتية بن عمرو هو محمد البخاري
وهو من افراده وقد مر في التطوع قال اخبرنا النضر بفتح النون وسكون
الضاد المعجمة بن شميل وقد مر في الوضوء قال اخبرنا ابن عون هو عبد الله
بن عون بفتح المهملة وسكون الواو وبالنون وقد مر في العلم عن مجاهد
انه سمع ابن عباس رضي الله عنهما وذكروا له الدجال الى قوله قال الحمل
بمعرضه بين عينيه كافر او ك ف ر هذه الحروف اشارة الى الكفر والصحيح
الذي عليه المحققون ان هذه الكتابة على ظاهرها وانها كتابة حقيقية
جعلها الله تعالى علامة حسية على بطلانه تظهر لكل مؤمن كاتبا
او غير كاتب قال لم اسمعه ولكنه قال اما ابراهيم فانظروا الى صاحبكم
يريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه الكريمة واما موسى فجعد
بفتح الجيم وسكون العين المهملة قال الكرماني نقلا عن صاحب التحرير
هذا يحتمل معنيين احدهما ان يراد به جعودة الشعر ضد السبوطة والثاني
جعودة الجسم وهو اجتماعه واكتنازه وهذا اصح لانه جاء في بعض
الروايات انه رجل الشعر آدم من الادمة وهي السمرة على جمل احمر
مخطوم اي مزموم بخلبة بضم الخاء المعجمة وسكون اللام وضمها وفتح
الموحدة وهي الليفة كأني انظر اليه ينحدر فعل مضارع من الانحدار وهو الهبوط
في الوادي اي وادي الازرق يكبر جملة فعلية وقعت حالا من موسى
عليه السلام قيل وتوجيهه ان يقال مثلت له صلى الله عليه وسلم ارواحهم
في الدنيا كما مثلت له ليلة الاسراء واما اجسادهم في القبور وقيل انه على
الحقيقة والانبياء احياء عند ربهم يرزقون فلا مانع ان يحجوا في هذه الحال
وعبادتهم بعد الموت لما يجدونه من دواعي انفسهم لانه حببت اليهم

العبادة لا يمايزون به كما يلهم اهل الجنة الذكر والحديث قد مضى في كتاب
الحج في باب التلبية اذا انحدر في الوادي ومطابقته للترجمة ظاهرة حدثنا
قتيبة بن سعيد قال اخبرنا مغيرة بن عبد الرحمن القرشي عن ابي الزناد
عبد الله بن ذكوان عن الاعرج عبد الرحمن بن هرمز عن ابي هريرة رضي
الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم
النبي عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة جملة حالية قال القاضي عياض
جاء في هذا الحديث من رواية مالك والاوزاعي وهو ابن مائة وعشرين
سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة وقال ابن قتيبة عاش مائة وسبعين
سنة وقد مر الخلاف فيه فيما مضى عن قريب بالقدوم في رواية الاصيلي
والقابسي بالتشديد وقال الكرماني روي بتخفيف الدال وتشديدها
فقيل آلة النجار يقال لها القدوم بالتخفيف لا غير واما القدوم الذي
هو مكان بالشام ففيه التشديد والتخفيف فمن رواه بالتشديد اراد
القرية ومن روى بالتخفيف فيحتمل القرية والآلة والاكثرون على التخفيف
وارادة الآلة انتهى وقال النووي لم تختلف الرواة على مسلم في التخفيف
وانكر يعقوب بن شيبة التشديد اصلا واختلف في المراد به فقيل
هو اسم مكان وقيل اسم آلة النجار وهو بالتخفيف لا غير وعلى الاول
فيه اللغتان هذا قول الاكثر وعكسه الداودي ثم قيل هي قرية بالشام
وقيل هو مقيل لابراهيم عليه السلام وقال الحازمي بالتخفيف قرية كانت
عند حلب وقيل هو اسم مجلس ابراهيم بحلب وقال ثعلب هو اسم موضع
وقال ابن وضاح هو جبل بالمدينة وقال ابن دريد قدوم بالفتح و
التخفيف ثنية بالسراة وكذا قال البكري وحكى البكري عن محمد بن جعفر
اللغوي ان المكان يشدد ولا يدخله الالف واللام ومن رواه في حديث
ابراهيم فانما عنى به الآلة وقال الجوهري القدوم الذي ينحت به مخفف
والعامة تقول قدوم بالتشديد وقال ابن السكيت والجمع قدم والراجح ان
المراد في الحديث الآلة فقد روى ابو يعلى من طريق علي بن رباح قال

امر ابراهيم بالختان فاختتن بالقدوم فاشتد عليه فاوحى الله اليه
عجلت قبل ان نامرك بآلته فقال يا رب كرهت ان اؤخر امرك ولما اختتن
ابراهيم عليه السلام صار الختان سنة معمولا بها في ذريته وهو حكم التورية
على بني اسرائيل كلهم ولم يزالوا يختتنون الى زمن عيسى عليه السلام فغيرت
طائفة من النصارى ما جاء في التورية من ذلك وقالوا المقصود غلفة
القلب لا غلفة الذكر فتركوا المشروع من الختان بضرب من الهذيان
وهو عند الشافعي واجب وعند اكثر العلماء سنة وانما يجب بعد البلوغ و
يستحب في السابع ومحله القروح ومطابقته الحديث للترجمة ظاهرة حدثنا
ابو اليمان الحكم بن نافع الحمصي قال اخبرنا شعيب هو ابن ابي حمزة الحمصي
قال اخبرنا ابو الزناد عبد الله بن ذكوان وقال بالقدوم مخففة يعني
ابو الزناد بالقدوم حال كونها مخففة الدال وقال القرطبي اكثر الرواة على
التخفيف يعني به الآلة وهو قول اكثر اهل اللغة ايضا في الآلة وقال يعقوب
بن شيبة الآلة لا تشدد واعلم ان قوله حدثنا ابو اليمان الى قوله مخففة
وقع في بعض النسخ بعد قوله ورواه محمد بن عمرو عن ابي سلمة وفي نسختنا
كما في نسخة العيني وقع كما تراه فلذلك جعلنا متابعة عبد الرحمن بن
اسحق ومتابعة عجلان ورواية محمد بن عمرو لشعيب الذي روى عنه ابو
اليمان في التخفيف واما على تلك النسخة فتكون هذه متابعات لقتيبة
بن سعيد في كون عمر ابراهيم عليه السلام حين اختتن ثمانين سنة
وينبغي التنبيه في هذا الموضع حتى لا يختلط الكلام والله اعلم بالمرام تابعه
اي تابع شعيبا عبد الرحمن بن اسحق بن عبد الله الثقفي هو مدني وفيه مقال
استشهد به البخاري وروى له في الادب عن ابي الزناد ووصل هذه
المتابعة مسدد في مسنده عن بشر بن المفضل عنه ولفظه اختتن ابراهيم
بعد ما مرت به ثمانون واختتن بالقدوم يعني مخففة وقال النووي
لم تختلف الرواة عند مسلم بالتخفيف تابعه اي تابع شعيبا او عبد
الرحمن بن اسحق عجلان مولى فاطمة بنت عتبة بن ربيعة القرشي

والد محمد بن عجلان عن ابي هريرة رضي الله عنه وهذه متابعة وصلها احمد عن
يحيى القطان عن محمد بن عجلان عن ابيه عجلان عن ابي هريرة رضي الله
عنه ورواه اي وروى الحديث المذكور محمد بن عمرو عن ابي سلمة اي ابن
عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ووصله ابو يعلى في مسنده من هذا الوجه
ولفظه اختتن ابراهيم عليه السلام على راس ثمانين سنة فاتفقت هذه
الروايات على انه كان ابن ثمانين سنة عند اختتانه ووقع في الموطا موقوفا
عن ابي هريرة رضي الله عنه وعند ابن حبان مرفوعا ان ابراهيم اختتن
وهو ابن مائة وعشرين سنة والظاهر انه سقط من المتن شيء فان هذا
المقدار مقدار عمره قاله الحافظ العسقلاني والله تعالى اعلم حدثنا سعيد
بن تليد بفتح المثناة الفوقية وكسر اللام وسكون التحتية واخره دال مهملة
هو سعيد بن عيسى بن تليد ابو عثمان الرعيني بضم الراء وفتح المهملة واسكان
التحتية وبالنون البصري المشهور مات سنة سبع عشرة ومائتين وهو من
افراده انه قال اخبرنا ابن وهب هو عبد الله بن وهب المصري قال اخبرنا جرير
بن حازم بالزاي عن ايوب السختياني عن محمد اي ابن سيرين عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاثا
اي ثلاث كذبات كما في الطريق الثاني ح تحويل من سند الى اخر وحدثنا الاولى
ترك الواو مع حاء التحويل محمد بن محبوب ضد مبغوض ابو عبد الله البصري
قال اخبرنا حماد بن زيد عن ايوب عن محمد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
لم يكذب ابراهيم ثلاث كذبات قال ابو البقاء الجيد ان يقال بفتح الذال في الجمع لانه
جمع كذبة بسكون الذال وهو اسم لا صفة فيسكن في الجمع وقد استشكل هذا الحصر
في ثلاث لانه جاء في رواية مسلم من حديث ابي زرعة عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بلحم فرفع اليه الذراع الحديث وهو حديث
طويل في الشفاعة وفيه فيذهبوا الى ابراهيم فيقولون ابراهيم الحديث وذكر كذباته
ثم ساقه من طريق اخرى من هذا الوجه وقال في اخره وزاد في قصة ابراهيم وذكر
قوله في الكوكب هذا ربي وقوله لالهتهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم وجه الاستشكال

ان ذكر الكوكب يقتضي ان كذباته اربع وهو يعارض الحصر في حديث الباب
وقال الحافظ العسقلاني الذي يظهر انه وهم من بعض الرواة فانه ذكر قوله في
الكوكب بدل قوله في سارة والذي اتفقت عليه الطرق ذكر سارة دون الكوكب
وكانه لم يعد مع انه ادخل من ذكر سارة لما نقل انه قال ذلك في حال الطفولية
فلم يعد لان حال الطفولية ليست بحال التكليف كما قاله ابن اسحق وقيل انما
قال ذلك بعد البلوغ لكنه قال على طريق الاستفهام الذي يقصد به التوبيخ
او التهكم وقيل قاله على طريق الاحتجاج على قومه تنبيها على ان الذي يتغير لا يصلح
للربوبية وهذا قول الاكثر انه قال قاله توبيخا لقومه او تهكما بهم وهو المعتمد
وكل ذلك لا يطلق عليه الكذب ولهذا لم يعد في الكذبات واما وجه اطلاق
الكذب على الامور الثلثة فلكونه قال قولا يعتقده السامع كذبا لكنه اذا حقق
لم يكن كذبا لانه من باب المعاريض المحتملة للامرين فليس بكذب محض قال
الماوردي اما الكذب فيما طريقه البلاغ عن الله عز وجل فالانبياء عليهم السلام
معصومون عنه واما في غيره فالصحيح امتناعه فيؤول ذلك بانه كذب بالنسبة
الى السامعين اما في نفس الامر فلا اذ معنى اني سقيم ساسقم لان الانسان
عرضة للاسقام واسم الفاعل يستعمل بمعنى المستقبل كثيرا ويحتمل انه اراد اني
سقيم بما قدر علي من الموت او سقيم الحجة على الخروج معكم وحكى النووي عن
بعضهم انه كان تاخذه الحمى في ذلك الوقت وهو بعيد لانه لو كان كذلك لم
يكن كذبا لا تصريحا ولا تعريضا واما قوله بل فعله كبيرهم هذا فقال القرطبي
قاله ممهدا للاستدلال على ان الاصنام ليست بالهة وقطعا لقومه في قولهم انها
تضر وتنفع وهذا الاستدلال يتجوز فيه في الشرط المتصل ولهذا اردف قوله بل
فعله كبيرهم بقوله فاسئلوهم ان كانوا ينطقون قال ابن قتيبة معناه ان
كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا فالحاصل انه مشروط بقوله ان كانوا
ينطقون ويحتمل انه اسند اليه ذلك لكونه السبب لذلك وعن الكسائي
انه كان يقف عند قوله بل فعله اي فعله من فعله كائنا من كان وكبيرهم
هذا مبتدا وخبر مستقل ولا يخفى تكلفه واما قوله هذه اختي فيعتذر عنه بان

مراده انها اخته في الاسلام كما سياتي واضحا قال ابن عقيل تعرف اطلاق الكذب
على ابراهيم عليه السلام وذلك ان العقل قطع بان الرسول ينبغي ان يكون
موثوقا به ليعلم صدق ما جاء به عن الله عز وجل ولا ثقة مع تجويز الكذب
عليه فكيف مع وجود الكذب منه وانما اطلق عليه ذلك لكونه بصورة الكذب
عند السامع وعلى كل تقدير فلم يصدر ذلك اي ما يطلق عليه الكذب وان لم
يكن تحقيقه كذلك من ابراهيم عليه السلام الا في حال شدة تخوف لعلو مقامه
والا فالكذب المحض في مثل تلك المقامات يجوز وقد يجب لتحمل اخف الضررين
دفعا لاعظمهما فقد اتفق الفقهاء على ان الكذب جائز بل واجب في بعض
المقامات كما انه لو طلب ظالم وديعة ليأخذها غصبا وجب على المودع
عنده ان يكذب بمثل انه لا يعلم موضعها بل يحلف عليه والله تعالى اعلم
ثنتين منهن في ذات الله اي كذبتين من هذه الكذبات الثلث كانتا
في ذات الله اي لاجله وانما خص هاتين الثنتين بانهما في ذات الله تعالى
لان قصة سارة وان كانت ايضا في ذات الله لكنها تضمنت حظا لنفسه
ونفعا له بخلاف الثنتين الاخريين فانهما كانتا في ذات الله محضا وقد وقع
في رواية هشام بن حسان ان ابراهيم لم يكذب قط الا ثلث كذبات كل ذلك
في ذات الله تعالى وعند احمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما والله
ان جادل بهن الا عن دين الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم بيان
للثنتين المذكورتين واما قوله اني سقيم فقاله حين خرجوا الى معيدهم ليتلا
يخرجوه معهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى
فلذلك تولوا عنه مدبرين فذهب الى الهتهم خفية ففعل ما فعل واما قوله
بل فعله كبيرهم فقاله حين جعل اصنامهم جذاذا اي قطعا الا الكبير للاصنام
استبقاه وكسر غيره وقالوا الهتهم من فعل هذا بالهتنا وقالوا سمعنا فتى يذكرهم
يقال له ابراهيم فقالوا له أانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا
وقال بينا هو اي ابراهيم عليه السلام ذات يوم وسارة اي معه وسارة
بتخفيف الراء ام اسحق عليه السلام اذ اتى جواب بينا اي اذ اتى ابراهيم على جبار

من الجبا

من الجبابرة يعني مر عليه وفي رواية مسلم وواحدة في شان سارة اي خصلة
واحدة من الثلث المذكورة في شان سارة فانه قدم ارض جبار ومعه
سارة وكانت احسن الناس واسم هذا الجبار عمرو بن امرئ القيس بن سبا
وكان على مصر ذكره السهيلي وهو قول ابن هشام في التيجان وقيل اسمه صادوف
بالفاء حكاه ابن قتيبة وانه كان على الاردن وقيل سفيان بن علوان بن
عبيد بن عويج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام حكاه الطبري
ويقال انه اخو الضحاك الذي ملك الاقاليم وقيل انه ملك حران وقال علماء
السير اقام ابراهيم بالشام مدة فقحط الشام فسار الى مصر ومعه سارة وكان
بها فرعون وهو اول الفراعنة عاش دهرا طويلا فاتى اليه رجل وقال انه قدم
رجل ومعه امراة من احسن الناس وجرى له معه ما ذكر في الحديث فقيل له ان
ههنا رجلا كذا في رواية المستملي وفي رواية غيره ان هذا رجل معه امراة من احسن
الناس وفي صحيح مسلم في حديث الاسراء الطويل من رواية ثابت عن انس
رضي الله عنه في ذكر يوسف اعطي شطر الحسن زاد ابو يعلى من هذا الوجه اعطي
يوسف وامه شطر الحسن يعني سارة وفي رواية الاعرج الماضية في اواخر البيوع
هاجر ابراهيم بسارة فدخل بها قرية فيها ملك او جبار فقيل دخل ابراهيم بامراة هي
من احسن الناس واختلف في والد سارة فقيل اسمه هاران قيل هو ملك حران
وان ابراهيم تزوجها لما هاجر من بلاد قومه الى حران وقيل هي ابنة اخيه وكان ذلك
جائزا في تلك الشريعة حكاه ابن قتيبة والنقاش واستبعد وقيل بل هي بنت
عمه وتوافق الاسمان وقد قيل في اسم ابيها توبل فارسل اليه اي ارسل هذا
الجبار الى ابراهيم عليه السلام فساله عنها فقال من هذه اي فقال الجبار
من هذه المراة قال اختي فاتى سارة هذا ظاهر في انه ساله عنها اولا ثم اعلمها بذلك
لئلا تكذبه عنده وفي رواية هشام بن حسان انه قال ان هذا الجبار ان يعلم انك
امراتي يغلبني عليك فان سالك فاخبريه انك اختي في الاسلام فلما دخل ارضه راها
بعض اهل الجبار فاتاه فقال لقد قدم ارضك امراة لا ينبغي لها ان تكون الا لك
فارسل اليها الحديث فيمكن ان يجمع بينهما بان ابراهيم عليه السلام احس بان

الملك سيطلبها منه فاوصاها بما اوصاها فلما وقع ما خشيه اعاد عليها الوصية
واختلف في السبب الذي حمل ابرهيم عليه السلام على هذه الوصية مع ان ذلك
الظالم كان يريد اغتصابها على نفسها اختا كانت او زوجة فقيل كان من
ذلك الملك ان لا يتعرض الا لذوات الازواج كذا قيل ويحتاج الى تتمة وهو ان
ابرهيم عليه السلام اراد دفع اعظم الضررين بارتكاب اخفهما وذلك ان اغتصاب
الملك اياها واقع لا محالة لكن ان علم ان لها زوجا في الحيوة حملته الغيرة على قتله
واعدامه او حبسه واضراره بخلاف ما اذا علم ان لها اخا فان الغيرة حينئذ تكون
من قبل الاخ خاصة لا من قبل الملك فلا يبالي به وقيل اراد ان علم الملك انها امراته
الزمه بالطلاق فقال يا سارة ليس على وجه الارض مؤمن غيري وغيرك قيل
يشكل عليه كون لوط عليه السلام كان معه كما قال تعالى فآمن له لوط ويمكن ان
يجاب بان مراده بالارض الارض التي وقع له فيها ما وقع ولم يكن لوط معه اذ ذاك
فان قيل ذكر اهل السير ان ابرهيم عليه السلام سار الى مصر ومعه سارة ولوط
فالجواب انه يمكن انه سار معه ولم يدخلها معه والله تعالى اعلم وان هذا سألني
فاخبرته انك اختي فلا تكذبيني فارسل اليها فلما دخلت عليه اي دخلت سارة على
الجبار ذهب يتناولها بيده فاخذ على البناء للمفعول اي اختنق حتى ركض برجله كانه
مصروع كذا في اكثر الروايات وفي بعضها ذهب يتناولها بيده وفي رواية مسلم
فارسل اليها فاتي بها فقام ابرهيم يصلي فلما دخلت عليه لم يتمالك ان بسط
يده اليها فقبضت يده قبضة شديدة وفي رواية ابي الزناد عن الاعرج من
الزيادة فقام اليها فقامت توضأ وتصلي فغط حتى ركض برجله وقوله فغط
بضم المعجمة والغط صوت النائم من شدة النفخ وقال ابن التين انه ضبط
في بعض الاصول فغط بفتح الغين والصواب ضمها وقوله حتى ركض برجله
يعني انه اختنق حتى صار كانه مصروع ويمكن الجمع بانه عوقب تارة بقبض
يده وتارة بانصراعه وعند اهل السير فلما دخلت عليه وراها اهوى اليها فتناول
بيده فيبست وفي رواية الاعرج المذكورة فدعت من الدعاء ولفظه فقالت
اللهم ان كنت تعلم اني امنت بك وبرسولك واحصنت فرجي الا على زوجي فلا تسلط

على الكافر ويجاب عن قولها ان كنت تعلم مع كونها قاطعة بانه سبحانه وتعالى
يعلم بانها ذكرته على سبيل الفرض هضما لنفسها فقال ادعي الله لي ولا اضرك
فدعت الله فاطلق وفي رواية مسلم فقال ادعي الله ان يطلق يدي ففعلت
وفي رواية ابي الزناد المذكورة قال ابو سلمة قال ابو هريرة رضي الله عنه قالت
اللهم ان يمت يقل هي التي قتلته قال فارسل ثم تناولها ثانية ويروى الثانية
بالالف واللام وفي رواية الاعرج فقامت توضأ وتصلي فاخذ مثلها او اشد
وفي رواية مسلم فقبضت اشد من القبضة الاولى فقال ادعي الله لي ولا اضرك
فدعت الله فاطلق وعند اهل السير فعل ذلك ثلاثا فدعا بعض حجبته بفتح
المهملة والجيم والموحدة جمع حاجب وفي رواية مسلم ودعا الذي جاء بها
قال الحافظ العسقلاني ولم اقف على اسمه فقال انك لم تأتني بانسان
انما اتيتني بشيطان وفي رواية الاعرج ما ارسلتم الي الا شيطانا ارجعوها
الى ابرهيم وفي رواية مسلم انما جئتني بشيطان تمرد من الجن وكانوا
قبل الاسلام يعظمون امر الجن جدا ويرون كل ما يقع من الخوارق من فعلهم
وتصرفهم فاخدم هاجر اي وهب لها خادما اسمها هاجر لتخدمها لانه اعظمها
ان تخدم نفسها ويقال اجر وكذلك في بعض روايات مسلم بهمزة بدل الهاء
وهي كذلك في رواية الاعرج الفا والجيم مفتوحة على كل حال وهو اسم سرياني
ويقال ان اباها كان من ملوك القبط واصلها من قرية بارض مصر يقال
لها حفن بفتح المهملة وسكون الفاء وهي ام اسمعيل عليه السلام فاتته
اي فاتت سارة ابرهيم عليه السلام وفي رواية الاعرج فاقبلت تمشي فلما
راها ابرهيم وهو قائم جملة حالية يصلي فاومى بيده اي اشار بيده مهيم
بفتح الميم وسكون الهاء وتخفيف المثناة التحتية مفتوحة واخره ميم كذا رواه
الاكثرون وفي رواية المستملي مهيا مقصورا وفي رواية ابن السكن مهين
بنون بدل الميم وكان المستملي لما سمعها بنون ظنها نون تنوين وهي كلمة
يستفهم بها معناها ما حالك وما شأنك وما الخبر ويقال ان ابرهيم الخليل
عليه السلام اول من قال هذه الكلمة قالت رد الله كيد الكافر او الفاجر في نحره

هذا مثل تقوله العرب لمن اراد امرا باطلا فلم يصل اليه **واخدم وليدة**
اي جارية للخدمة ويروى واخدم هاجر وفي رواية مسلم كف الله يد
الفاجر واخدم خادما وفي رواية الاعرج اشعرت ان الله كبت الكافر
واخدم وليدة ومعنى كبت بفتح الكاف والموحدة ثم بمثناة رده
خاسئا ويقال كبده اي بلغ الهم كبده ثم ابدلت الدال تاء **قال ابو هريرة**
رضي الله عنه فتلك اي تلك الجارية يعني هاجر **امكم يا بني ماء السماء** اراد بهم
العرب وخاطبهم بذلك لانهم يعيشون بالمطر ويلازمون الفلوات
التي فيها مواقع القطر لاجل مواشيهم ورعي دوابهم ففيه تمسك لمن زعم
ان العرب كلهم من ولد اسمعيل عليه السلام قال ابن حبان في صحيحه كل
من كان من ولد اسمعيل يقال له ماء السماء لان اسمعيل عليه السلام ولد
هاجر وقد ربي بماء زمزم وهي من ماء السماء وقيل اراد بماء السماء وقيل سموا
بذلك لخلوص نسبهم وصفائه فاشبه ماء السماء وقيل اراد بماء السماء
زمزم لان الله تعالى لما انبعها لهاجر فعاش ولدها بها فصاروا كانهم
اولادها وعلى هذا فلا متمسك فيه وقال القاضي عياض والاظهر عندي انه
اراد بذلك الانصار نسبهم الى جدهم عامر ماء السماء حارثة بن الغطريف
بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث
بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب
بن قحطان وعامر هذا هو جد الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة
بن عمرو بن عامر ماء السماء امها قيلة بنت الارقم عمرو بن جفنة و
قيل قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن قضاعة حكى ذلك ابن
الكلبي والهمداني قال صاحب التوضيح ما ذكره القاضي عياض فيه
نظر فان الانصار ليسوا من ولد اسمعيل بن هاجر ولا العلم لها ولد
غيره ثم ان ما ذكر عن ان العرب كلهم من ولد اسمعيل انما يتاتى على ان
ان العرب كلهم من ولد اسمعيل عليه السلام الا قبائل استثنيت
والله تعالى اعلم ثم انهم قالوا انما سمي عامر بماء السماء لانه كان اذا

قحط الناس اقام لهم ماله مقام المطر وفي الحديث مشروعية ان يقال اخي في
غير النسب ويراد به الاخوة في الاسلام وفيه اباحة المعاريض والرخصة في
الانقياد للظالم وفيه قبول صلة الملك الظالم وقبول هدية المشرك وفيه
اجابة الدعاء باخلاص النية وكفاية الرب لمن اخلص في الدعاء بالعمل الصالح
وفيه ابتلاء الصالحين لرفع درجاتهم وفيه ان من نابه امر مهم من الكرب
ينبغي له ان يفزع الى الصلوة وفيه ان الوضوء كان مشروعا للامم قبلنا
وليس مختصا بهذه الامة ولا بالانبياء لثبوت ذلك عن سارة والجمهور على
انها ليست بنبية وان ذهب بعضهم اليه **فائدة** وقد يروى ان الله تعالى
كشف لابراهيم عليه حتى راى حال الملك مع سارة معاينة وانه لم يصل
منها الى شئ ومطابقة الحديث للترجمة في قوله لم يكذب ابراهيم عليه السلام وقد
اخرجه البخاري من طريقين الاول عن سعيد بن تليد وصرح برفعه والثاني
عن محمد بن محبوب وهو غير مرفوع والحديث في الاصل مرفوع واخرجه البخاري
ايضا وقد مر ايضا في اخر كتاب البيوع في باب شراء المملوك من الحربي من
طريق ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة رضي الله عنه وليس فيه قضية
الكذب وفيه باقي القصة على اختلاف في متن بزيادة او نقصان واخرجه
مسلم في الفضائل **حدثنا عبيد الله بن موسى** اي ابن باذام ابو محمد العبسي
الكوفي وهو من اكابر مشايخ البخاري **او ابن سلام** بتشديد اللام هو محمد
بن عبد الحميد بن جبير **عنه** وكانه شك في سماعه هذا الحديث من عبيد الله
وتحقق انه سمعه من محمد بن سلام عنه فاورده هكذا وقد وقع له نظير
هذا في اماكن عديدة قال **اخبرنا ابن جريج** هو عبد الملك بن عبد العزيز
بن جريج المكي **عن عبد الحميد بن جبير** مصغر جبر ضد الكسر ابن شيبة بن
عثمان الحجبي المعدود في اهل الحجاز وفي رواية الاسمعيلي من طريق يحيى القطان
وابي عاصم عن ابن جريج اخبرنا عبد الحميد **عن سعيد بن المسيب عن ام**
شريك اسمها غزية او غزيلة على صيغة التصغير فيهما **ان رسول الله صلى**
الله عليه وسلم امر بقتل الوزغ وفي رواية ابي عاصم احدى نساء بني عامر بن لؤي

ولفظ المتن انها استأمرت النبي صلى الله عليه وسلم في قتل الوزغان فامر
بقتلهن والوزغان بالفتح جمع وزغة بالفتح ايضا ولم يذكر الزيادة وهي
قوله وقال كان ينفخ على ابرهيم عليه السلام ووقع في حديث عائشة رضي الله
عنها عند ابن ماجه واحمد ان ابرهيم لما القي في النار لم تكن في الارض دابة
الا اطفأت عنه الا الوزغ فانها كانت تنفخ عليه فامر النبي صلى الله عليه وسلم
بقتلها وذكر بعض الحكماء ان الوزغ اصم وانه لا يدخل بيتا فيه زعفران وانه يلقح
بفيه وانه يبيض ويقال لكبارها سام ابرص وهو بتشديد الميم ويمج في الاناء
فينال الانسان من ذلك مكروه عظيم واذا تمكن من الملح تمرغ فيه ويصير ذلك
مادة لتولد البرص ويختفي في الشتاء اربعة اشهر لا يأكل شيئا كالحية ومنه وبين الحية
الفة كالفة العقارب والخنافس وقد مر الحديث في كتاب بدء الخلق في باب
خير مال المسلم غنم ومطابقته للترجمة في قوله وكان ينفخ على ابرهيم حدثنا عمر
بن حفص بن غياث قال اخبرنا ابي قال اخبرنا الاعمش حدثني بالافراد
ابرهيم النخعي عن علقمة عن عبد الله اي ابن مسعود رضي الله عنه انه
قال لما نزلت الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قلنا يا رسول الله اينا
لا يظلم نفسه قال ليس كما تقولون اي ليس الامر كما تقولون وتفهمون يعني بل
معناه لم يلبسوا ايمانهم بظلم بشرك اولم تسمعوا الى قول لقمن لا تشرك بالله
ان الشرك لظلم عظيم قال الاسمعيلي كذا اورد هذا الحديث في ترجمة ابرهيم
عليه السلام ولا اعلم فيه شيئا من قصة ابرهيم واجاب عنه الحافظ العسقلاني
فقال خفي عليه انه حكاية عن قول ابرهيم عليه السلام لانه سبحانه وتعالى
لما فرغ من حكاية ابرهيم في الكوكب والقمر والشمس ذكر محاجة قومه ثم حكى انه
قال لهم وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم
سلطانا فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون فهذا كله عن ابرهيم
وقوله ان كنتم تعلمون خطاب لقومه ثم استأنف وقال الذين امنوا ولم يلبسوا
الى اخره يعني ان الفريق الذي هم احق بالامن هم الذين امنوا فظهر تعلق
ذلك بترجمة ابرهيم عليه السلام وقد قال تعالى بعد ذلك وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم

واما ما قاله العيني بانه اثبات المطابقة بالجر الثقيل اذ المقصود من المطابقة
ان يكون فيه شيء من الفاظ الترجمة ولو كان شيئا يسيرا فانت خبير بانه لا يلزم
ذلك بل المناسبة المعنوية كافية في المطابقة ويتأنس فيها بما رواه الحاكم
عن علي رضي الله عنه انه قرأ هذه الاية الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
قال نزلت في هذه الاية في ابرهيم واصحابه وليست في هذه الامة والحديث
قد مضى في كتاب الايمان في باب ظلم دون ظلم حدثنا اسحق بن ابرهيم
بن نصر قال اخبرنا ابو اسامة حماد بن اسامة عن ابي حيان بفتح الحاء
المهملة وتشديد المثناة التحتية يحيى بن سعيد التيمي تيم الرباب الكوفي عن
ابي زرعة بضم الزاي وسكون الراء واسمه هرم بن عمرو بن جرير بن عبد الله
البجلي الكوفي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال اتي النبي صلى الله عليه
على البناء للمفعول بلحم فقال ان الله يجمع الاولين والاخرين في صعيد
واحد فيسمعهم من الاسماع الداعي فينفذهم البصر رواه الاكثرون بفتح الياء
وبعضهم بالضم يقال نفذه البصر اذا بلغه وجاوزه ويقال انفذت القوم
اذا اخذتهم ومعناه انه يحيط بهم بصر الناظر بحيث لا يخفى عليه منهم شيء
لاستواء الارض وقال ابو حاتم اصحاب الحديث يروونه بالذال المعجمة
وانما هو بالمهملة اي يبلغ اولهم واخرهم حتى يراهم كلهم ويستوعبهم من نفدت
الشيء انفده وانفدته وتدنو الشمس منهم فذكر حديث الشفاعة فياتون
ابرهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من الارض ووقع عند اسحق
بن راهويه ومن طريقه اخرجه الحاكم في المستدرك من وجه اخر عن ابي زرعة
عن ابي هريرة رضي الله عنه في هذا الحديث فيقولون يا ابرهيم انت
خليل الرحمن قد سمع بخلتك اهل السموات والارض اشفع لنا الى ربك
فيقول فذكر كذباته نفسي نفسي نفسي ثلاثا اذهبوا الى موسى والحديث
قد مضى في باب قول الله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه ومطابقته للترجمة
في قوله انت نبي الله وخليله تابعه اي تابع ابا هريرة رضي الله عنه في رواية
الحديث المذكور انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره البخاري

بذه همة تبعة في التوحيد وغيره من حديث قتادة عن انس رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله المؤمنين يوم القيمة كذلك فيقولون
لو استشفعنا الى ربنا حتى يريحنا من مكاننا الحديث تنبيه وقع في رواية
الحموي والكشميهني قبل حديث ابي هريرة رضي الله عنه ما هذا صورته يزفون
النسلان في المشي وفي رواية المستملي والباقين باب بغير ترجمة وسقط ذلك
من رواية النسفي ووهم من وقع عنده باب يزفون النسلان فانه كلام لا معنى
له والذي يظهر ترجيح ما وقع عند المستملي وقوله باب بغير ترجمة يقع عندهم
كالفصل من الباب وتعلقه بما قبله واضح فان الكل من ترجمة ابراهيم عليه
السلام قاله الحافظ العسقلاني وتعقبه العيني بان لا معنى جدا لان قوله باب
كالفصل فلا يحتاج الى الترجمة لانه من الباب السابق وانت خبير بانه كلام
من لم يطلع على كلام من اعترض عليه كما لا يخفى فافهم وفي شرح الكرماني باب
قول الله تعالى فاقبلوا اليه يزفون واما قوله يزفون اشارة الى ما في قوله
تعالى فاقبلوا اليه يزفون وهو من جملة قصة ابراهيم عليه السلام مع قومه
حين حين كسر اصنامهم قال الله تعالى فاقبلوا اليه اي الى ابرهيم يزفون
يسرعون ثم اشار بقوله النسلان في المشي الى المعنى الحاصل من قوله يزفون
وهو من زف في مشيه اذا اسرع والنسلان الاسراع في المشي قال مجاهد
الزفيف النسلان يقال نسل ينسل من باب ضرب يضرب نسلا ونسلانا وفي
حديث لقمن واذا سعى القوم فنسل اي اذا عدوا الغارة او مخافة اسرع
هو وقال ابن الاثير النسلان دون السعي ومادته نون وسين مهملة ولام
واخرج الطبري وابن ابي حاتم من طريق السدي قال رجع ابرهيم عليه السلام
الى الهتهم فاذا هي في بهو عظيم مستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه اصغر
منه بعضها الى جنب بعض فاذا هم قد جعلوا طعاما بين يدي الاصنام
وقالوا اذا رجعنا وجدنا الالهة بركت في طعامنا فلما نظر اليهم ابرهيم قال
الا تاكلون ما لكم لا تنطقون فاخذ حديدة فنقر كل صنم في حافتيه ثم علق
الفاس في الصنم الاكبر ثم خرج فلما رجعوا جمعوا لابرهيم الحطب حتى ان المراة

تمرض فتقول لئن عافاني الله لاجمعن لابرهيم حطبا فلما جمعوا له واكثروا
من الحطب ارادوا احراقه قالت السماء والارض والجبال والملائكة ربنا خليلك
ابرهيم يحرق قال انا اعلم به وان دعاكم فاغيثوه فقال ابرهيم عليه السلام
اللهم انت الواحد في السماء وانا الواحد في الارض ليس في الارض احد
يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل انتهى قال الحافظ العسقلاني ويظن
البخاري ان كانت الترجمة محفوظة اشار الى هذا القدر فانه يناسب قولهم
في حديث الشفاعة انت خليل الله من الارض والله تعالى اعلم حدثنا
احمد بن سعيد اي ابن ابرهيم ابو عبد الله المروزي المعروف بالرباطي
قال حدثنا وهب بن جرير الازدي البصري ابو العباس عن ابيه جرير
بفتح الجيم ابن حازم بن يزيد ابو النضر الازدي البصري عن ايوب السختياني
عن عبد الله بن سعيد بن جبير الاسدي الكوفي عن ابيه سعيد بن جبير
بن هشام الاسدي الفقيه الورع عن ابن عباس رضي الله عنهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث رواه ابن السكن والاسمعيلي من طريق
حجاج بن الشاعر عن وهب بن جرير عن ابيه عن ايوب عن عبد الله
بن سعيد بن جبير عن ابيه عن ابن عباس عن ابي بن كعب رضي الله عنهم عن
النبي صلى الله عليه وسلم فزاد في روايتهما ابي بن كعب رضي الله عنه ورواه
النسائي عن احمد بن سعيد شيخ البخاري باسقاط عبد الله بن سعيد
بن جبير وزيادة ابي بن كعب قال النسائي قال احمد بن سعيد قال وهب حدثنا
حماد بن زيد عن ايوب عن عبد الله بن سعيد بن جبير عن ابيه ولم يذكر
ابي بن كعب فوضح عن وهب بن جرير كان اذا رواه عن ابيه لم يذكر
عبد الله بن سعيد وذكر ابي بن كعب واذا رواه عن حماد بن زيد ذكر عبد الله
بن سعيد ولم يذكر ابي بن كعب ورواه النسائي ايضا عن ابي داود سليمان
بن سعيد عن علي بن المديني عن وهب به وفيه قلت لابي حماد لا يذكر ابي بن
كعب ولا يرفعه وقال انا احفظ كذا وكذا حدثني به ايوب قال وهب وحدثنا
حماد بن زيد عن ايوب عن عبد الله بن سعيد عن ابيه عن ابن عباس

رضي الله عنهما نحوه ولم يذكر ابي بن كعب ولم يرفعه قال وهب بن جرير فاتيت سلام بن ابي مطيع فحدثته بهذا الحديث عن حماد بن زيد عن ايوب عن عبد الله بن سعيد فانكره انكارا شديدا ثم قال له فابوك ما يقول قلت ابي يقول عن ايوب عن سعيد بن جبير فقال العجب والله ما يزال الرجل من اصحابنا الحافظ قد غلط انما هو ايوب عن عكرمة بن خالد عن سعيد بن جبير قال الحافظ العسقلاني وليس ببعيد ان يكون لايوب فيه عدة طرق فان اسمعيل بن علية من كبار الحفاظ وقد قال فيه عن ايوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ولم يذكر ابيا وهو مما يؤيد رواية البخاري اخرجه الاسمعيلي من وجهين عن اسمعيل احدهما هكذا والاخر قال فيه عن ايوب عبد الله بن سعيد بن جبير وقد عاب الاسمعيلي على البخاري اخراجه رواية ايوب لاضطرابها والذي يظهر انه اختلاف لا يضر لانه يدور على ثقات حفاظ ان كان باثبات عبد الله بن سعيد بن جبير وابي بن كعب فلا كلام وان كان باسقاطهما فايوب قد سمع من سعيد بن جبير واما ابن عباس رضي الله عنهما فان كان لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فهو من مرسل الصحابة وهو مقبول والله اعلم **قال يرحم الله ام اسمعيل** يعني هاجر **لولا انها عجلت لكان زمزم عينا معينا** بفتح الميم اي سائلا جاريا على وجه الارض يقال عين معين اي عين جارية والقياس ان يقال معينة فالتذكير اما للحمل على اللفظ او للتوهم انه فعيل بمعنى مفعول او على تقدير ذات معين وهو الماء يجري على وجه الارض وملخص قصتها ما ذكره السدي ان سارة زوجة ابرهيم عليه السلام حلفت ان لا تساكن هاجر فحملها ابرهيم واسمعيل معها الى مكة على البراق ومكة اذ ذاك عضاه وسلم وسمر وموضع البيت يومئذ ربوة فوضعهما موضع الحجر ثم انصرف فاتبعته هاجر فقالت الى من تكلنا فالله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا ثم انصرف راجعا الى الشام وكان مع هاجر شنة ماء وقد نفد فعطشت وعطش الصبي فقامت وصعدت الصفا فتسمعت هل تسمع صوتا او ترى انسانا فلم تسمع شيئا ولا رات احدا

ثم ذهبت الى المروة فصعدت عليها وفعلت مثل ذلك فلم تزل تسعى بينهما سبع مرات واصل السعي من هذا ثم سمعت صوتا فجعلت تدعو اسمع اي يعني اسمع يا الله قد هلكت وهلك من معي فاذا هي بجبريل عليه السلام فقال لها من انت قالت سرية ابرهيم تركني واياه ههنا قال الى من وكلكما قالت الى الله قال وكلكما الى كاف ثم جاء بهما الى موضع زمزم فضرب بعقبه ففارت عين فلذلك يقال لزمزم ركضة جبريل عليه السلام فلما نبع الماء اخذت هاجر شنتها وجعلت تستقي فيها تدخره وهي تفور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسمعيل لولا انها عجلت لكانت زمزم عينا معينا ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وقد اخرجه البخاري من ثلث طرق وهذا هو الاول والثاني قوله **قال الانصاري** هو محمد بن عبد الله بن مثنى بن عبد الله بن انس مات سنة اربع عشرة او خمس عشرة ومائتين **حدثنا ابن جريج** هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج قال **اما كثير بن كثير** بالمثلثة فيهما اي ابن المطلب بتشديد الطاء المهملة وكسر اللام ابن ابي وداعة بفتح الواو وتخفيف الدال السهمي وقد مر في كتاب الشرب عدل كلمة اما محذوف في هذه الرواية فكانه قال اما ايوب فحدث كذا واما كثير بن كثير فكذا **فحدثني قال اني وعثمان بن ابي سليمان** اي ابن جبير بن مطعم القرشي **جلوس** اي جالسان **مع سعيد بن جبير فقال ما هكذا حدثني ابن عباس رضي الله عنهما ولكنه قال اقبل ابرهيم باسمعيل وامه** يعني هاجر **وهي ترضعه** جملة حالية **ولها شنة** بفتح الشين المعجمة وتشديد النون وهي القربة البالية **لم يرفعه** اي لم يرفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم وهذا التعليق وصله ابو نعيم في المستخرج عن فاروق بن عبد الكبير الخطابي عن ابي خالد عبد العزيز بن معاوية القرشي عن الانصاري ولكنه اورده مختصرا هكذا ايضا وكذلك اخرجه عمر بن شبة في كتاب مكة عن محمد بن عبد الله الانصاري كذلك وقد رواه الازرقي من طريق مسلم بن خالد الزنجي والفاكهي من طريق محمد بن جعشم كلاهما عن ابن جريج فبين فيه سبب قول سعيد بن جبير ما هكذا حدثني ابن عباس رضي الله عنهما ولفظ عن

ابن جريج عن كثير بن كثير قال كنت انا وعثمان بن ابي سليمان وعبد الله
بن عبد الرحمن بن ابي حسين في اناس مع سعيد بن جبير باعلى المسجد
ليلا فقال سعيد بن جبير سلوني قبل ان لا تروني فسأله القوم فاكثروا فكان
مما سئل عنه ان قال رجل احق ما سمعنا في المقام مقام ابراهيم ان ابراهيم
حين جاء من الشام حلف لامرأته ان لا ينزل بمكة حتى يرجع فقربت اليه ام
اسمعيل المقام فوضع رجله عليه حتى لا ينزل فقال سعيد بن جبير ليس هكذا
حدثنا ابن عباس رضي الله عنهما ولكن ساق الحديث بطوله واخرجه
الفاكهي عن ابن ابي عمر عن عبد الرزاق بلفظ فقال يا معشر الشباب
سلوني فاني قد اوشكت ان اذهب من بين اظهركم فاكثر الناس مسألته
فقال له رجل اصلحك الله ارأيت هذا المقام هو كما كنا نتحدث قال وما كنت
تتحدث قال كنا نقول ان ابراهيم حين جاء عرضت عليه ام اسمعيل
النزول فأبى ان ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته له فقال ليس كذلك وهكذا اخرجه
الاسمعيلي من طرق عن معمر وحدثني عبد الله بن محمد المعروف بالمسندي
وهذا طريق ثالث من الطرق الثلث وهو يوضح القصة كما سيبين قال اخبرنا
عبد الرزاق هو ابن همام قال اخبرنا معمر هو ابن راشد عن ايوب
السختياني وكثير بن كثير بن المطلب بن وداعة يزيد احدهما على الآخر عن
سعيد بن جبير انه قال قال ابن عباس رضي الله عنهما اول ما اتخذ النساء
المنطق بكسر الميم وسكون النون وفتح الطاء هو ما يشد به الوسط ووقع
في رواية ابن جريج النطق بضم النون والطاء وهو جمع نطاق بمعنى المنطق
من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا اي اتخذت ام اسمعيل منطقا وكان اول
الاتخاذ من جهتها ومعناه انها تزيت بزي الخدم اشعارا بانها خادمها يعني
خادم سارة لتستميل خاطرها وتجبر قلبها وكان السبب في ذلك ان سارة
كانت وهبت هاجر لابراهيم عليه السلام فحملت منه باسمعيل عليه السلام فلما
ولدته غارت منها فحلفت لتقطعن منها ثلثة اعضاء فاتخذت هاجر منطقا
فشدت به وسطها وجرت ذيلها لتخفي اثرها على سارة وهو معنى قوله لتعفي اثرها

على سارة اي لان تعفي يقال عفى على ما كان منه اذا اصلح بعد الفساد
ويقال ان ابراهيم شفع فيها وقال لسارة حللي يمينك بان تثقبي اذنيها
وتخفضيها فكانت اول من فعل ذلك ووقع في رواية ابن علية عند
الاسمعيلي اول ما اتخذت العرب جر الذيول عن ام اسمعيل وذكر الحديث
ويقال ان سارة اشتدت بها الغيرة فخرج ابراهيم باسمعيل وامه الى مكة
لذلك وروى اسحق ابن عن ابن ابي نجيح عن مجاهد وغيره ان الله تعالى
لما بوأ لابراهيم مكان البيت خرج باسمعيل وهو طفل صغير وامه كما قال
في هذه الرواية ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل قيل وحملوا على البراق و
قيل كان تطوى له الارض وهي ترضعه جملة حالية اي والحال ان هاجر ترضع
اسمعيل حتى وضعها وفي رواية الكشميهني فوضعها ويروى حتى وضعهما عند
البيت اي عند موضع البيت لانه لم يكن في ذلك الوقت بيت ولا بناء
عند دوحة بفتح الدال والحاء المهملتين وهي الشجرة العظيمة بدل من عند
البيت فوق زمزم كذا في رواية الكشميهني وهو معروف وفي رواية غيره فوق
الزمزم في اعلى المسجد اي في اعلى مكان المسجد لانه لم يكن حينئذ مسجد وليس
بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا بكسر
الجيم وهو الذي يتخذ من الجلد يوضع فيه الزاد فيه تمر وسقاء بالنصب عطف
على جرابا وهو بكسر السين قربة صغيرة فيه ماء وفي رواية ابراهيم بن نافع
عن كثير التي بعد هذه الرواية ومعها شنة بفتح المعجمة وتشديد النون وهي
القربة العتيقة اليابسة ثم قفى بفتح القاف وتشديد الفاء من التقفية
وهي الاعراض والتولي ابراهيم منطلقا قال الهروي يعني ولى راجعا الى الشام
وفي رواية ابن اسحق فانصرف ابراهيم الى اهله بالشام وترك اسمعيل وامه
عند البيت وقوله منطلقا نصب على الحال فتبعته ام اسمعيل وفي رواية ابن
اسحق فاتبعته وفي رواية ابن جريج فادركته بكداء فقالت يا ابراهيم اين
تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ويروى انس ولا شيء
فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله امرك بهذا وفي رواية

عمر بن شبة من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير انها نادته
ثلثا واجابها في الثالثة فقالت له من امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا
وفي رواية عطاء بن السائب فقالت لن يضيعنا وفي رواية ابن جريج
فقالت حسبي وفي رواية ابراهيم بن نافع عن كثير المذكورة بعد ذلك في
الباب فقالت رضيت بالله ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان
عند الثنية بفتح المثلثة وكسر النون وتشديد التحتية وهي في الجبل كالعقبة
فيه وقيل هو الطريق العالي فيه وقيل اعلى المسيل في راسه وفي رواية من
طريق كدا وهو بفتح الكاف ممدود وهو الموضع الذي دخل النبي صلى
صلى الله عليه وسلم مكة منه وهو معروف وقد مضى الكلام فيه في الحج ووقع
في رواية الاصيلي البنية بالموحدة بدل المثلثة وهو تصحيف وضبط
ابن الجوزي كدا بالضم والقصر وقال ابن التين باسفل مكة قعيقعان
قال لانه وقع في الحديث انهم نزلوا باسفل مكة قال الحافظ العسقلاني
وذلك ليس بمانع ان يرجع من اعلى مكة فالصواب ما وقع في الاصول
بفتح الكاف والمد حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء
الدعوات ورفع يديه فقال ربنا وفي رواية الكشميهني رب والاول
هو الموافق للتلاوة اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى
بلغ يشكرون والاية في سورة ابراهيم قال الله تبارك وتعالى واذ
قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد الحرام امنا ذا امن لمن فيها والفرق
بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا امنا ان المسؤول في الاول ازالة الخوف
عنه وتصييره امنا وفي الثاني جعله من البلاد الامنة واجنبني وبني
بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منه في جانب بمعنى ثبتنا
وادمنا على اجتناب عبادتها وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق
الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته
وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت
لهم انصاب حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت

حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر
فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت رب انهن
اضللن كثيرا من الناس فاعوذ بك من اضلالهن واسالك ان
تعصمني وبني من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن
فكانهن اضللتهم فاسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله تعالى
وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني على ملتي وديني وكان حنيفا مسلما
مثلي فانه مني اي هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي لا ينفك
عني في امر الدين وقوله من غشنا فليس منا اي ليس بعض المؤمنين على
ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم ومن عصاني فانك غفور
رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء وبعد التوفيق للتوبة وفيه دليل
على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين
غيره ربنا اني اسكنت من ذريتي بعض اولادي وهم ومن ولد منه فان
اسكانه متضمن لاسكانهم او ذرية من ذريتي فحذف المفعول بواد هو
وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء قط فانها حجرية لا تنبت وهذا
كقوله تعالى عربيا غير ذي عوج يعني لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة
لا غير عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به اذ لم يزل
معظما ممنعا تهابه الجبابرة كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب وجعلت
ما حوله حرما امنا لمكانه او لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم
على الطوفان اي منع منه فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا منه ولو دعا
بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما يؤول اليه
ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم
بهذا الوادي البلقع الخلاء من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة
عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعم به مساجدك ومتعبدك
متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم
متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود

حوله ستر لين الرحمة التي اثرت بها سكان حرمك وتكرير النداء وتوسيط
للاشعار بانها مقصود بالذات من اسكانهم ثمة ومقصود من الدعاء
توفيقهم لها وقيل اللام لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه
طلب منهم الاقامة وسال من الله ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس
اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن
مجاهد لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود
والنصارى وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليها حتى الروم والترك
والهند ويجوز ان يكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد
قلبي فكانه قيل افئدة ناس وانما نكر المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة
لانها في الاية نكرة ليتناول بعض الافئدة تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير
نحوهم شوقا ونزاعا وهو من هوى يهوي اذا احب ضمن معنى تنزع
فعدي بالى تعديته وارزقهم من الثمرات مع سكانهم واديا لا نبات
فيه ولا شيء من الثمرات بان تجلب اليهم من البلاد لعلهم يشكرون تلك
النعمة فان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر
ولا ماء لا جرم ان الله تعالى اجاب دعوته فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات
كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه على كل ريف
وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى
الاعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه
المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس
ذلك من اياته بعجيب وقيل وارزقهم من الثمرات اي التي تكون في بلاد
الريف فقبل الله دعاءه وانبت لهم بالطائف سائر الاشجار لعلهم
يشكرون النعمة وفقنا الله لشكر نعمه وزيارة حرمه وادام لنا الشرف
بالدخول تحت دعوة ابرهيم ورزقنا طرفا من سلالة ذلك القلب
السليم وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا
انفد ما في السقاء اي حتى اذا فرغ الماء الذي في السقاء عطشت زاد

وعن سعيد بن جبير لو قال افئدة الناس لحجه اليهود والنصارى والمجوس صح

الفاكهي من حديث ابي جهم فانقطع لبنها وعطش ابنها اي اسمعيل عليه
السلام وفي رواية الفاكهي وكان اسمعيل حينئذ ابن سنتين وجعلت
تنظر اليه يتلوى اي يتمرغ وينقلب ظهرا لبطن يمينا وشمالا والتلوي
وجع في البطن او شك من الراوي قال يتلبط بالباء الموحدة قبل الطاء
المهملة اي يتمرغ ويضرب بنفسه الارض وقال الداودي يعني انه يحرك
شفتيه ولسانه كانه يموت وقال الخليل لبط فلان بفلان الارض
اذا صرعه صرعا عنيفا وقال ابن دريد اللبط باليد والخبط بالرجل
وفي رواية عطاء بن السائب فلما ظمئ اسمعيل جعل يضرب الارض
بعقبيه وفي رواية مع والكشميهني يتمغط بالميم والظاء المعجمة وفي رواية
ابراهيم بن نافع كانه ينشغ للموت وهو بفتح الياء وسكون النون
وفتح المعجمة بعدها غين معجمة اي يشهق ويعلو صوته وينخفض كالذي
ينازع فانطلقت كراهية ويروى كراهة ان تنظر اليه فوجدت الصفا
اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي وفي
رواية عطاء بن السائب والوادي يومئذ عميق تنظر هل ترى احدا
جملة وقعت حالا فلم ترا احدا وفي رواية ابي جهم تستغيث ربها وتدعوه
فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها درع
المراة قميصها ثم سعت سعي الانسان المجهود اي الذي اصابه الجهد
وهو الامر الشاق حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت
عليها ونظرت هل ترى احدا فلم ترا احدا ففعلت ذلك سبع مرات وفي
حديث ابي جهم وكان ذلك اول ما سعى بين الصفا والمروة وفي
رواية ابراهيم بن نافع انها كانت في كل مرة تتفقد اسمعيل وتنظر
ما حدث له بعدها وقال في روايته فلم تقرها نفسها وهو بضم اوله و
كسر القاف ونفسها بالرفع الفاعل اي لم تتركها نفسها مستقرة
فتشاهده في حال الموت فرجعت وهذا في المرة الاخيرة قال ابن عباس
رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعي الناس بينهما

فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه بفتح المهملة وسكون
الهاء وبكسرها منونة تريد نفسها اى خاطبت نفسها فقالت لها اسكتى
وفى رواية ابرهيم بن نافع وابن جريج فقالت اغثنى ان كان عندك
خير ثم تسمعت اى تكلفت السماع واجتهدت فيه وهو من باب التفعل
للتكلف فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت بفتح التاء اى الاسماع ان كان عندك
غواث بفتح الغين المعجمة فى رواية الاكثرين وتخفيف الواو واخره مثلثة
قيل وليس فى الاصوات فعال بالفتح اوله غيره وحكى ابن الاثير ضم اوله والمراد به
على هذا المستغيث وحكى ابن قرقول كسر اوله ايضا والضم رواية ابى ذر والفتح
رواية الاصيلى وضبطه الدمياطى بالضم وابن التين بالفتح وعلى كل حال هو
مشتق من الغوث وجزاء الشرط محذوف تقديره ان كان عندك غواث
فاغثنى فاذا هى بالملك كلمة اذا للمفاجاة وفى رواية ابرهيم بن نافع وابن
جريج فاذا جبريل وفى حديث على رضى الله عنه عند الطبرى باسناد حسن فناداها
جبريل فقال من انت قالت انا هاجر ام ولد ابرهيم قال فالى من وكلكما قالت
الى الله قال وكلكما الى كاف عند موضع زمزم فبحث بعقبه البحث طلب الشى
فى التراب وكانه حفر بطرف رجله او قال بجناحه شك من الراوى وقال الكرمانى
ومعنى قال بجناحه اشار به وفى رواية ابرهيم بن نافع فقال بعقبه هكذا وغمز
عقبه على الارض وهى تعين ان ذلك كان بعقبه وفى رواية ابن جريج
فركض جبريل برجله وفى حديث على رضى الله عنه ففحص الارض باصبعه
فنبعت زمزم وقال ابن اسحق فى روايته وزعم العلماء انهم لم يزالوا يسمعون
انها همزة جبريل حتى ظهر الماء وفى رواية ابن جريج ففاض الماء وفى رواية
ابن نافع فانبثق وهى بنون وموحدة ومثلثة وقاف اى تفجر فجعلت
تحوضه اى تجعله كالحوض لئلا يذهب الماء وفى رواية ابن نافع فدهشت
ام اسمعيل فجعلت تحفر وفى رواية الكشميهنى من رواية ابن نافع تحفن
بالنون بدل الراء والاول اصوب وفى رواية عطاء بن السائب فجعلت
تفحص الارض بيديها وتقول بيدها هكذا هو حكاية فعلها وهذا من اطلاق

القول على الفعل وفى حديث على رضى الله عنه فجعلت تحبس الماء فقال
دعيه فانها رواء وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما
تغرف قال ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم
الله ام اسمعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الماء ويروى من زمزم
وهو شك من الراوى وفى رواية ابن نافع لو تركته وهذا القدر صرح ابن
عباس رضى الله عنهما برفعه وفيه اشعار بان جميع الحديث مرفوع لكانت
زمزم عينا معينا بفتح الميم ان كان من عانه فهو بوزن مفعول واصله
معيون فحذفت الواو وان كان من المعن وهو المبالغة فى الطلب فهو بوزن
فعيل وفى رواية ابن نافع لكان الماء ظاهرا وقال ابن الجوزى كان ظهور
زمزم نعمة من الله محضة بغير عمل عامل فلما خالطها تحويض هاجر داخلها
كسب البشر فقصرت على ذلك قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها
الملك لا تخافوا الضيعة بفتح المعجمة وسكون التحتية اى الهلاك ويروى
لا تخافى وفى حديث ابى جهم لا تخافى ان ينفد الماء وفى رواية على بن الوزع
عن ايوب عند الفاكهى لا تخافى على اهل هذا الوادى ظماء فانها عين يشرب
بها ضيفان الله وزاد فى حديث ابى جهم فقالت بشرك الله بخير وفيه ان
الملك يتكلم مع غير الانبياء عليهم السلام فان ههنا بيت الله كذا فى رواية
الكشميهنى وفى رواية غيره فان هذا بيت الله يبنى هذا الغلام وابوه كذا هو
بحذف المفعول وفى رواية الاسمعيلى يبنيه باظهار المفعول وزاد ابن اسحق
فى روايته واشار لها الى البيت وهو يومئذ مدرة حمراء فقال هذا بيت الله
العتيق واعلمى ان ابرهيم واسمعيل يرفعانه وان الله لا يضيع اهله وكان
البيت مرتفعا من الارض كالرابية بالموحدة ثم المثناة التحتية اى المكان
المرتفع وروى ابن ابى حاتم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله
عنهما قال لما كان زمن الطوفان رفع البيت فكان الانبياء يحجونه ولا يعلمون
مكانه حتى بواه الله لابرهيم واعلمه مكانه وروى البيهقى فى الدلائل من طريق
اخرى عن عبد الله بن عمرو مرفوعا بعث الله جبريل الى ادم عليهما السلام

فأمره ببناء البيت ثم أمر بالطواف به وقيل له أنت أول الناس وهذا أول بيت
وضع للناس وروى عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء أن آدم عليه السلام
أول من بنى البيت وقيل بنته الملائكة قبله وعن وهب بن منبه أول من بناه شيث
والأول أثبت وسيأتي مزيد لذلك في آخر شرح هذا الحديث إن شاء الله تعالى ثانيه
السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت أي هاجر رضي الله عنها كذلك أي
على الحال الموصوفة وفيه إشعار بأنها كانت تتغذى بماء زمزم فيكفيها عن
الطعام والشراب حتى مرت بهم رفقة بضم الراء وسكون الفاء وفتح القاف
وهم الجماعة المختلطون سواء كانوا في سفر أو لا من جرهم بضم الجيم والهاء حي من
اليمن وهو ابن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح
عليه السلام وقيل ابن يقطن قال ابن إسحق وكان جرهم وأخوه قطورا أول من تكلم
بالعربية عند تبلبل الألسن وكان رئيس جرهم مضاض بن عمرو ورئيس
قطورا السميدع ويطلق على الجميع جرهم وقيل إن أصلهم من العمالقة
وفي رواية عطاء بن السائب وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة أو أهل
بيت من جرهم شك من الراوي مقبلين حال وهو من الإقبال وهو التوجه
إلى الشيء من طريق كداء بفتح الكاف وتخفيف الدال وبالمد كذا هو في
جميع الروايات واستشكله بعضهم لقوله فنزلوا في أسفل مكة فإن كداء بالفتح والمد
في أعلى مكة وأما الذي في أسفل مكة فبالضم والقصر ورد بأنه لا مانع من أن
يدخلوها من الجهة العليا وينزلوا في الجهة السفلى فرأوا طائرا عائفا بالمهملة
والفاء هو الذي يحوم حول الماء ويتردد عليه لا يمضي عنه وقال الخليل العائف
الرجل الذي يعرف مواضع الماء من الأرض فقالوا إن هذا الطائر ليدور
على ماء لعهدنا اللام فيه مفتوحة للتأكيد بهذا الوادي وما فيه ماء جملة حالية
بالواو فأرسلوا جريا أو جريين بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد التحتانية أي
رسولا وقد يطلق على الوكيل وعلى الأجير قيل سمي بذلك لأنه يجري مجرى مرسله
أو موكله أو لأنه يجري مسرعا في حوائجه وقوله جريا أو جريين شك من الراوي
هل أرسلوا واحدا أو اثنين وفي رواية إبراهيم بن نافع فأرسلوا رسولا ويحتمل

61

الزيادة على الواحد ويكون الإفراد باعتبار الجنس لقوله فإذا هم بالماء بصيغة
الجمع ويحتمل أن يكون الإفراد باعتبار المقصود بالإرسال والجمع باعتبار من
تبعه من خادم ونحوه فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا أي فأقبل جرهم إلى جهة
الماء قال أي الراوي وأم إسمعيل عندها جملة حالية فقالوا أتأذنين لنا أن
ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس رضي
الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم فألفى ذلك أم إسمعيل وهي تحب الأنس
قوله فألفى بالفاء أي وجد قال الكرماني أي وجد ذلك الجرهمي أم إسمعيل محبة
للمؤانسة بالناس وقال بعضهم أي وجد أم إسمعيل بالنصب على المفعولية
ولم يبين فاعل وجد وقال العيني وكأنه خفي على الكرماني حتى جعل فاعل ألفى الجرهمي
قوله ذلك وهو إشارة إلى استئذان جرهم والمعنى فألفى استئذان جرهم بالنزول
أم إسمعيل والحال أنها تحب الأنس لأنها كانت وحدها وإسمعيل صغير والوحشة
متمكنة ونظير ذلك ما قول عائشة رضي الله عنها ما ألفى السحر عندي إلا نائما
وفسره ابن الأثير وغيره أي ما أتى عليه السحر إلا وهو نائم يعني بعد صلوة
الليل والفعل فيه للسحر وقوله الأنس بضم الهمزة ضد الوحشة ويجوز الكسر
الضان تحب جنسها فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا
كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام أي إسمعيل عليه السلام وفي حديث
ابن جهم ونشأ إسمعيل بين ولدانهم وتعلم العربية منهم أي من جرهم
فيه إشعار بأن لسان أمه وأبيه لم يكن عربيا وفيه تضعيف لقول من
قال إنه أول من تكلم بالعربية وقد وقع ذلك من حديث ابن عباس
رضي الله عنهما عند الحاكم في المستدرك بلفظ أول من نطق بالعربية إسمعيل
وروى الزبير بن بكار في النسب من حديث علي رضي الله عنه بإسناد حسن قال
أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة إسمعيل وبهذا القيد يجمع بين الخبرين
فيكون أوليته مطلقة فيكون بعد تعلمه أصل العربية من جرهم ألهمه الله
تعالى العربية الفصيحة المبينة فنطق بها ويشهد لهذا ما حكى ابن هشام
في التيجان عن الشرقي بن قطامي أن عربية إسمعيل كانت أفصح من

في بنيه يعرب بن قحطان وبقايا حمير وجرهم وقال العيني المعنى اول من تكلم
بالعربية من اولاد ابراهيم اسمعيل عليهما السلام لان ابراهيم واهله كلهم لم يكونوا
يتكلمون بالعربية لا بالسنة الجرهم وانفسهم بفتح الفاء بلفظ الماضي اي رغبهم
فيه وفي مصاهرته يقال انفسني فلان في كذا اي رغبني فيه لنفاسته وقال الحافظ
العسقلاني انفسهم بفتح الفاء بلفظ افعل التفضيل من النفاسة اي كثرت رغبتهم
فيه وتعقبه العيني بانه غلط وانما هو الافعل ماض من الانفاس وفاعله اسمعيل
عليه السلام وهو عطف على تعلم قال ابن الاثير في النهاية وحديث اسمعيل
عليه السلام انه تعلم العربية وانفسهم اي رغبهم واعجبهم وصار عندهم نفيسا
يقال انفسني في كذا اي رغبني فيه فيكون قوله واعجبهم عطف تفسير لقوله انفسهم
حين شب ووقع عند الاسمعيلي وانسهم بغير فاء من الانس فلما ادرك زوجوه
امراة منهم قال السهيلي اسمها جدا بنت سعد وعن ابن اسحق ان اسمها عمارة
بنت سعد بن اسامة وفي حديث ابي جهم انها بنت صدي ولم يسمها وعند
عمر بن شبة اسمها حي بنت اسعد بن عملق وعند الفاكهي عن ابن اسحق
ان اسمعيل عليه السلام خطبها الى ابيها فتزوجها منه وماتت ام اسمعيل هاجر
في خلال ذلك فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل وفي رواية عطاء بن السائب
فقدم ابراهيم عليه السلام وقد ماتت هاجر قبل وكان عمرها تسعين سنة
فدفنها اسمعيل عليه السلام في الحجر يطالع تركته بكسر الراء اي يتفقد حال ما تركه
هناك وضبطها بعضهم بالسكون وقال التركة بالكسر بيض النعام ويقال لها التريكة
قيل لها ذلك لانها حين تبيض تترك بيضها وتذهب ثم تعود فتطلبه فتحضن
ما وجدت سواء كان هو او غيره وفيها ضرب الشاعر المثل بقوله كتاركة
بيضها بالعراء وحاضنة بيض اخرى جناحا ومطالعة النظر في الامور وقال
ابن التين هذا يشعر بان الذبيح اسحق عليه السلام لان المامور بذبحه كان عند
ما بلغ السعي وقد قال في هذا الحديث ان ابراهيم ترك اسمعيل رضيعا وعاد اليه
وهو متزوج فلو كان هو المامور بذبحه لذكر في الحديث انه عاد اليه في خلال ذلك
بين زمان الرضاع والتزوج واجاب عنه الكرماني بانه ليس فيه نفي مجيئه مرة اخرى

قبل موتها وتزوجه بهذا فيحتمل ان يكون جاء والمراد الذبح ولم يذكر في الحديث
وقد جاء ذكر مجيئه بين الزمانين في خبر آخر ففي حديث ابي جهم كان ابراهيم
يزور هاجر كل شهر على البراق يغدو غدوة فياتي مكة ثم يرجع فيقيل في منزله
بالشام وروى الفاكهي من حديث علي رضي الله عنه باسناد حسن نحوه وان
ابراهيم كان يزور اسمعيل وامه على البراق والله تعالى اعلم فلم يجد اسمعيل
فسال امراته عنه فقالت خرج يبتغي لنا اي يطلب لنا الرزق وفي رواية ابن
جريج وكان عيش اسمعيل الصيد يخرج فيتصيد وفي حديث ابي جهم وكان
اسمعيل يرعى ماشيته ويخرج متنكبا قوسه فيرمي الصيد وفي حديث ابن اسحق
وكانت مسارحه التي يرعى فيها السدرة الى السر من نواحي مكة ثم سالها
عن عيشهم وهيئتهم وزاد في رواية عطاء بن السائب وقال هل عندك ضيافة
فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة فشكت اليه وفي حديث ابي جهم فقال
لها هل من منزل قالت لاها الله اذا قال فكيف عيشكم قال فذكرت جهدا فقالت
اما الطعام فلا طعام واما الشاء فانما تحلب المصر اي الشخب واما الماء فعلى ما
ترى من الغلظ والشخب بفتح المعجمة ثم موحدة السيلان قال فاذا جاء زوجك
فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه ويروى عتبة بابك وهو غير ظاهر
والعتبة بفتح العين مهملة والمثناة الفوقية والموحدة هي اسكفة الباب
وهي هنا كناية عن المراة فلما جاء اسمعيل كانه آنس شيئا فقال هل جاءكم من احد
قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا وفي رواية عطاء ابن السائب كالمستخفة بشانه
فسالنا بفتح اللام عنك فاخبرته وسالني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد
وشدة قال فهل اوصاك بشيء قالت نعم امرني ان اقرا عليك السلام ويقول
لك غير عتبة بابك قال ذاك ابي ابراهيم عليه السلام وقد امرني ان افارقك
الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى اي تزوج من جرهم امراة اخرى
ذكر الواقدي تبعه المسعودي ان اسمها سامة بنت مهلهل وقيل اسمها عاتكة
وقيل بشامة بفتح موحدة والشين معجمة خفيفة بنت مهلهل بن سعد بن
عوف وقيل اسمها جدة بنت الحارث بن مضاض وحكى ابن سعد عن ابي

اسحق ان اسمها رعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمية وعن ابن الكلبي انها
رعلة بنت يشجب بن يعرب بن لوذان بن جرهم وذكر الدارقطني في المختلف
ان اسمها السيدة بنت مضاض وحكى محمد بن اسعد الجواني ان اسمها هالة
بنت الحارث وقيل الحنفاء وقيل سلمى فتلخص في اسمها ثمانية اقوال وفي اسم ابيها
اربعة وفي حديث ابي جهم ونظر اسمعيل الى بنت مضاض بن عمرو فاعجبته فخطبها
الى ابيها فتزوجها فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل
ويروى ودخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم و
سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة وفي حديث ابي جهم نحن
في خير عيش بحمد الله ونحن في لبن كثير ولحم كثير وماء طيب واثنت على الله
فقال ما طعامكم قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم
والماء وفي رواية ابراهيم بن نافع اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم قال
قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم بركة بدعوة ابراهيم وفيه حذف تقديره
في طعام اهل مكة وشرابهم بركة قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم
يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو عليهما احد بغير مكة الا لم
يوافقاه اي فاللحم والماء لا يعتمد عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه والغرض
ان المداومة على اللحم والماء لا يوافق الامزجة وينحرف المزاج عنهما الا في مكة فانهما
يوافقانه وهذا من جملة بركاتها واثر دعاء ابراهيم عليه السلام وفي رواية الكشميهني لا
يخلوان بالصيغة التثنية قال ابن القوطية خلوت بالشيء واختليت اذا لم
اخلط به غيره ويقال اخلى الرجل اللبن اذا شرب غيره وفي حديث ابي جهم ليس
احد يخلو على اللحم والماء بغير مكة الا اشتكى بطنه وزاد في حديثه وكذا في رواية عطاء
بن السائب نحوه فقالت له انزل رحمك الله فاطعم واشرب قال اني لا استطيع
النزول قالت فاني اراك شعثا افلا اغسل راسك وادهنه قال بلى ان شئت
فجائته بالمقام وهو يومئذ ابيض مثل المهاة وكان في بيت اسمعيل ملقى فوضع
قدمه اليمنى وقدم اليها بشق راسه وهو على دابته فغسلت شق راسه
الايمن فلما فرغ حولت له المقام حتى وضع قدمه اليسرى وقدم اليها براسه

فغسلت شق راسه الايسر فالاثر الذي في المقام من ذلك ظاهر فيه
موضع العقب والاصبع وعند الفاكهي من وجه آخر عن ابن جريج عن رجل
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان سارة داخلتها غيرة
فقال لها ابراهيم لا انزل حتى ارجع اليك ونحوه في رواية عطاء بن السائب
عند عمر بن شبة قال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة
بابه فلما جاء اسمعيل قال هل اتاكم من احد وفي رواية عطاء بن السائب فلما جاء
اسمعيل وجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جاءك من احد قالت نعم اتانا شيخ
حسن الهيئة واثنت عليه وفي رواية عطاء بن السائب قالت نعم شيخ
احسن الناس وجها واطيبه ريحا فسألني عنك فاخبرته فسألني وبرى
وسألني بالوا وكيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم
هو يقرأ عليك ويأمرك ان تثبت عتبة بابك وزاد في حديث ابي جهم فانها
صلاح المنزل قال ذاك ابي وانت العتبة امرني ان امسكك زاد في حديث
ابي جهم ولقد كنت علي كريمة ولقد ازددت علي كرامة فولدت لاسمعيل عليه السلام
عشرة ذكور وقال الفاكهي ولدت له اثني عشر رجلا وسمى ثابت وقيدار وادبيل
ومبشا ومسمع ودوما وماسين وآذر ونطور ونافس وطميا وقيدما
وكانت له ابنة تسمى نسمة وزاد معمر في روايته فسمعت رجلا يقول كان ابراهيم
ياتي على البراق يعني في كل مرة وفي رواية عمر بن شبة وانعجب ابراهيم بنجدة بنت
الحارث فدعا لها بالبركة ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبري
بفتح اليا وسكون الموحدة اي ينحت ويصنع نبلا له والنبل بفتح النون وسكون
الموحدة السهم قبل ان يركب فيه نصله وريشه وهو السهم العربي ووقع عند
الحاكم من رواية ابراهيم بن نافع في هذا الحديث يصلح نبلا له وكانه تصحيف
والذي في البخاري هو الموافق لغيرها من الروايات تحت دوحة وهي التي نزل
اسمعيل وامه تحتها اول قدومهما ووقع في رواية ابراهيم بن نافع من وراء زمزم
قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد
يعني من الاعتناق والمصافحة وتقبيل اليد ونحو ذلك وفي رواية معمر قال سمعت

رجلا يقول لبيك حتى اجابها الطير وهذا ان ثبت فيحمل على انه تباعد لقاؤهما
ثم قال يا اسمعيل ان الله امرني بامر وفي رواية ابرهيم بن نافع ان ربك امرني ان
ابني له بيتا ووقع في حديث ابي جهم عند الفاكهي ان عمر ابرهيم عليه السلام
كان يومئذ مائة سنة وعمر اسمعيل عليه السلام ثلثين سنة قال فاصنع
ما امرك ربك قال وتعينني قال واعينك وفي رواية الكشميهني فاعينك بالفاء
وفي رواية ابرهيم بن نافع ان الله قد امرني ان تعينني عليه قال اذن افعل
بنصب اللام قال ابن التين يحتمل ان يكون امره الله ان يبني اولا وحده ثم
امره ان يعينه اسمعيل قال فيكون الحديث الثاني متاخر العهد الاول قال الحافظ
العسقلاني ولا يخفى تكلفه بل الجمع بينهما ممكن بان يكون امره ان يبني وان اسمعيل
يعينه فقال ابرهيم لاسمعيل ان الله امرني ان ابني البيت وتعينني وتخلل بين
قوله وتعينني قول اسمعيل فاصنع ما امرك ربك قال فان الله امرني ان ابني
ههنا بيتا واشار الى اكمة بفتح الهمزة والكاف وهي الرابية وللفاكهي من
حديث عثمان فبناه ابرهيم واسمعيل وليس معهما وغيرهما يومئذ يعني
في شان ركنيهما في البناء والا فقد تقدم انه كان نزل جرهم مع اسمعيل عليه
السلام مرتفعة على ما حولها قال العيني يتعلق بقوله ابني فافهم قال فعند
ذلك رفعا القواعد من البيت القواعد جمع قاعدة وفي رواية احمد
عن عبد الرزاق عن معمر عن ايوب عن سعيد عن ابن عباس رضي
الله عنهما القواعد التي رفعها ابرهيم كانت قواعد البيت قبل ذلك وفي
رواية مجاهد عند ابن ابي حاتم ان القواعد كانت في الارض السابعة وفي
حديث عثمان وابي جهم فبلغ ابرهيم من الاساس اس آدم عليه السلام وجعل
طوله في السماء تسعة اذرع وعرضه في الارض يعني دوره ثلثين ذراعا وانما
كان ذلك بذراعهم زاد ابو جهم وادخل الحجر في البيت وقيل كان ذلك زربا لغنم
اسمعيل وانما بناه بحجارة بعضها على بعض ولم يجعل له سقفا وجعل له بابا وحفر
له بئرا عند بابه خزانة للبيت يلقى فيها ما يهدى للبيت وفي حديثه ايضا ان الله
اوحى الى ابرهيم عليه السلام ان اتبع السكينة فحلقت على موضع البيت كانها

سحابة فحفراه يريدان اساس آدم الاول وفي حديث علي عند الحاكم والطبري
راى على راسه في موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل الراس فكلمه فقال يا ابرهيم
ابن على ظلي او على قدري ولا تزد ولا تنقص وذلك حين يقول الله تعالى
واذ بوانا لابرهيم مكان البيت الاية اي واذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة
وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اي واذ انزلناه فيه وقيل رفع البيت الى السماء
او انطمس ايام الطوفان فاعلم الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه
على بنائه القديم فجعل اسمعيل عليه السلام ياتي بالحجارة وابرهيم عليه السلام
يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر اراد به الحجر المشهور بمقام ابرهيم عليه
السلام وفي رواية ابرهيم بن نافع حتى ارتفع وضعفت الشيخ عن نقل الحجارة
فقام على حجر المقام فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسمعيل يناوله الحجارة
وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم قال فجعلا يبنيان
حتى يدورا حول البيت من الدوران ويروى حتى يدور من التدوير وهما
يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وفي حديث عثمان نزل
عليه الركن والمقام فكان ابرهيم يقوم على المقام يبني عليه ويرفعه له
اسمعيل فلما بلغ الموضع الذي فيه الركن وضعه يومئذ موضعه فاخذ المقام
فجعله لاصقا بالبيت وفي حديث ابي جهم ذهب اسمعيل الى الوادي يطلب حجرا
فنزل جبريل بالحجر الاسود وقد كان رفع الى السماء حين غرقت الارض فلما جاء
اسمعيل فراى الحجر الاسود قال من اين هذا من جاءك به قال ابرهيم من لم
يكلني اليك والى حجرك ورواه ابن ابي حاتم من طريق السدي نحوه وانه كان
بالهند وكان ياقوتة بيضاء مثل الثغامة وهي بالمثلثة والمعجمة طير كبير ابيض
وروى الفاكهي من طريق ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال والله ما بناه بقصة ولا مدر ولا كان لهما من السعة والاعوان
ما يسقفانه ومن حديث علي كان ابرهيم يبني كل يوم ساقا والساق كل
عرق من الحائط ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
عنده وعند ابن ابي حاتم انه بناه من خمسة اجبل من حراء وثبير ولبنان

وجبل الطور وجبل الجمر قال ابن ابي حاتم جبل الجمر بفتح الجيم والميم هو جبل بيت
المقدس وقال عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء ان آدم بناه من خمسة
اجبل حراء وطور زيتا وطور سيناء والجودي ولبنان وكان ربضه من
حراء ومن طريق محمد بن طلحة التيمي قال سمعت انه اسس البيت من ستة اجبل
من ابي قبيس ومن الطور ومن قدس ومن ورقان ومن رضوى ومن
احد وقال ابن جرير حدثنا هناد بن السري نا ابو الاحوص عن سماك عن
خالد بن عرعرة ان رجلا قام الى علي رضي الله عنه فقال الا تخبرني عن البيت
اهو اول بيت وضع في الارض فقال لا ولكنه اول بيت وضع في البركة
مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وان شئت انبأتك كيف بني ان
الله تعالى اوحى الى ابراهيم عليه السلام ان ابن لي بيتا في الارض قال
فضاق ابراهيم بذلك ذرعا فارسل الله السكينة وهي ريح خجوج لها
راسان فاتبع احدهما صاحبه حتى انتهت الى مكة فتطوت على موضع
البيت كطي الحجفة وامر ابراهيم عليه السلام ان يبني حيث تستقر السكينة
فبنى ابراهيم وبقي حجر فقال ابراهيم لاسمعيل عليهما السلام ابغني حجرا كما
آمرك قال فانطلق الغلام يلتمس له حجرا فاتاه به فوجده قد ركب الحجر الاسود
في مكانه فقال يا ابت من اتاك بهذا قال اتاني به من لا يتكل على بنائك
جاء به جبريل عليه السلام من السماء فاتماه وفي رواية السدي لما بنيا القواعد
فبلغا مكان الركن قال ابراهيم لاسمعيل يا بني اطلب لي حجرا حسنا اضعه ها هنا
قال يا ابت اني كسلان قال علي ذلك فانطلق يطلب له حجرا وجاءه جبريل
بالحجر الاسود من الهند وكان ابيض ياقوتة بيضاء مثل الثغامة وكان
آدم عليه السلام هبط به من الجنة فاسود من خطايا الناس فجاءه
اسمعيل بحجر فوجده عند الركن فقال يا ابت من جاءك بهذا قال جاء
به من هو انشط منك فبنيا وهما يدعوان الكلمات التي ابتلي ابراهيم
ربه فقالا ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وقال ابن ابي حاتم اخبرنا ابي
نا عمرو بن رافع نا عبد الوهاب بن معاوية عن عبد المؤمن بن خالد

عن علباء بن احمر ان ذا القرنين قدم مكة فوجد ابراهيم واسمعيل يبنيان
قواعد البيت من خمسة اجبل فقال ما لكما ولارضي فقالا نحن عبدان
مأموران امرنا ببناء هذه الكعبة قال فهاتا بالبينة على ما تدعيان فقامت
خمسة اكبش فقلن نحن نشهد ان ابراهيم واسمعيل عبدان مأموران
ببناء هذه الكعبة فقال قد رضيت وسلمت ثم مضى وذكر الازرقي في تاريخ
مكة ان ذا القرنين طاف مع ابراهيم البيت هذا قوله ريح خجوج اي شديدة
الهبوب وهو رفر استوا قوله فتطوت وفي رواية فتطوقت حراء بكسر
الحاء المهملة والمد هو جبل من جبال مكة معروف وثبير بفتح المثلثة وكسر
الموحدة جبل من جبال مكة ايضا ولبنان بضم اللام وسكون الموحدة
جبل بالشام من اعظم الجبال واصله ممتد من الحجاز الى الروم وجبل الطور
على مسيرة سبعة ايام من مصر وهو الجبل الذي كلم الله تعالى موسى
عليه السلام عليه وطور زيتا جبل بالقدس والجودي جبل مطل على جزيرة
ابن عمر على دجلة فوق الموصل وطور سينا اختلف فيه فقيل هو جبل
بقرب ايلة وقيل جبل بالشام وقدس بفتح القاف اثنان قدس الابيض
وقدس الاسود وهما جبلان عند ورقان وورقان على وزن قطران
جبل اسود بين العرج والرويثة على يمين المار من المدينة الى مكة
والعرج بفتح العين المهملة وسكون الراء وآخره جيم قرية جامعة من
اعمال الفرع على ايام من المدينة النبوية والرويثة بضم الراء وفتح الواو
وسكون المثناة التحتية وفتح المثلثة قرية جامعة بينها وبين المدينة
سبعة عشر فرسخا ورضوى من جبال تهامة بينه وبين المدينة سبع
مراحل وهو من الينبع على يوم **فائدة** لما فرغ ابراهيم عليه السلام من
بناء الكعبة جاءه جبريل فاراه المناسك كلها ثم قام ابراهيم على المقام
فقال يا ايها الناس اجيبوا ربكم فوقف ابراهيم واسمعيل تلك
المواقف وحج اسحق وسارة من بيت المقدس ثم رجع ابراهيم
الى الشام فمات بالشام وروى الفاكهي باسناد صحيح من طريق مجاهد

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام ابراهيم على الحجر فقال ايها الناس
كتب عليكم الحج فاسمع من في اصلاب الرجال وارحام النساء فاجابه من
آمن ممن كان سبق في علم الله ان يحج الى يوم القيمة لبيك اللهم لبيك
وذلك قوله تعالى واذن في الناس بالحج اى ناد فيهم بدعوة الحج والامر به
وروى انه صعد ابا قبيس فقال ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه
الله من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب
ممن سبق في علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
امره بذلك في حجة الوداع والله تعالى اعلم ومطابقة الحديث للترجمة
ظاهرة حدثنا عبد الله بن محمد البخاري المعروف بالمسندي قال حدثنا
عامر عبد الملك بن عمرو هو العقدي قال حدثنا ابراهيم بن نافع
المخزومي المكي عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي
الله عنه انه قال لما كان بين ابراهيم وبين اهله سارة لما ولدت
هاجر اسمعيل كان من جنس الخصومة التى هي معتادة بين
الضرائر وقد تقدم قصتها خرج باسمعيل وام اسمعيل ومعهم شنة فيها
ماء فجعلت ام اسمعيل تشرب من الشنة فيدر لبنها على صبيها حتى
قدم مكة فوضعها تحت دوحة ثم رجع ابراهيم الى اهله سارة فاتبعته
ام اسمعيل حتى لما بلغوا اى حين بلغوا كدا قدم الكلام فيه مع
الخلاف في ضبطه نادته من ورائه يا ابراهيم الى من تتركنا قال الى الله
قالت رضيت بالله قال فرجعت فجعلت تشرب من الشنة ويدر لبنها
على صبيها حتى لما فنى الماء قالت لو ذهبت فنظرت لعلي احس احدا
قال فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت هل تحس احدا فلم تحس
احدا فلما بلغت الوادي سعت واتت المروة ففعلت ذلك اشواطا
ثم قالت لو ذهبت فنظرت ما فعل تعني الصبي فذهبت فنظرت فاذا
هو على حاله كانه ينشغ للموت من النشغ بالنون والشين والغين
المعجمتين وهو الشهيق من الصدر حتى كاد يبلغ به الغشي اى

يعلو نفسه كانه شهيق من شدة ما يرد عليه فلم تقرها نفسها
72 من الاقرار في المكان ونفسها فاعله فقالت لو ذهبت فنظرت
لعلي احس احدا فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت فلم تحس
احدا حتى اتمت سبعا ثم قالت لو ذهبت فنظرت ما فعل فاذا
هي بصوت فقالت اغث ان كان عندك خير فاذا جبريل قال
فقال بعقبه هكذا وغمز عقبه على الارض اى اشار بعقبه وهذا
من المواضع التى استعمل قال في غير معناه المشهور فانبثق الماء
اى انخرق وانفجر ومادته موحدة وثاء مثلثة وقاف فدهشت
ام اسمعيل فجعلت تحفز بالزاء من الحفز ويروى تحفن بالمهملة
والفاء والنون اى تملأ الكفين قال فقال ابو القاسم صلى الله
عليه وسلم لو تركته كان الماء ظاهرا قال فجعلت تشرب من الماء ويدر
لبنها على صبيها قال فمر ناس من جرهم ببطن الوادي فاذا هم بطير
كانهم انكروا ذلك وقالوا ما يكون الطير الا على ماء فبعثوا رسولهم فنظر
فاذا هو بالماء فاتاهم فاخبرهم فاتوا اليها فقالوا يا ام اسمعيل اتأذنين
لنا ان نكون معك او نسكن معك فبلغ ابنها الفاء فيه فصيحة
اى فاذنت فكان كذا وكذا فبلغ ابنها فنكح فيهم ويروى منهم امرأة
قال ثم انه بدا لابراهيم فقال لاهله انى مطلع تركتي اى ما تركته عند
البيت قال فجاء فسلم فقال اين اسمعيل فقالت امرأته ذهب يصيد
قال قولي له اذا جاء غير عتبة بيتك ويروى عتبة بابك فلما جاء
اخبرته فقالت انت ذاك فاذهبي الى اهلك قال ثم انه بدا لابراهيم
فقال لاهله انى مطلع تركتي فجاء فقال اين اسمعيل فقالت امرأته
ذهب يصيد فقالت الا تنزل فتطعم وتشرب فقال وما طعامكم وما
شرابكم قالت طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال اللهم بارك لهم بالرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف اى هي بركة او بالعكس اى زمزم بركة او في طعام
مكة وشرابها بركة وسياق الكلام يدل عليه في طعامهم وشرابهم

قال فقال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم بركة بدعوة ابراهيم
قال ثم انه بدا لابراهيم فقال لاهله اني مطلع تركتي فجاء فوافق اسمعيل
من وراء زمزم يصلح نبلا له فقال يا اسمعيل ان ربك امرني ان ابني له
بيتا فقال اطع ربك قال انه قد امرني ان تعينني عليه قال اذن افعل
او كما قال قال فقاما فجعل ابراهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة ويقولان
ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم قال ارتفع البناء وضعف الشيخ
على نقل الحجارة ويروى عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل
يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل انك انت السميع العليم وهذا
طريق اخر لحديث ابن عباس رضي الله عنهما مع اختلاف في بعض
الالفاظ والزيادة والنقصان والله تعالى اعلم حدثنا موسى بن اسمعيل
قال حدثنا عبد الواحد هو ابن قال زياد حدثنا الاعمش سليمان بن مهران
قال حدثنا ابراهيم التيمي هو ابن يزيد عن ابيه يزيد بن شريك بن طارق
التيمي عداده في اهل الكوفة انه قال سمعت ابا ذر رضي الله عنه قال قلت
يا رسول الله اي مسجد وضع في الارض اول بضم اللام قال ابو البقاء
هي ضمة بناء لقطعه عن الاضافة مثل قبل وبعد والتقدير اول كل شيء
ويجوز الفتح منصرفا وغير منصرف والمعنى اي مسجد وضع للصلوة اولا
قال المسجد الحرام قلت ثم اي بالتنوين اي ثم اي مسجد بني بعد المسجد الحرام
قال المسجد الاقصى اي قال النبي صلى الله عليه وسلم بني بعده المسجد
الاقصى وقيل الاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام وقيل لانه لم
يكن وراءه موضع عبادة وقيل لبعده عن الاقذار والخبائث والمقدس
المطهر عن ذلك هذا الحديث يفسر المراد بقوله تعالى ان اول بيت وضع
للناس للذي ببكة ويدل على ان المراد بالبيت بيت العبادة لا مطلق
البيوت وقد ورد ذلك صريحا عن علي رضي الله عنه اخرجه اسحق بن
راهويه وابن ابي حاتم وغيرهما باسناد صحيح عنه قال كانت البيوت
قبله ولكنه كان اول وضع لعبادة الله قلت كم كان بينهما قال

اربعون سنة اي بينهما اربعون سنة قال ابن الجوزي فيه اشكال
لان ابراهيم عليه السلام بنى الكعبة وسليمان عليه السلام بنى بيت
المقدس وبينهما اكثر من الف سنة انتهى ومستنده في ان سليمان عليه
السلام هو الذي بنى المسجد الاقصى ما رواه النسائي من حديث عبد الله بن
عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعا باسناد صحيح ان سليمان بنى
بيت المقدس سأل الله تعالى خلالا ثلثة الحديث قال وجوابه انه ليس ابراهيم
عليه السلام اول من بنى الكعبة ولا سليمان عليه السلام اول من بنى بيت
المقدس فقد روي ان اول من بنى الكعبة آدم ثم انتشر ولده في الارض
فجائز ان يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس بعده باربعين عاما
ثم بنى ابراهيم الكعبة بنص القران وكذا قال القرطبي حيث قال ان الحديث
لا يدل على ان ابراهيم وسليمان عليهما السلام لما بنيا المسجدين ابتدأ
وضعهما بل ذلك تجديد لما كان اسسه غيرهما وقد مشى ابن حبان في
صحيحه على ظاهر هذا الحديث فقال في هذا الخبر رد على من زعم ان بين اسمعيل
وداود عليهما السلام الف سنة وتعقبه الحافظ الضياء بنحو مما اجاب به ابن
الجوزي والقرطبي وقال الخطابي يشبه ان يكون المسجد الاقصى اول ما وضع
بناؤه بعض اولياء الله تعالى قبل داود وسليمان عليهما السلام ثم بناه داود
وسليمان فزاد فيه ووسعاه فاضيف اليهما بناؤه قال وقد ينسب هذا
المسجد الى ايليا فيحتمل ان يكون هو بانيه او غيره ولست احقق لم اضيف اليه
هذا والاحتمال الاول اوجه وقد روي ان اول من اسس المسجد الاقصى يعقوب
عليه السلام لكن قوله فيحتمل ان يكون هو يعني ايليا بانيه فيه نظر لان اسم
البلد فاضيف اليه المسجد كما قيل مسجد المدينة ومسجد مكة وقال ابو عبيدة
في معجم البلدان ايليا مدينة بيت المقدس فيها ثلث لغات مد اخره وقصره
وحذف الياء الاولى قال الفرزدق لوى ابن ابي الرقراق عينيه بعدما دنا
من اعالي ايلياء وغورا ولو كان ما قاله الخطابي ثم ان ما ذكره ابن الجوزي
اوجه وقد وجد ما يشهد له فذكر ابن هشام في كتاب المنقول الا لكن ان

يقال انها سميت باسم بانيها كغيرها والله اعلم البتة ان ادم عليه السلام
لما بنى الكعبة امره الله بالمسير الى بيت المقدس وان يبنيه فبناه ونسك
فيه وقد تقدم ان ادم عليه السلام هو الذي بنى الكعبة وانه رفع في
الطوفان حتى بوّاه الله لابراهيم عليه السلام وروى ابن ابي حاتم من
طريق معمر عن قتادة قال وضع الله البيت مع ادم لما هبط ففقد اصوات
الملائكة وتسبيحهم فقال الله عز وجل له يا ادم اني قد اهبطت بيتا يطاف
به كما يطاف حول عرشي فانطلق اليه فخرج ادم الى مكة وكان هبط بالهند
فاتى البيت فطاف به هذا وذكر الثعلبي ان داود عليه السلام امر بني اسرائيل
ان يتخذوا مسجدا في صعيد بيت المقدس فاخذوا في بنائه لاحدى عشرة
سنة مضت من ملك داود عليه السلام وكان داود ينقل لهم الحجارة
على عاتقه فاوحى الله تعالى الى داود انك لست بانيه ولكن لك ابن املكه
بعدك اسمه سليمان فاقضي اتمامه على يده وروي عن كعب الاحبار ان
سليمان عليه السلام بنى بيت المقدس على اساس كان اسسه سام بن نوح
عليه السلام وذكر ابو بكر محمد بن احمد الواسطي في تاريخ بيت المقدس ان
سليمان عليه السلام اشترى ارضه بسبعة قناطير ذهبا ثم اينما ادركتك
الصلوة بعد بضم الدال اي بعد ادراك وقت الصلوة كذا قال العيني والظاهر
ان يقال بعد بمعنى فانه جعلت لك الارض طهورا ومسجدا فافهم فصله
الهاء فيه للسكت وفي رواية الكشميهني فصل بلا ها فان الفضل فيه اي فان
الفضل في فعل الصلوة اذا حضر وقتها وزاد من وجه اخر عن الاعمش ثم
اخره والارض لك مسجد اي للصلوة فيه وفي جامع سفيان بن عيينة عن
الاعمش فان الارض كلها مسجد اي صالحة للصلوة فيها ويخص من هذا العموم
ما ورد فيه النهي ومطابقة الحديث للترجمة في قوله المسجد الحرام فانه بناه
ابراهيم الخليل عليه السلام وقد اخرجه البخاري في باب قول الله تعالى ووهبنا
لداود سليمان ايضا واخرجه مسلم في الصلوة وكذا النسائي فيه وفي التفسير
وابن ماجة في الصلوة حدثنا عبد الله بن مسلمة القعنبي عن مالك الامام

عن عمرو بن ابي عمرو واسم ابي عمرو ميسرة مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب
القرشي المخزومي ابو عثمان المدني وقد مر في العلم عن انس بن مالك رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع له احد اي ظهر له جبل احد فقال
هذا جبل يحبنا اما حقيقة واما مجاز من باب الاضمار اي يحبنا اهله ونحبه
اللهم ان ابراهيم حرم مكة واني احرم ما بين لابتيها تثنية لابة بتخفيف الموحدة
وهي الحرة والحديث قد مضى في كتاب الجهاد وفي اخر حديث مطول في باب
من غزا بصبي للخدمة وقد تقدم الكلام فيه هناك ومطابقته للترجمة ظاهرة
ورواه اي روى المذكور الحديث عبد الله بن زيد الانصاري عن النبي
صلى الله عليه وسلم وقد اخرجه البخاري موصولا في كتاب البيوع في باب
بركة الصاع عن موسى بن وهيب عن عمرو بن يحيى عن عباد بن
تميم الانصاري عن عبد الله بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
حدثنا عبد الله بن يوسف التنيسي قال اخبرنا مالك الامام عن ابن شهاب
الزهري عن سالم بن عبد الله ان ابن ابي بكر هو عبد الله بن محمد بن
ابي بكر اخو القاسم قتل بالحرة اخبر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن
عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم الم تري خطاب لعائشة رضي الله عنها ان قومك حين
بنوا الكعبة ويروى لما بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد ابراهيم عليه
السلام فقلت يا رسول الله الا تردها على قواعد ابراهيم قال صلى الله
عليه وسلم لولا حدثان قومك بالكفر بكسر الحاء وسكون الدال المهملة اي
لولا قرب عهدهم بالكفر ثابت لرددت البيت على قواعد ابراهيم فجواب
لولا محذوف جوازا وخبر المبتدأ محذوف وجوبا فقال عبد الله بن عمر رضي
الله عنهما لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما ارى بضم الهمزة اي ما اظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك
استلام الركنين اللذين يليان الحجر بكسر الحاء الحطيم من جانب شمال الكعبة
الا ان البيت لم يتمم على قواعد ابراهيم عليه السلام والحديث قد مضى

في كتاب الحج في باب فضل مكة وبنيانها وقد سبق الكلام فيه هناك ومطابقته
للترجمة ظاهرة وقال اسمعيل هو ابن ابي اويس ابن اخت مالك الامام
عبد الله بن محمد بن ابي بكر اشار بهذا ان اسمعيل روى هذا الحديث وبين
ان ابن ابي بكر الذي فيه هو عبد الله بن محمد بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهم
واخرج البخاري حديث اسمعيل في التفسير حدثنا عبد الله بن يوسف قال
اخبرنا مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بفتح المهملة و
اسكان الزاي عن ابيه عن عمرو بن سليم بضم السين الزرقي بضم الزاي
وفتح الراء وبالقاف انه قال اخبرني بالافراد ابو حميد بضم الحاء عبد الرحمن
الساعدي انهم قالوا يا رسول الله وفي رواية ابي ذر رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قولوا اللهم صل على محمد معناه عظمه في الدنيا باعلاء ذكره واظهار دعوته
وابقاء شريعته وفي الاخرة بتشفيعه في امته وتضعيف اجره ومثوبته
وقيل لما امرنا الله بالصلوة عليه ولم نبلغ قدر الواجب من ذلك
احلنا على الله وقلنا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت
على ال ابراهيم هذا ليس من باب الحاق الناقص بالكامل بل من باب بيان
حال ما لا يعرف وقد عرف الصلوة على ابراهيم عليه السلام من قوله تعالى
رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد فان قيل السياق يقتضي
ان يقال على ابراهيم بدون لفظ الال اجيب بان لفظ الال مقحم او
ابراهيم داخل في الال عرفا او هو مراد بالطريق الاولى وقد روعي في ذلك
قوله تعالى اهل البيت وبارك على محمد اي اثبت له وادم ما اعطيته من
التشريف والكرامة وهو من برك البعير اذا اناخ في موضع ولزمه وتطلق
البركة ايضا على الزيادة والاصل الاول وازواجه وذريته كما باركت على ال
ابراهيم انك حميد فاعل ما تستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان و
مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وقد اخرجه البخاري في الدعوات ايضا
واخرجه مسلم في الصلوة وكذا ابو داود فيه والنسائي فيه وفي التفسير

ابن ماجة في الصلوة حدثنا قيس بن حفص هو ابو محمد الدارمي البصري
وموسى بن اسمعيل ابو سلمة البصري التبوذكي قالا حدثنا عبد الواحد
بن زياد قال حدثنا ابو فروة بفتح الفاء وسكون الراء مسلم بن سالم
الهمداني بسكون الميم وباهمال الدال وقال الغساني يروى عن احمد ان اسم
ابي فروة عروة لا مسلم قال حدثني عبد الله بن عيسى اي ابن عبد الرحمن
بن ابي ليلى انه سمع جده عبد الرحمن بن ابي ليلى بفتح اللامين واسم
ابي ليلى يسار قال لقيني كعب بن عجرة بضم العين المهملة وسكون الجيم
وبالراء البلوي حليف الانصار شهد بيعة الرضوان مات سنة اثنتين
وخمسين بالمدينة وله خمس وسبعون سنة فقال الا اهدي لك هدية
سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بلى فاهدها لي فقال سألنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله كيف الصلوة عليكم
اهل البيت منصوب على الاختصاص فان الله قد علمنا كيف نسلم يعني
في التشهد وهو قول المصلي السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال
ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على
ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة
وقد اورده البخاري في اواخر تفسير الاحزاب وفي الدعوات ايضا وقد وهم
المزي في الاطراف فعزا رواية كعب بن عجرة هذه الى الصلوة واغتر بذلك
ابن الملقن فانه لما وصل الى شرح هذا الحديث هنا احال شرحه على
الصلوة وقال قد تقدم في الصلوة وكانه تبع شيخه مغلطاي في ذلك
فانه كذلك صنع ولم يتقدم هذا الحديث عند البخاري في كتاب الصلوة
اصلا والله الهادي حدثنا عثمان بن ابي شيبة قال اخبرنا جرير بفتح الجيم وكسر
الراء هو ابن عبد الحميد عن منصور هو ابن المعتمر عن المنهال بكسر الميم و
سكون النون وباللام هو ابن عمرو الاسدي والاربعة كلهم كوفيون عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كان النبي صلى الله

عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين من التعويذ يقال عذت به اعوذ عوذا
وعياذا ومعاذا اي لجأت فالتعوذ والاستعاذة والتعويذ كلها بمعنى
واحد يعني كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين بقوله
اعوذ بكلمات الله الى اخره وقول ابن عباس رضي الله عنهما كان يدل على انه
صلى الله عليه وسلم كان يكثر التعويذ بقوله اعوذ بكلمات الله الى اخره ويقول
لهما ان اباكما كان يعوذ بها اسمعيل واسحق يريد بقوله اباكما ابراهيم عليه السلام
وسماه ابا لهما لكونه جدا اعلى لهما اعوذ بكلمات الله قيل المراد بكلمات الله
كلام الله على الاطلاق وقيل المراد بها المعوذتان وقيل اقضيته وقيل ما وعد
به كما قال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل وقال الهروي القران
التامة اي الكاملة وقيل النافعة وقيل الشافية وقيل المباركة وقيل القاضية
التي تمضي وتستمر ولا يردها شيء ولا يدخلها نقص ولا عيب قال ابن التين
تمامها فضلها وبركتها قال الخطابي كان احمد يستدل بهذا الحديث على ان كلام
الله غير مخلوق ويحتج بان النبي صلى الله عليه وسلم لا يستعيذ بمخلوق من
كل شيطان قال الداودي يدخل فيه شياطين الانس والجن وهامة بتشديد
الميم واحدة الهوام ذوات السموم وقيل ما له سم يقتل فاما ما لا يقتل سمه فيقال
له السوام وقيل المراد كل نسمة تهم بسوء وقال ابن فارس الهوام حيوان من
حشرات الارض الهروي الهوام الحيات وكل ذي سم يقتل وقد يقع الهامة على
ما يدب من الحيوان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لكعب بن عجرة ايؤذيك
هوام راسك والقمل سماها هوام لانها تهم في الراس وتدب ومن كل عين
لامة العين اللامة هي التي تصيب بسوء وقال الخطابي المراد به كل داء وافة
يلم بالانسان من جنون وخبل ونحوهما وقال ابو عبيد اصله من الممت الماما
وانما قال لامة لانه اراد انها ذات لمم وقال ابن الانباري يعني انها تاتي في
وقت بعد وقت ولم يقل ملمة بل قال لامة ليوافق لفظ هامة ويزاوجه ولكونه
اخف على اللسان ويجوز ان يكون على ظاهرها بمعنى جامعة للشر على معيون
من لمه اذا جمعه ومطابقته للترجمة في قوله ان اباكما فان المراد به ابراهيم عليه السلام

76

وقد اخرجه ابو داود في السنة والترمذي في الطب والنسائي في النعوت
وفي اليوم والليلة وابن ماجه في الطب باب قول الله عز وجل ونبئهم عن
ضيف ابرهيم ابراهيم اذ دخلوا عليه الاية اشار الى قصته من قصص
ابراهيم عليه السلام وهي دخول الملائكة الذين ارسلوا الى هلاك قوم لوط
عليه السلام حتى حصل له الوجل منهم والاية في سورة الحجر قال الله تعالى و
نبئهم اي ونبئ عبادي عطف على قوله نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم و
ان عذابي هو العذاب الاليم وتحقيق لهما بما يعتبرون به عن ضيف ابرهيم
اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما فسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا
منكم وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم
امتنعوا من الاكل كما روي ان الله تعالى ارسل لوطا الى قومه ينهاهم
عما يرتكبون من المعاصي والفواحش فلم ينتهوا بل ازدادوا وعتوا فسادا
وقالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فسأل لوط ربه
ان ينصره عليهم فاجاب الله دعوته وبعث اربعة من الملائكة جبرئيل
وميكائيل واسرافيل ودردائيل وقيل رفائيل لاهلاكهم وبشارة ابراهيم عليه
السلام بالولد فاقبلوا مشاة في صورة رجال مرد حسان حتى نزلوا على
ابراهيم عليه السلام وكان الضيف قد حبس عنه خمس عشرة ليلة حتى شق
ذلك عليه وكان لا ياكل الا مع الضيف مهما امكنه فلما راهم سر بهم لانه
راى ضيفا لم يضف مثلهم حسنا وجمالا فقال لا يخدم هؤلاء الا انا بنفسي
الا اهله فجاء بعجل حنيذ اي مشوي بالرضف اي الحجارة المحماة وقيل الذي
يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله سمين فقربه اليهم
فامسكوا ايديهم قال انا منكم وجلون وروى ابن ابي حاتم من طريق السدي
انه لما قرب اليهم العجل قالوا انا لا ناكل طعاما الا بثمن قال ابراهيم عليه
السلام ان له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على اوله وتحمدونه
على اخره قال فنظر جبرئيل الى ميكائيل فقال حق لهذا ان يتخذه ربه خليلا فلما
راى انهم لا ياكلون فزع منهم ومن طريق ابن ابي شداد ان جبرئيل عليه

السلام مسح بجناحه العجل فقام يدرج حتى لحق بامه والدار قالوا لا توجل
وفسره البخاري بقوله لا توجل لا تخف من وجل يوجل ويوجل فهو وجل اي
خائف فزع انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان
المبشر لا يخاف منه بغلام هو اسحق عليه السلام لقوله تعالى فبشرناها باسحق
عليهم اذ بلغ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من يولد له مع مس الكبر
او انكار لان يبشر به في هذه الحال وكذلك قوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة
تبشروني او فباي شي تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة
بغير شي وقد قيل انه كان في هذا الوقت ابن مائة وعشرين واهله سارة بنت
تسعين او تسع وتسعين قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة او باليقين
الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله وامره فلا تكن من القانطين
من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين
فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم عليه السلام
باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه
الا الضالون المخطئون طريق معرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال
علمه وقدرته كما قال تعالى لا ييأس من رحمة الله الا القوم الكافرون واذ
قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى الاية كذا وقع في رواية كريمة قوله ولكن
ليطمئن قلبي فقط وحكى الاسمعيلي انه وقع عنده باب قوله واذ قال ابراهيم
الى آخره وسقط كل ذلك في رواية النسفي وصار حديث ابي هريرة رضي الله
عنه تكملة الباب الذي قبله والاية في اواخر سورة البقرة قال الله تعالى
واذ قال ابراهيم يعني واذكر يا محمد حين قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى
ذكر المفسرون لسؤال ابراهيم عليه السلام اسبابا منها انه لما قال النمرود ربي
الذي يحيي ويميت احب ان يترقى من علم اليقين الى عين اليقين وان يرى
ذلك مشاهدة فقال رب ارني كيف تحيي الموتى لان الانسان يعلم الشي
ويتيقنه ولكن يحب ان يراه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت قال له ان
احياء الله برد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم

وانتقل الى تقرير آخر ثم سال ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل
مرة اخرى ومنها انه بشر بالخلة فسال ذلك ليتيقن بالاجابة صحة ما بشر به روي
ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه ومنها انه انما سال ليشاهد كيفية جمع
اجزاء الموتى بعد تفريقها واتصال الاعصاب والجلود بعد تمزيقها فاراد ان
يجمع بين علم اليقين وعين اليقين ومنها ما روي عن قتادة انه قال ذكر
لنا ان ابراهيم عليه السلام اتى على دابة توزعها الدواب والسباع فقال
رب ارني كيف تحيي الموتى ليشاهد ذلك لان النفوس البشرية متشوقة الى
المعاينة ويصدقه الحديث الصحيح ليس الخبر كالمعاينة ومنها ما قال ابن
دريد مر ابراهيم بحوت نصفه في البر ونصفه في البحر والذي في البحر تاكله
دواب البحر والذي في البر تاكله دواب البر فقال ابليس الخبيث يا ابراهيم
متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء فقال رب ارني كيف تحيي الموتى وقال
ابن الحصار في شرح العقيدة انما سال الله ان يحيي الموتى على يديه يدل
على ذلك قوله فصرهن اليك فاجابه على نحو ما سال وعلم ان احدا لا يتجرأ
على الله مثل ذلك فيجيبه بعين مطلوبه الا عن رضى واصطفاء بقوله اولم
اي انا اصطفيناك واتخذناك خليلا قال بلى وكيف يستعمل على وجهين ∴
احدهما ان يكون شرطا نحو كيف تصنع اصنع والاخر وهو الغالب ان يكون
استفهاما وهنا كذلك وقال ابن عطية السؤال بكيف انما هو عن حالة شي
موجود متقرر الوجود عند السائل فكيف هنا استفهام عن هيئة الاحياء
وهو متقرر قال اولم تؤمن يعني باحيائي الموتى وانما قال اولم تؤمن مع علمه
بانه اثبت الناس ايمانا ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة
للسامعين قال بلى اي بلى آمنت وبلى ايجاب لما بعد النفي ولكن ليطمئن قلبي
اي ليزيد سكونا وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال لان
تظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين وعن ابن عباس
والحسن واخرين ليطمئن قلبي للمشاهدة كان نفسه طالبة برؤية ذلك
فاذا راه اطمان وقد يعلم المرء الشي من جهة ثم يطلب ان يعلمه من غيرها

وقد قيل علمان خير من علم واحد وقيل المعنى ليطمئن قلبي بانك اذا سالتك
اجبتني قال فخذ اربعة من الطير روي عن ابن عباس رضي الله عنهما هي
الغرنوق والطاوس والديك والحمامة وعنه انه اخذ اوزا ورالا وهو
النعامة وديكا وطاوسا وقال مجاهد وعكرمة كانت حمامة وديكا وطاوسا
وغرابا وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الطيور كانت
طاوسا ونسرا وغرابا وحماما وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع
لخواص الحيوان من الحس والحركة ولان للطير ما لسائر الحيوانات وله
زيادة الطيران ولان الطير هوائي ومائي فكانت الاعجوبة في احيائه اكثر
ولهذا قال عيسى عليه السلام اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فاختار
الخفاش لاختصاصه باشياء ليست في غيره من الطيور كالحيض والحبل
والطيران في الظلمة وعدم الرؤية بالنهار وله اسنان وانما اخذ اربعة
لاجل الاستقصات الاربع التي بها قوام العالم وفي اختيار هذه الاربعة
ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتاتى باماتة حب الشهوات
والزخارف الذي هو صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك
وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الى
الهوى الموسوم بهما الحمام وقيل الحكمة في اختيار هذه الاربعة الاشارة
الى احوال الدنيا فالطاوس من الزينة والنسر من امتداد الامل والغراب
من الغربة والحمام من النياحة وقيل الحكمة فيه هي ان الطاوس خان
ادم عليه السلام في الجنة والبط خان يونس عليه السلام حين قطع
يقطينه والغراب خان نوحا عليه السلام حين ارسله ليكشف حال
الماء الذي عم الارض فاشتغل باكل الجيفة والديك خان الياس عليه
السلام فسلب ثوبه فلا جرم ان الله تعالى غير صوت الطاوس بدعاء
ادم عليه السلام وسلب السكون عن البط بدعاء يونس عليه السلام
وجعل رزق الغراب الجيفة بدعاء نوح عليه السلام والقى العداوة بين
الديكة بدعاء الياس عليه السلام والله اعلم بصحته ولما اخذ ابرهيم عليه

السلام هذه الطيور الاربعة قال الله تعالى له فصرهن اليك فاملهن
واضممهن اليك لتتاملها وتعرف شياتها وحلاها لئلا تلتبس عليك
بعد الاحياء ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا روي انه امر بان يذبحها
وينتف ريشها فيقطعها فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها
ويوزعها على الجبال فمعنى قوله تعالى ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا
ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة
وقيل سبعة ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله ياتينك سعيا
ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا ففعل ابرهيم عليه السلام ما امر به
فدعاهن فجعل ينظر الى الريش والدم الى الدم واللحم الى اللحم والاجزاء من
كل طير يتصل بعضها الى بعض حتى قام كل طير على حدته واتينه يمشين
سعيا ليكون ابلغ في الرؤية التي سالها قال ابن عباس رضي الله عنهما
وكان ابرهيم قد اخذ رؤسهن بيده وجعل كل طير يجي لياخذ راسه من
يد ابرهيم فاذا قدم ابرهيم غير راسه اباه واذا قدم راسه يركب
مع بقية جثته بحول الله تعالى وقوته ولهذا قال الله تعالى واعلم ان
الله عزيز لا يعجز عما يريده ولا يغلبه شي ولا يمتنع منه شي حكيم ذو حكمة
بالغة في كل ما يفعله ويذره قيل وفيه اشارة الى ان من اراد احياء
نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها
ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى
دعاهن بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابرهيم
عليه السلام ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى
اراه ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته
الله مائة عام حدثنا احمد بن صالح ابو جعفر المصري قال حدثنا ابن وهب
هو عبد الله بن وهب المصري قال اخبرني بالافراد يونس هو ابن يزيد
الايلي عن ابن شهاب الزهري عن ابي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن
المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال نحن احق بالشك من ابراهيم وسقط في بعض الروايات لفظ
بالشك واختلف السلف في المراد بالشك هنا فحمله الطبري على ظاهره
وجعل سببه حصول وسوسة من الشيطان لكنها لم تستقر ولا زلزلت
الايمان الثابت واستند في ذلك الى ما اخرجه هو وعبد بن حميد وابن
ابي حاتم والحاكم من طريق عبد العزيز الماجشون عن محمد بن المنكدر
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ارجى اية في القران هذه الاية
واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى الاية قال ابن عباس رضي
الله عنهما هذا لما يعرض في الصدر ويوسوس به الشيطان فرضي الله
من ابراهيم عليه السلام بان قال بلى ومن طريق معمر عن قتادة عن
ابن عباس رضي الله عنهما نحوه ومن طريق علي بن زيد عن سعيد
بن المسيب عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه ايضا وهذه طرق
يشد بعضها بعضا والى ذلك جنح عطا فروى ابن ابي حاتم من طريق
ابن جريج سالت عطا عن هذه الاية قال دخل قلب ابراهيم عليه السلام
ما يدخل قلوب الناس فقال ذلك وروى الطبري من طريق سعيد
عن قتادة ذكر لنا ان ابراهيم عليه السلام اتى على دابة توزعتها الدواب
والسباع ومن طريق حجاج عن ابن جريج قال بلغني ان ابراهيم
عليه السلام اتى على جيفة حمار عليه السباع والطير فعجب وقال رب لقد
علمت لتجمعنها ولكن رب ارني كيف تحيي الموتى وذهب اخرون الى
تاويل ذلك فروى الطبري وابن ابي حاتم من طريق السدي قال لما
اتخذ الله ابراهيم خليلا استاذنه ملك الموت ان يبشره فاذن له فذكر
قصته معه في كيفية قبض روح الكافر والمؤمن قال فقام ابراهيم
يدعو ربه رب ارني كيف تحيي الموتى حتى اعلم اني خليلك وروى ابن
ابي حاتم من طريق ابي العوام عن ابي سعيد قال ليطمئن قلبي بالخلة
ومن طريق قيس بن مسلم عن سعيد بن جبير قال ليطمئن قلبي اني
خليلك ومن طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما لاعلم

انك اجبت دعائي ومن طريق علي بن ابي طلحة عنه لاعلم انك تجيبني اذا دعوتك
والى هذا الاخير جنح القاضي ابو بكر الباقلاني وحكى ابن التين عن الداودي
الشارح انه قال طلب ابراهيم عليه السلام ذلك ليذهب شدة الخوف قال
ابن التين وليس ذلك بالبين واخرج ابن ابي حاتم من طريق الحكم بن ابان
عن عكرمة قال المراد ليطمئن قلبي انهم يعلمون انك تحيي الموتى وحكى ابن التين
عن بعض ما يحصل عنده انه اراد بقوله قلبي رجلا صالحا كان يصحبه سأله
عن ذلك وابعد منه ما حكاه القرطبي المفسر عن بعض الصوفية انه سأل
ربه ان يريه كيف يحيي القلوب واختلف في معنى قوله صلى الله عليه وسلم
نحن احق بالشك فقال بعضهم معناه نحن اشد اشتياقا الى رؤية ذلك
من ابراهيم عليه السلام وقيل معناه اذا لم نشك نحن فابراهيم اولى ان
لا يشك اي لو كان الشك متطرقا الى الانبياء لكنت احق به منهم وقد
علمتم اني لم اشك فاعلموا انه لم يشك وانما قال ذلك تواضعا منه او من
قبل ان يعلمه الله بانه افضل من ابراهيم وهو كقوله في حديث انس رضي
الله عنه عند مسلم ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا خير البرية قال ذاك
ابراهيم وقيل ان سبب هذا الحديث ان الاية لما نزلت قال بعض الناس
شك ابراهيم عليه السلام ولم يشك نبينا صلى الله عليه وسلم فبلغه ذلك
فقال نحن احق بالشك من ابراهيم عليه السلام واراد ما جرت العادة به
في المخاطبة لمن اراد ان يدفع عن اخر شيئا قال مهما اردت ان تقوله
لفلان فقله لي ومقصوده لا تقل ذلك وقيل اراد بقوله نحن امته الذين
يجوز عليهم الشك وقيل معناه هذا الذي ترون انه شك انا اولى به لانه
ليس بشك انما هو طلب لمزيد البيان وحكى بعض علماء العربية ان افعل
ربما جاءت لنفي المعنى عن الشيئين نحو قوله تعالى اهم خير ام قوم تبع اي
لا خير من فلان اي لا خير في الفريقين ونحو قول القائل الشيطان خير من
فلان اي لا خير فيهما فعلى هذا معنى قوله نحن احق بالشك من ابراهيم
لا شك عندنا جميعا وقال ابن عطية ترجم الطبري في تفسيره فقال وقال

آخرون شك ابراهيم في القدرة وذكر ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء قال
ابن عطية ومحمل قول ابن عباس رضي الله عنهما عندي انها ارجى آية لما فيها
من الادلال على الله تعالى وسؤال الاحياء في الدنيا او لان الايمان يكفي فيه
الاجمال ولا يحتاج الى التنقير والبحث قال ومحمل قول عطاء دخل قلب ابراهيم بعض
ما يدخل قلوب الناس اي من طلب معاينته قال واما الحديث فمبني على نفي الشك
والمراد بالشك فيه الخواطر التي لا تثبت واما الشك المصطلح وهو التردد بين
الامرين من مزية لاحدهما على الآخر فهو منفي عن الخليل عليه السلام قطعا
لانه يبعد وقوعه ممن رسخ الايمان في قلبه فكيف ممن بلغ رتبة النبوة
قال وايضا فان السؤال لما وقع بكيف دل على حال شيء موجود مقرر عند
السائل والمسؤول كما تقول كيف علم فلان فكيف في الآية سؤال عن هيئة
الاحياء لا عن نفس الاحياء فانه ثابت مقرر وقال ابن الجوزي انما صار
احق من ابراهيم لما عانى من تكذيب قومه وردهم عليه وتعجبهم من امر البعث
فقال انا احق ان اسأل ما سأل ابراهيم عليه السلام لعظم ما جرى لي مع قومي المنكرين
لاحياء الموتى ولمعرفتي بتفضيل الله لي ولكن لا اسأل ذلك والله تعالى اعلم اذ قال
رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قيل الاستفهام للتقرير ووجهه انه
طلب الكيفية وهو مشعر بالتصديق بالاحياء قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قد مر
تفسير معناه ويرحم الله لوطا هو ابن هاران بن آزر وهو ابن اخي ابراهيم
عليهما السلام وكان ممن آمن مع ابراهيم وهاجر معه الى مصر ثم عاد معه
الى الشام فنزل ابراهيم عليه السلام فلسطين ونزل لوط عليه السلام الاردن
ثم ارسله الله تعالى الى اهل سدوم وهي عدة قرى وقال مقاتل وبلادهم ما بين
الشام والحجاز بناحية زغر وكانت اثنتي عشرة قرية وتسمى المؤتفكات من الافك
وكانوا يعبدون الاوثان ويأتون الفواحش ويقعد بعضهم بعضا على الطريق
وغير ذلك من المفاسد وقد ذكر الله لوطا في القرآن في سبعة عشر موضعا وهو
اسم اعجمي ولكنه صرف لسكون وسطه وقيل اسم عربي من لاط اي لصق لان حبه
لاط بقلب ابراهيم عليه السلام اي تعلق ولصق ولقد كان يأوي الى ركن شديد

اشارة الى قوله تعالى قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او آوي الى
ركن شديد اي قوي اتمنع به عنكم وباقي الكلام فيه قد مر في ترجمة لوط عليه
السلام وقال الطيبي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لان كلامه يدل
على اقناط كلي ويأس شديد من ان يكون له ناصر ينصره وكانه صلى الله عليه
وسلم استغرب ذلك القول وعده نادرة منه اذ لا ركن اشد من الركن الذي
كان يأوي اليه وقال الزمخشري ومعناه الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم
شبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته وقال النووي يجوز
انه نسي الالتجاء الى الله في حمايته الاضياف اي انه التجأ الى الله فيما بينه وبين
الله واظهر للاضياف العذر وضيق الصدر ولو لبثت في السجن طول ما لبث
يوسف وقد لبث سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات
لاجبت الداعي اي لاسرعت الاجابة في الخروج من السجن ولما قدمت طلب
البراءة حيث قال لما جاءه الرسول ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي
قطعن ايديهن فوصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بشدة الصبر حيث
لم يبادر الى الخروج وانما قاله صلى الله عليه وسلم تواضعا والتواضع لا يحط
مرتبة الكبير بل يزيده رفعة وجلالا وهو من جنس قوله لا تفضلوني على يونس
وقيل انه كان قبل ان يعلم انه افضل من الجميع وسيأتي تكملة لهذا الحديث
في قصة يوسف عليه السلام ومطابقته للترجمة ظاهرة وقد اخرجه البخاري
في التفسير ايضا واخرجه مسلم في الايمان وفي الفضائل وابن ماجه في الفتن باب
قول الله عز وجل واذكر في الكتاب اسمعيل يعني اذكر يا محمد في القرآن اسمعيل
انه كان صادق الوعد ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف باشياء
في هذا الباب لم تعهد من غيره كما روي انه كان بينه وبين رجل ميعاد فاقام
ينتظره مدة واختلفوا في تلك المدة فقيل ثلاثة ايام وقيل حول حتى اتاه جبريل
عليه السلام واخبر ان الفاجر الذي وعده بالقعود هو ابليس عليه اللعنة
وناهيك انه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدني ان شاء الله صابرا وكان
رسولا الى جرهم نبيا من الانبياء عليهم السلام حدثنا قتيبة بن سعيد قال

اخبرنا حاتم بالحاء المهملة وكسر التاء ابن اسمعيل الكوفي وقد مر في الوضوء عن يزيد
من الزيادة بن ابي عبيد مولى سلمة بن الاكوع عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه
انه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفر من اسلم ينتضلون فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ارموا بني اسمعيل فان اباكم كان راميا وانا مع ابن
فلان وفي رواية الكشميهني وانا مع بني فلان وكذا هو في الفرع وقيل الصواب الاول
لقوله في حديث ابي هريرة رضي الله عنه وانا مع ابن الادرع وقد تقدم تسميته
ابن الادرع في الجهاد قال فامسك احد الفريقين بايديهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما لكم لا ترمون فقالوا يا رسول الله كيف نرمي وانت
معهم فقال ارموا وانا معكم كلكم والمراد بالمعية معية القصد الى الخير و
اصلاح النية والتدرب فيه للقتال فلا يرد انه كيف كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مع الفريقين واحدهما غالب والاخر مغلوب وفي الحديث
ان السلطان يامر رجاله بتعلم الفروسية لا سيما الرمي بالسهام وقد روى
الترمذي عن ابي نجيح يرفعه من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عدل محرر
وروى ايضا النسائي عن كعب بن مرة من رمى بسهم في سبيل الله فبلغ
العدو او لم يبلغ كان له كعتق رقبة وروى ايضا ابن حبان عن كعب بن مرة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من بلغ العدو بسهم رفع الله له درجة فقال
عبد الرحمن بن النحام وما الدرجة يا رسول الله قال اما انها ليست بعتبة امك
ما بين الدرجتين مائة عام وروى الربيع بن صبيح عن الحسن عن انس رضي الله
عنه يدخل الجنة بالسهم ثلثة الرامي به وصانعه والمحتسب وفي لفظ من اتخذ قوس
عربية وجفيرها يعني كنانة نفى الله عنه الفقر وفي لفظ اربعين سنة وقد مر
الحديث في كتاب الجهاد في باب التحريض على الرمي ومر الكلام فيه هناك باب
قصة اسحق بن ابراهيم عليهما السلام وسقط في بعض النسخ لفظ باب وعن
ابن اسحق بشر الله ابراهيم باسحق من سارة فحملت وكانت بنت تسعين
او تسع وتسعين سنة وابراهيم عليه السلام ابن مائة وعشرين سنة وقد كانت
هاجر حملت باسمعيل عليه السلام فوضعت معا وشب الغلامان ونقل ابن كثير عن

اهل الكتاب ان هاجر ولدت اسمعيل لابراهيم عليهما السلام ولابراهيم عليه السلام
من العمر ست وثمانون سنة قبل مولد اسحق بثلاث عشرة سنة وقال ابن الجوزي
في كتاب الاعمار ان اسحق عليه السلام عاش مائة وثمانين سنة وفي قول وهب
بن منبه عاش مائة وخمسة وثمانين سنة ودفن عند قبر ابيه في مزرعة حبرون
والله تعالى اعلم فيه اي في الباب ابن عمر وابو هريرة رضي الله عنهما اي حدثهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال الكرماني يعني روى ابن عمر وابو هريرة رضي الله عنهم
حديثا في قصة اسحق عليه السلام فاشار اليه اجمالا ولم يذكره بعينه لانه لم يكن
على شرطه وقال ابن التين لم يقف البخاري على سنده فلم يذكره وقال الحافظ
العسقلاني كانه يشير بحديث ابن عمر رضي الله عنهما الى ما سيأتي في قصة يوسف
عليه السلام وبحديث ابي هريرة رضي الله عنه الى الحديث المذكور في الباب الذي يليه
في باب ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه الاية وفي نسخة ام كنتم
شهداء اذ حضر يعقوب الموت الى قوله ونحن له مسلمون والاية في سورة البقرة
قال الله تعالى ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب اذ
حضره الموت اي حين احتضر وقال لبنيه ما قال والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم
ذلك وانما علمتم ذلك من الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات
نبي الا على اليهودية اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال
فلم تدعون اليهودية عليه ويجوز ان يكون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف
كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة
الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء اذ قال لبنيه بدل
من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على
التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شيء ما لم
يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وعن سئل عن وصفه
قيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك واله اباءك ابراهيم واسمعيل

واسحق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من اباته
تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه
كما قال في العباس رضي الله عنه هذا بقية اباي ونقل القرطبي ان العرب تسمي العم ابا
وقد استدل بهذه الاية من جعل الجد ابا وحجب به الاخوة وهو قول الصديق رضي
الله عنه واليه ذهب عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها وبه يقول الحسن البصري
وطاوس وعطاء ومذهب ابي حنيفة وغير واحد من العلماء السلف والخلف وقال
مالك والشافعي واحمد في المشهور عنه انه يقاسم الاخوة وحكي ذلك مالك عن عمر و
عثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنهم وبه قال ابو يوسف ومحمد
بن الحسن الها واحدا بدل من اله اباءك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدة
التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف على
المجرور والتاكيد او النصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد
او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا وحاصل ان الله تعالى ذكر
وصية ابراهيم عليه السلام لبنيه بقوله ووصى بها ابراهيم اي بهذه الكلمة وهي
الاسلام ووصية يعقوب بها ثم قال محتجا على المشركين من العرب ابناء اسمعيل
وعلى الكفار من بني اسرائيل ان يعقوب عليه السلام لما حضرته الوفاة وصى بنيه
بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له فقال لهم ما تعبدون من بعدي فاخبر الله
تعالى عنهم انهم قالوا نعبد الهك الى اخره حدثنا اسحق بن ابراهيم هو ابن
راهويه انه سمع معتمر هو ابن سليمان بن طرخان عن عبيد الله هو العمري
عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قيل للنبي صلى الله
عليه وسلم من اكرم الناس قال اكرمهم اتقاهم هو موافق لقوله تعالى ان اكرمكم
عند الله اتقاكم قالوا يا نبي الله ليس عن هذا نسألك قال فاكرم الناس يوسف
نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله الجواب الاول من جهة الشرف
للاعمال الصالحة والثاني من جهة الشرف بالنسب الصالح العالي قالوا ليس عن
هذا نسألك قال افعن معادن العرب اي اصولهم التي ينتسبون اليها ويتفاخرون
بها وانما جعلت معادن لما فيها من الاستعدادات المتفاوتة او شبههم بالمعادن لكونهم

اوعية للشرف كما ان المعدن اوعية للجواهر تسألوني قالوا نعم قال فخياركم في
الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا يحتمل ان يراد بقوله خياركم جمع خير
ويحتمل ان يراد افعل التفضيل تقول في الواحد خير واخير ثم القسمة رباعية فان
الافضل من جمع بين الشرف في الجاهلية والشرف في الاسلام وكان شرفهم
في الجاهلية بالخصال المحمودة من جهة ملائمة الطبع ومنافرته خصوصا بالانتساب
الى الاباء المتصفين بذلك ثم الشرف بالخصال المحمودة شرعا ارفعهم مرتبة
من اضاف الى ذلك التفقه في الدين ومقابل ذلك من كان مشروفا في الجاهلية
واستمر مشروفا في الاسلام فهذا ادنى المراتب والقسم الثالث من شرف في الاسلام
وفقه وان لم يكن شريفا في الجاهلية ودونه من كان كذلك لكن لم يتفقه
والقسم الرابع من كان شريفا في الجاهلية ثم صار مشروفا في الاسلام فهذا دون
الذي قبله فان تفقه فهو اعلى مرتبة من الشريف الجاهل وقد مر الحديث في
اوائل باب قول الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومطابقته للترجمة من
حيث انه موافق للاية من جهة ان يوسف عليه السلام من اولاد يعقوب عليه
السلام باب ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة الى قوله فساء مطر المنذرين
والاية في سورة النمل قال الله تعالى ولوطا هو منصوب بتقدير ارسلنا
لوطا لدلالة قوله فيما قبله ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا او بتقدير
واذكر لوطا اذ قال لقومه بدل على الثاني وظرف على الاول اتاتون الفاحشة
اي الفعلة القبيحة وهي اللواطة وانتم تبصرون والحال انكم تعلمون انها فاحشة لم
تسبقوا اليها من بصر القلب والله تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر
للذكر ولا الانثى للانثى واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح وقيل يبصر
بعضكم بعضا لانهم كانوا يعلنون بها ويرتكبونها في ناديهم مجاهرين بها
لا يستترون عتوا منهم وتمردا وخلاعة ومجانة فيكون افحش ائنكم لتاتون
الرجال الهمزة فيه للاستفهام على سبيل الانكار شهوة اي لاجل الشهوة وهذا بيان
لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة
في مواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر من دون النساء الا انه خلقهن لذلك

بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز الحسن
من القبيح او تجهلون فيل عاقبة العصيان او يوم الجزاء وقيل تجهلون موضع
قضاء الشهوة واجتمعت الغيبة مع المخاطبة في قوله بل انتم قوم تجهلون فغلبت
المخاطبة فقيل تجهلون لان المخاطبة اقوى وارسخ اصلا من الغيبة فما كان
جواب قومه اى قوم لوط الا ان قالوا اى الا قولهم اخرجوا آل لوط من قريتكم
انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا
قذرا يقولونه استهزاء بهم وتهكما فانجيناه اى لوطا من العذاب واهله اى
وانجينا اهله الا امرأته قدرناها اى جعلناها بتقديرنا وقضائنا عليها من
الغابرين اى الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا اى الحجارة فساء
مطر المنذرين اى الذين انذروا بالعذاب وقال الداودي انما كان امطر في
كتاب الله فهو العقاب ومن المذكور في التفسير انه يقال امطر في العذاب ومطر في
الرحمة واهل اللغة يقولون مطرت السماء وامطرت وحاصل قصة قوم لوط
عليه السلام انهم ابتدعوا وطئ الذكور فدعاهم لوط الى التوحيد والى الاقلاع
عن الفاحشة فاصروا على الامتناع ولم يتفق ان يساعده منهم احد وكانت
مدائنهم تسمى سدوم التي تقاضيها يمثل في الجور ويقال اجور من قاضي سدوم
وهي بغور زغر من البلاد الشامية فلما اراد الله تعالى اهلاكهم بعث جبرئيل وميكائيل
واسرافيل فوردوا على ابراهيم عليه السلام فاستضافوه فكان ما قص الله به في
القرآن ثم توجهوا الى لوط عليه السلام فاستضافوه فخاف عليهم من قومه واراد
ان يخفي عليهم خبرهم فنمت عليه امرأته فجاؤا اليه وعاتبوه على كتمانه امرهم وظنوا
انهم ظفروا بهم فاهلكهم الله على يد جبرئيل عليه السلام فقلبها بعد ان خرج عنهم
لوط باهل بيته الا امرأته فانها تخلفت مع قومها او خرجت مع لوط فادركها العذاب
فقلب جبرئيل المدائن بطرف جناحه فصار عاليها سافلها وصار مكانها
بحيرة منتنة لا ينتفع بمائها ولا بشيء مما حولها حدثنا ابو اليمان الحكم بن نافع
قال اخبرنا شعيب هو ابن ابي حمزة قال اخبرنا ابو الزناد بالزاي والنون عبد الله
بن ذكوان عن الاعرج عبد الرحمن بن هرمز عن ابي هريرة رضي الله عنه ان

النبي صلى الله عليه وسلم قال يغفر الله للوط ان كان كلمة ان هذه مخففة
من المثقلة اى انه كان ليأوي الى ركن شديد اى الله سبحانه وتعالى ويشير
بذلك الى قوله تعالى لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد ويقال ان
قوم لوط لم يكن فيهم احد يجتمع معه في نسبه لانهم من سدوم وهي من الشام
وكان اصل ابراهيم ولوط من العراق فلما هاجر ابراهيم الى الشام هاجر معه
لوط فبعث الله لوطا الى اهل سدوم فقال لو ان لي منعة واقارب وعشيرة
لكنت استنصر بهم عليكم ليدفعوا عن ضيفاني ولهذا جاء في بعض طرق هذا
الحديث كما اخرجه احمد من طريق محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال لوط لو ان لي بكم قوة
او آوي الى ركن شديد قال فانه كان يأوي الى ركن شديد ولكنه عنى
عشيرته فما بعث الله نبيا الا في ذروة من قومه زاد ابن مردويه من هذا
الوجه الم تر الى قول شعيب ولولا رهطك لرجمناك وقيل معنى قوله لقد كان
يأوي الى ركن شديد اى الى عشيرته لكنه لم يأو اليهم وأوى الى الله انتهى
والاول اظهر وقال النووي يجوز انه لما اندهش بحال الاضياف قال ذلك
او انه التجأ الى الله في باطنه واظهر هذا القول للاضياف اعتذارا وسمى العشيرة
ركنا لان الركن يستند اليه ويمتنع به فشبههم بالركن من الجبل لشدتهم
ومنعتهم وقد مضى الحديث عن قريب ومطابقته للترجمة ظاهرة باب
فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون انكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة
ان تطرقوني بشر وتمام الآيات قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اى ما
جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفيك من عدوك
وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه واتيناك بالحق باليقين
من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك فاسر باهلك فاذهب بهم
في الليل بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره واتبع ادبارهم
وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد
لينظر ما وراءه من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او لا ينصرف احد منكم

ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا انفسهم
على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام
او مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا
اليه اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم تفسيره ان دابر
هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم له ومعنى
انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح
وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر
هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف
لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء
الى ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا الله في ركوب الفواحش ولا تخزون ولا تذلون
بسببهم من الخزي وهو الهوان او لا تخجلون فيهم من الخزاية وهو الحياء قالوا اولم
ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم
كانوا يتعرضون لكل احد وكان يمنعهم لوط عنهم بقدر وسعه او عن ضيافة
الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم
من حيث الشفقة والتربية او اراد بهن بناته الصلبية فدى بهن اضيافه
كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي تزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم
لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة
في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهار الشدة امتعاضه
من ذلك كي يرقوا له ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم وقالوا له لقد
علمت ما لنا في بناتك من حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران وقال
لو ان لي بكم قوة اي لو قويت بنفسي على دفعكم او آوي الى ركن شديد الى
القوي اتمنع به عنكم روي انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من
وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط
انا رسل ربك لن يصلوا اليك اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم
فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا

يقولون لي النبي قال في بنت لوط بناتي لعمرك قسم بحياة المخاطب
وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير
لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير
الدور على ألسنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت
عقولهم وتمييزهم بين خطئهم والصواب الذي يشار به اليهم يعمهون
يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض
فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبرئيل مشرقين
داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها سافلها اي عالي
المدينة او قراها سافلها وصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة
من سجيل من طين متحجر واصله سنك كل فعرب او طين عليه كتاب من
سجيل وقيل انه من اسجله اذا ارسله وادر عطيته والمعنى من مثل الشيء
المرسل او من مثل العطية في الادرار وقيل اصله من سجين اي من
جهنم فابدلت لامه نونا وفي سورة هود منضود اي نضد معد لعذابهم
او نضد في الارسال يتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه
على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة
او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به عند ربك في
خزائنه روي ان جبرئيل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها
الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها
عليهم وكان حق الكلام فجعلوا عاليها سافلها فاسند الى نفسه من
حيث انه المسبب تعظيما للامر ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفكرين
المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته
وانها اي وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس و
يرون آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسوله **بركنه بمن معه**
لانهم قوته اشارة الى ما في قوله تعالى فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون
والآية في سورة الذاريات وقبله وفي موسى عطف على قوله وفي الارض

آيات للموقنين او تركنا فيها على معنى وجعلنا فيها كقوله علفتها تبنا و
ماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين هو معجزات كاليد
والعصا فتولى بركنه فسره البخاري بقوله ومن معه لانهم قوته وهو تفسير
الفراء اي فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وعشيرته ومنعته والركن
ما ركن اليه الانسان من مال وجند وقوة وقال ابو عبيدة فتولى بركنه
وبجانبه سواء وهو كناية عن المبالغة في الاعراض والانكار اي فاعرض
عن الايمان به بالكلية وقال اي فرعون ساحر اي موسى ساحر او مجنون
كانه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد في انه حصل ذلك
باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم اي فاغرقناهم
في البحر وهو مليم ات بما يلام عليه من الكفر والعناد قال الحافظ العسقلاني
كذا اورد المصنف هذه الجملة في قصة لوط عليه السلام وهو وهم فانها من
قصة موسى عليه السلام كما عرفت والضمير لفرعون والسبب في ذلك ان
ذلك وقع بعد قصة قوم لوط حيث قال تعالى في اخر قصة لوط وتركنا
فيها اية للذين يخافون العذاب الاليم ثم قال عقب ذلك وفي موسى
اذ ارسلناه او ذكره استطرادا لقوله في قصة لوط او اوي الى ركن شديد
وقد فسره ابو عبيدة بعشيرة عزيزة منيعة ومع ذلك لم توجد هذه اللفظة
التي ذكرها الا في رواية المستملي وحده تركنوا تميلوا اشار به الى ما في قوله
تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا وفسره بقوله تميلوا اي لا تميلوا اليهم
وهو تفسير ابي عبيدة قال في قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا لا تعدلوا
اليهم ولا تميلوا تقول ركنت الى قولك اي احببته وقبلته وهذه الاية
ايضا لا تعلق لها بقصة قوم لوط وكانه ذكرها لوجود مادة ركن و
هذا من عادة البخاري كما عرفت غير مرة يذكر تفسير بعض الفاظ القران
بادنى مناسبة وقال القاضي اي فلا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون
هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم اليهم
واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون

الى الظالمين الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه و
الانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد
عليه انكرهم ونكرهم واستنكرهم واحد اشار به الى ما في قوله تعالى فلما
راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم قال ابو عبيدة نكرهم وانكرهم واحد و
كذلك استنكرهم وانكار ابرهيم عليه السلام غير انكار لوط عليه السلام
لان ابرهيم عليه السلام انكرهم لما لم ياكلوا من طعامه حين قربه اليهم
واما لوط عليه السلام فانكرهم لمجيء قومه اليهم كذا قال الحافظ العسقلاني
والعيني وفيه انه يحتمل ان يكون انكار لوط عليه السلام مخافة ان يبطشوا
بشر كما مر يهرعون يسرعون اشار به الى ما في قوله تعالى وجاءه قومه يهرعون
اليه اي جاء قوم لوط يسرعون ويهرولون اليه كانهم يدفعون دفعا
لطلب الفاحشة من اضيافه وذلك ان امرأة لوط اخبرتهم بمجيء
هؤلاء الملائكة في صورة الرجال المردان ومن قبل كانوا يعملون
السيئات اي ومن قبل هذا الوقت كانوا يعملون الفواحش فتمر
نوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين دابر اخر اشار
الى ما في قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع وفسره
باخر اي اخرهم مستاصل صيحة هلكة اشار به الى ما في قوله تعالى ان كانت
الا صيحة واحدة وفسره بالهلكة اي ما كانت الاخذة او العقوبة الا هلكة
واحدة اي دفعة واحدة قال الحافظ العسقلاني ولم اعرف وجه دخوله
هنا انتهى ويمكن ان يكون ذكره هنا بمناسبة الصيحة المذكورة في قصة
قوم لوط للمتوسمين للناظرين اشار به الى ما في قوله تعالى ان في
ذلك لايات للمتوسمين وفسره بقوله للناظرين وهكذا فسره الضحاك
وقال مجاهد معناه للمتفرسين وقال الفراء للمتفكرين وقال ابو عبيدة
للمتبصرين المتثبتين وهو من توسمت الشيء نظرت اليه نظر تثبت حتى
يعرف سمته لبسبيل لبطريق اشار به الى ما في قوله تعالى وانها لبسبيل
مقيم وفسره بالطريق وكذا فسره ابو عبيدة والضمير في قوله وانها يرجع

الى مدائن قوم لوط وقيل الى الآبات حدثنا محمود هو ابن غيلان
قال اخبرنا ابو احمد هو محمد بن عبد الله الزبيري قال اخبرنا سفيان
هو الثوري عن ابي اسحق عمرو السبيعي عن الاسود اي ابن يزيد
عن عبد الله اي ابن مسعود رضي الله عنه انه قال قرا النبي صلى الله
عليه وسلم فهل من مدكر وقد مر هذا في باب قول الله عز وجل واما عاد
فاهلكوا بريح صرصر ووجه مناسبته ذكره هنا هو انه ذكر في قصة قوم لوط
ايضا في سورة القمر وقوله فهل من مدكر بالدال المهملة المشددة قال تعالى
ولقد يسرنا القرآن سهلناه او هياناه من يسرنا ناقته للسفر اذا رحلها
للذكر للاذكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر وللحفظ
بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر اي متعظ وفي بعض النسخ
وقعت قصة صالح هنا وقد تقدمت في بعضها وذكرت عقب قصة
عاد وكان السبب في ايرادها هنا انه لما اورد التفاسير من سورة
الحجر وكان آخرها قوله وانها لبسبيل مقيم الى قوله ولقد كذب اصحاب الحجر
المرسلين فجاءت قصة ثمود وهم اصحاب الحجر في هذه السورة تالية
لقصة قوم لوط وتخلل بينهما قصة اصحاب الايكة مختصرة فاوردها هنا
على ذلك وقد تقدم الاعتذار عن ذلك فيما مضى والله تعالى اعلم
باب ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ثبتت هذه الترجمة ها
وهي مكررة ذكرت ثلاثة ابواب فلذلك لم توجد في كثير من النسخ حدثنا
اسحق بن منصور اي ابن بهرام الكوسج المروزي الحافظ ابو يعقوب
سكن نيسابور مات سنة احدى وخمسين ومائتين روى له
الجماعة الا ابا داود ولهم اسحق بن منصور السلولي الكوفي روى
له الجماعة ولهم ثالث اسحق بن منصور بن حيان الاسدي الكوفي
روى له الجماعة اخبرنا عبد الصمد هو ابن عبد الوارث ابو سهل التنوري
الحافظ الحجة روى له الجماعة ولهم عبد الصمد بن حبيب روى له ابو
داود وقال البخاري لين وعبد الصمد بن سليمان البلخي الحافظ روى

86

عنه الترمذي وابن خزيمة مات سنة ست واربعين ومائتين اخبرنا
عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن ابيه عن ابن عمر رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الكريم ضد اللئيم وهو يتناول
للصالح الجيد دينا ودنيا وقال النووي واصل الكريم كثرة الخير وقد جمع يوسف
عليه السلام مكارم الاخلاق مع شرف النبوة وكونه ابنا لثلاثة انبياء
متناسلين ومع شرف رياسة الدنيا بالعدل والاحسان وفي رواية
الطبراني من طريق ابي عبيدة بن عبد الله بن مسعود يوسف بن يعقوب
بن اسحق ذبيح الله وله من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قيل
يا رسول الله من السيد قال يوسف بن يعقوب قالوا فما في امتك سيد
قال رجل اعطي مالا حلالا ورزق سماحة واسناده ضعيف ومطابقة
الحديث للترجمة من حيث ان يوسف داخل في وصية يعقوب عليه
السلام حين حضره الموت باب قول الله تعالى لقد كان في يوسف واخوته
آيات للسائلين اي في خبرهم وقصتهم عبر وعلامات ودلائل على قدرة
الله تعالى وحكمته في كل شيء للسائلين اي لمن سال عن قصتهم وقيل
آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه عنها من اليهود
فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وقرا ابن كثير آية
بالتوحيد وفي بعض المصاحف عبرة ويوسف فيه ستة اوجه ضم السين و
كسرها وفتحها مع الهمزة وتركها واختلفوا فيه هل هو اعجمي او عربي فالاكثرون
على انه اعجمي ولهذا لم ينصرف وقيل عربي ماخوذ من الاسف وهو الحزن او
الاسيف وهو العبد وقد اجتمعا في يوسف عليه السلام فسمي به وقال
مقاتل ذكر الله تعالى يوسف في القرآن في سبعة وعشرين موضعا والمراد
باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل بضم الراء وسكون الواو و
كسر الموحدة وسكون الياء وآخره لام وشمعون ولاوي وربالون
ويشجر ودينة من بنت خالة يعقوب ليا تزوجها يعقوب اولا فلما

توفيت تزوج اختها راحيل فولدت وبنيامين وليوسف وقيل جمع بينهما
ولم يكن يحرم الجمع حينئذ واربعة اخرون دان ونفتالي وجاد واشر من
سريتين زلفة وبلهة وهم الاسباط وقد اختلف فيهم فقيل كانوا انبياء
ويقال لم يكن فيهم نبي غير يوسف وانما المراد بالاسباط قبائل اسرائيل
فقد كان فيهم من الانبياء عدد كثير حدثنا عبيد بضم العين بن اسمعيل واسمه
في الاصل عبد الله هو ابو محمد الهباري الكوفي وهو من افراده عن ابي اسامة
حماد بن ابي اسامة عن عبيد الله اي ابن عمر العمري انه قال اخبرني بالافراد
سعيد بن ابي سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال سئل النبي
صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس قال اتقاهم لله قال العلماء لما سألوا
عن اكرم الناس اخبر باكمل الكرم فقال اتقاهم لان التقي كثير الخير في الاخرة
فقالوا ليس عن هذا نسألك قال فاكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله
ابن نبي الله ابن خليل الله فلما قالوا ذلك اجاب بانه يوسف عليه السلام
فانه الذي جمع بين خيري الدنيا والاخرة قالوا ليس هذا عن نسألك
قال فعن معادن العرب تسألوني الناس معادن خيارهم في الجاهلية
خيارهم في الاسلام اذا فقهوا بضم القاف وحكي كسرها فلما قالوا ذلك فهم
ان المراد بهم قبائل العرب واصولهم واجاب بما اجاب والحديث قد مضى
عن قريب ومطابقته للترجمة ظاهرة حدثنا محمد هو ابن سلام ويروى حدثني
ويروى اخبرنا قال محمد اخبرنا ويروى حدثني ويروى اخبرنا عن عبيد الله عن
سعيد هو المقبري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
بهذا اي بهذا الحديث المذكور سابقا حدثنا بدل بفتح الموحدة والدال المهملة
وباللام بن المحبر بضم الميم وفتح الحاء المهملة وبالباء الموحدة المشددة المفتوحة وبالراء
اليربوعي البصري ويقال الواسطي وهو من افراده قال اخبرنا شعبة اي ابن
الحجاج عن سعد بن ابراهيم انه قال سمعت عروة بن الزبير عن عائشة رضي
الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها في مرضه مري ابا بكر يصلي
بالناس قالت انه رجل اسيف من الاسف وهو الحزن وزيد في رواية زائدة

87

رقيق اي رقيق القلب سريع البكاء والحزن متى يقم ويروى يقوم مقامك
رق اي حصل له الرقة فعاد اي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كلامه بان
قال مري فعادت اي عائشة رضي الله عنها الى كلامها الاول بان قالت انه
رجل اسيف قال شعبة فقال في الثالثة او الرابعة انكن صواحب يوسف
مروا ابا بكر وهذا الخطاب وان كان بلفظ الجمع فالمراد به واحد وهي عائشة
رضي الله عنها فقط كما ان صواحب يوسف جمع صاحبة والمراد زليخا فقط
ووجه المشابهة بينهما ان زليخا استدعت النسوة واظهرت لهن الاكرام
بالضيافة ومرادها زيادة على ذلك وهي ان ينظرن الى حسن يوسف ويعذرنها
في محبته وان عائشة رضي الله عنها اظهرت ان سبب ارادتها صرف الامامة
عن ابيها كونه لا يسمع المأمومين القراءة لبكائه ومرادها زيادة على ذلك
وهي ان لا يتشاءم الناس به وقد صرحت هي فيما بعد ذلك فقالت لقد
راجعته وما حملني على كثرة مراجعته الا انه لم يقع في قلبي ان يحب الناس
بعده رجلا قام مقامه ابدا وقد مر الحديث في كتاب الصلوة في باب من
اسمع الناس تكبير الامام وفي الباب الذي يليه وفي باب اذا بكى الامام في
الصلوة ومر الكلام فيه هناك ومطابقته للترجمة ظاهرة حدثنا الربيع
ويروى ربيع بدون اللام بن يحيى البصري قال اخبرنا زائدة اي ابن قدامة
عن عبد الملك بن عمير عن ابي بردة بضم الموحدة اسمه عامر بن ابي موسى
عن ابيه ابي موسى عبد الله بن قيس الاشعري انه قال مرض النبي صلى الله
عليه وسلم فقال مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة ان ابا بكر رجل فقال
مثله اي فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما قال في الحديث السابق وكذا
الكلام في قوله فقالت مثله فقال مروا ابا بكر فانكن صواحب يوسف فام ابو
بكر في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسين هو ابن علي الجعفي
عن زائدة رجل رقيق والحديث قد مر في كتاب الصلوة في باب اهل العلم و
الفضل احق بالامامة ومطابقته للترجمة كالسابق حدثنا ابو اليمان الحكم
بن نافع قال اخبرنا شعيب قال اخبرنا ابو الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة

رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعاء عند الرفع من
الركوع اللهم انج امر من الانجاء عياش بفتح المهملة وتشديد التحتانية و
بالمعجمة بن ابي ربيعة بفتح الراء اللهم انج سلمة بفتح المهملة واللام ابن هشام
اللهم انج الوليد بن الوليد بفتح الواو فيهما اللهم انج المستضعفين من
المؤمنين اللهم اشدد وطأتك اي ضغطتك على مضر بضم الميم وفتح الضاد
المعجمة اسم قبيلة اللهم اجعلها سنين كسني يوسف والمراد بسني يوسف ما قصه
الله تعالى من ذكر السنين المجدبة في زمانه وقد مضى الحديث في كتاب الصلوة
مطولا في باب يهوي بالتكبير حين يسجد ومر الكلام فيه هناك ومطابقته
للترجمة كالاول حدثنا عبد الله بن محمد بن اسماء هو ابن اخي جويرية مصغر
جارية وهو من الاعلام المشتركة بين الذكور والاناث قال اخبرنا جويرية
بن اسماء بوزن حمراء الضبعي عن مالك عن الزهري ان سعيد بن المسيب
وابا عبيد مصغرا هو سعد بن عبيد مولى عبد الرحمن بن الازهر وقد مر في
الصوم اخبراه عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد ياوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما
لبث يوسف ثم اتاني الداعي اي من قبل الملك لاجبته ولما طلبت البراءة
ويقال ان اسم الملك الذي راى الرؤيا الريان بن الوليد من ذرية لاوذ بن
سام بن نوح عليه السلام وقد روى ابن حبان من طريق محمد بن عمرو
عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا رحم الله يوسف لولا الكلمة
التي قالها اذكرني عند ربك ما لبث في السجن ما لبث وقد مضى الحديث
عن قريب ومر الكلام فيه ومطابقته للترجمة في قوله ما لبث يوسف حدثنا
محمد بن سلام البخاري البيكندي وهو من افراده قال اخبرنا ابن فضيل
هو محمد بن فضيل مصغر فضل ابن غزوان الكوفي قال اخبرنا حصين بضم
الحاء المهملة وفتح الصاد المهملة ابن عبد الرحمن الهذلي عن شقيق اي
ابن سلمة الاسدي ابي وائل الكوفي عن مسروق اي ابن الاجدع انه قال
سألت ام رومان بضم الراء وقيل بفتحها بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس

بن عتاب بن اذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن
مالك بن كنانة قال ابو عمر هكذا نسبها مصعب وخالفه غيره والخلاف
من ابيها الى كنانة امرأة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وهي ام عائشة
رضي الله عنها وكذا هي ام عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما وذكر في التوضيح
ام رومان دعد ويقال زينب بنت عمير بن عامر وقيل بنت عامر بن
عويمر ثم انه قد اختلف في هذا السند فقيل انه منقطع قال ابو عمر رواية
مسروق عن ام رومان مرسلة ولعله سمع ذلك من عائشة رضي الله
عنها وقال ابن سعد وابو حسان الزيادي ام رومان ماتت في حيوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ست ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قبرها وزاد الزبير في ذي الحجة وقال ابو عمر سنة اربع وقيل سنة خمس
فعلى هذا التاريخ سماع مسروق منها ويكون حديثه منقطعا وقال آخرون
الحديث متصل فقال ابو اسحق الحربي في تاريخه وعلمه سأل مسروق ام رومان
وله خمس عشرة سنة ومات وله ثمان وسبعون سنة وهي اقدم من
حدث عنه مسروق وقد صلى خلف ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال ابو
نعيم الحافظ بقيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم دهرا طويلا فعلى هذا
الحديث متصل وقال الخطيب العجب من الحربي كيف خفي استحالة سؤال مسروق
لها مع علو قدره في العلم واخذ العلة التي دخلت عليه اتصال السند و
ثقة رجاله ولم يتفكر فيما وراء ذلك فهي العلة التي دخلت على البخاري
حتى خرجه اما مسلم فلم يخرجه ورجاله على شرطه وحسبه فطن لاستحالته فرده
وقول الحربي سألها وله خمس عشرة سنة فعلى هذا كان له وقت وفاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة فما الذي منعه ان يسمع من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولقد انتصر بعضهم للبخاري بانه لما ذكر رواية علي
بن زيد بن جدعان عن القاسم ماتت ام رومان زمن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال فيه نظر اي للضعف علي والانقطاع حديث القاسم وحديث
مسروق اسند وقال ايضا الذي رواه ابن سعد اصله من الواقدي وفيه

متقال ورد عليه بان الحميدي قال كان بعض ما لقينا من البغداديين
الحفاظ يقولون الارسال في هذا الحديث بين وقال الخطيب وقع في
كتب في رواية رواه مسروق عن ابن مسعود عن ام رومان قال
وهو الاشبه وكذا قاله ناصر السلامي وقال الخطيب ايضا الصواب ان يقرا
سئلت ام رومان على صيغة المجهول من الماضي وهذا اشبه بالصحة لان
من الناس من يكتب الهمزة الفا في جميع احوالها في الرفع والنصب و
الخفض فلعل بعض النقلة كتب على صورة سالت بالالف ودون
عليه ورواه وقال الكرماني لا ينفعه هذا العذر لما جاء في حديث الافك
في المغازي قال مسروق وحدثتني ام رومان وقال العيني انه وهم
فيه وقال الداودي فيه من الوهم ان ام مسطح من قريش وقالت ولجت علينا
امراة من الانصار وقال الخطيب الراوي عن شقيق عن مسروق هو
حصين وحصين قد اختلط في اخر عمره فلعله روى الحديث في حال
اختلاطه قال الخطيب ايضا في روايته عن مسروق سئلت ام رومان وهذا
هو الاشبه بالصحة والله تعالى اعلم عما قيل فيها اي في عائشة رضي الله عنها
ما قيل من الافك قالت بينا انا مع عائشة جالستان اذ ولجت اي
دخلت علينا امراة من الانصار وهي تقول فعل الله بفلان وفعل اراد
الانصارية المذكورة بفلان مسطحا بكسر الميم وهو مسطح بن اثاثة بن
عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي يكنى ابا
عباد وقال ابو عمر اسمه عوف لا اختلاف فيه وغلب عليه مسطح وامه سلمى
بنت صخر بن عامر خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه شهد مسطح بدرا و
مات سنة اربع وثلثين وهو ابن ست وخمسين سنة وقد قيل انه شهد
صفين مع علي رضي الله عنه وهو الاكثر ولما خاض في الافك على عائشة
رضي الله عنها ونزلت براءتها جلده صلى الله عليه وسلم فيمن جلد في ذلك
وكان ابو بكر رضي الله عنه ينفق عليه لقرابته وفقره فحلف ان لا ينفق عليه
فنزلت ولا ياتل اولو الفضل منكم والسعة الاية فقال ابو بكر رضي الله عنه

89 والله اني لاحب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه
وقال والله لا انزعها عنه ابدا قالت فقلت لم قالت انه نمى بتشديد الميم من
النميمة وهي رفع الحديث بقال نميت الحديث انميه اذا بلغته على وجه الاصلاح
وطلب الخير فاذا بلغته على وجه الافساد والنميمة قلت نميته بالتشديد
كذا قال ابو عبيدة وابن قتيبة وغيرهما وقال الحربي نمى مشددة واكثر المحدثين
يقولونها مخففة قال ابن الاثير وهذا لا يجوز يعني ههنا وفي المطالع وفي رواية
ابي ذر بالتخفيف ذكر الحديث ويروى ذكر هذا الحديث قالت عائشة اي حديث
فاخبرتها قالت اي عائشة رضي الله عنها فسمعه ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه
وسلم قالت نعم فخرت مغشيا عليها فما افاقت الا وعليها حمى بنافض اي
برعدة بارتعاد والنافض من الحمى هي ذات الرعدة والنفض التحريك
فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما لهذه قلت حمى اخذتها من اجل حديث
وهو حديث الافك تحدث به على البناء للمفعول صفة حديث فقعدت فقالت
والله لئن حلفت لا تصدقوني ولئن اعتذرت لا تعذروني فمثلي ومثلكم
كمثل يعقوب وبنيه اي صفتي وصفتكم كصفة يعقوب عليه السلام حيث
صبر صبرا جميلا فالله المستعان على ما تصفون فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم
فانزل ما انزل براءة عائشة رضي الله عنها وهو قوله تعالى ان الذين جاؤا
بالافك عصبة منكم الايات فاخبرها فقالت بحمد الله لا بحمد احد روي انه
قال لها النبي صلى الله عليه وسلم يا عائشة اما الله فقد براك فقالت
امها قومي اليه فقالت والله لا اقوم اليه فاني لا احمد الا الله عز وجل وهو
معنى قولها بحمد الله لا بحمد احد ومطابقة الحديث للترجمة تؤخذ من قولها
فمثلي ومثلكم كمثل يعقوب وبنيه وسياتي في تفسير النور في سياق قصة
الافك عن عائشة رضي الله عنها بلفظ فالتمست اسم يعقوب فلم اجده
فقلت ما اجد لي ولكم مثلا الا ابا يوسف حدثنا يحيى بن بكير قال اخبرنا الليث
ابن سعد عن عقيل عن ابن شهاب الزهري قال اخبرني عروة انه سال
عائشة رضي الله عنها ارايت اخبريني قوله تعالى حتى اذا استياس الرسل

١٠

وظنوا انهم قد كذبوا او كذبوا اى اخبرنى ان كذبوا بالتشديد او بالتخفيف
والاية فى سورة يوسف عليه السلام قال الله تعالى حتى اذا استيأس الرسل
غاية محذوف دل عليه الكلام اى لا يغررهم تمادى ايامهم اى ايام الذين
لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس
الرسل عن النصر عليهم فى الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم فى الكفر مترفهين
متمادين فيه من غير وازع واليأس القنوط وظنوا انهم قد كذبوا اى كذبتهم
انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل
الضمير للمرسل اليهم اى وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد
وقيل الاول للمرسل اليهم والثانى للرسل اى وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا
فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روى عن ابن عباس رضى الله
عنهما ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد
بالظن ما يهجس فى القلب على طريق الوسوسة او ان المراد به المبالغة فى
التراخى والامهال وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اى وظن الرسل ان القوم
قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ فى الشواذ بالتخفيف وبناء الفاعل اى و
ظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم
نصرنا فنجى من نشاء النبى والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين
يستأهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم و
يعقوب على لفظ الماضى المبنى للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم
المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين قالت بل كذبهم قومهم كأنه فهم
عروة من ظاهر الكلام ان نسبة الظن بالتكذيب لا يليق فى حق الرسل فقالت
له عائشة رضى الله عنها ليس كما زعمت بل معناه كذبهم قومهم فى وعد العذاب
فقلت القائل هو عروة فكأنه اشكل عليه قوله وظنوا الا انهم تيقنوا او ما ظنوا
فقال والله لقد استيقنوا ان قومهم كذبوهم وما هو بالظن فردت عليه عائشة
رضى الله عنها فقالت يا عرية بالتصغير ولكنه تصغير الشفقة والمحبة والدلالة
وليس لتصغير التحقير واصله عريوة فاعلت لقد استيقنوا بذلك اشارت

91
بذلك الى ان الظن هنا بمعنى اليقين كما فى قوله تعالى وظنوا ان لا ملجأ
من الله الا اليه ان تيقنوا قلت فلعلها او كذبوا فقالت معاذ الله لم
تكن الرسل تظن ذلك بربها اى عاد عروة اليها فقال لعل الاية او كذبوا
بالتخفيف اى من عند ربهم فقالت لا بل من جهة اتباعهم المصدقين اى ظن
الرسل ان اتباعهم لم يكونوا صادقين فى دعوى ايمانهم وقال العينى على
معنى وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم فجاءت عائشة رضى
الله عنها بقولها معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها واشارت بذلك
الى ما فهمه عروة منه وما فهمه عروة هو ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما
حين ضعفوا او غلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقد عرفت
انفا انه محمول على ان المراد بالظن ما يهجس فى القلب على طريق الوسوسة او ان
المراد به المبالغة فى التراخى والامهال واما هذه الاية قالت هم اتباع الرسل الذين
امنوا بربهم وصدقوهم وطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى اذا استيأس
اى الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا ان اتباعهم كذبوهم بتخفيف الذال
اى فى دعوى الايمان ويحتمل التشديد اى ظنوا انهم كذبوا اخيرا من المصدقين
اولا جاءهم نصر الله وجواب اما محذوف اى فالمراد من الظانين فى الاية هم
اتباع الرسل لان عائشة رضى الله عنها قالت اخره وتحاصل ان عروة لما قال
لعلها او كذبوا اى من عند ربهم ردت عليه عائشة رضى الله عنها بقولها معاذ
الله بل من جهة اتباعهم المصدقين فارادت عائشة رضى الله عنها انهم
استيقنوا الكذب او التكذيب اخيرا من المصدقين اولا ومطابقته للحديث
للترجمة من حيث ان هذه الاية ذكرت فى سورة يوسف بعد ذكر قصته والله
تعالى اعلم قال ابو عبد الله هو البخارى نفسه استيأسوا افتعلوا من يئست
منه اى من يوسف هكذا اكثر من النسخ افتعلوا وفى بعضها استفعلوا وعلى
الاول يكون مقصوده بيان معنى وان الطلب ليس بمقصود فيه بل السين
فيه للمبالغة لا بيان الوزن لا تيأسوا من روح الله معناه الرجاء اشار
بهذا الى ان الروح فى قوله تعالى لا تيأسوا من روح الله بمعنى الرجاء وعن قتادة

اي لا تيأسوا من رحمة الله كذا رواه ابن ابي حاتم من طريق ابن بشر عنه
حدثنا عبدة بفتح المهملة وسكون الموحدة هو ابن عبد الله ابو سهل الصفار
الخزاعي البصري مات بالاهواز سنة ثمان وخمسين ومائتين وهو من افراده
قال اخبرنا عبد الصمد اي ابن عبد الوارث البصري عن عبد الرحمن ابن عبد الله
عن ابيه عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكريم ابن الكريم
ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وقد مر الحديث
عقب باب قول الله عز وجل وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم
الراحمين والاية في اواخر سورة الانبياء قال الله تعالى وايوب عطف على
ما قبله وداود وسليمان اي واذكر ايوب وهو اسم اعجمي لا ينصرف للعجمة والعلمية
ذكره الله في قوله في القران في خمسة مواضع واختلفوا في نسبه فقيل ايوب
بن اموص بن رازح بن روم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم نقل
عن هذا عن كعب وابن اسحق وقيل ايوب بن اموص بن زيرح بن
رعويل بن عيصو وقيل ايوب بن ساري بن رعوال بن عيصو والمشهور
هو الاول وقال ابن اسحق الصحيح انه كان من بني اسرائيل ولم يصح في نسبه شيء
الا ان اسم ابيه اموص وقيل كان ابوه ممن آمن بابراهيم عليه السلام يوم
القي في النار وكانت امه ولد لوط بن هاران وقال ابن الجوزي وامه بنت
لوط عليه السلام وكان ايوب في زمن يعقوب وتزوج ابنة يعقوب واسمها
رحمة وقيل دنيا وقيل ليا وقيل انما تزوج ايوب رحمة بنت منشا بن يوسف
بن يعقوب وقيل رحمة بنت بنت افرايم بن يوسف وافاد ابن خالويه
انه يقال الهام زيد وذكر ابن الجوزي في التبصرة انه كان في زمن يعقوب
ولكن لم يكن نبيا في زمانه ونبئ بعد يوسف عليه السلام وقيل كان بعد سليمان
عليه السلام اذ نادى ربه اني مسني الضر اي بانه مسني الضر والضر بالضم الضرر
في النفس من هزال ومرض وبالفتح الضرر في كل شيء وفرق بين البنائين
لافتراقهما معنيين وانت ارحم الراحمين قال الزمخشري كان ايوب عليه السلام
روميا من ولد اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وقد استنباه الله وبسط

عليه الدنيا وكثر اهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف
البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل
هذا وروي عن مقاتل انه كان له ثلثة عشر ولدا وكان كثير الضيافة على
مذهب ابراهيم الخليل عليه السلام يكفل الارامل واليتامى ويحمل المنقطعين
وما كان يشبع حتى يشبع الجائع ولا يكتسي حتى يكسو العاري فابتلاه الله
تعالى بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه
حتى اكل الدود جميع جسده ثم اراد الذهاب الى قلبه واخرج ابن ابي حاتم
وابن جرير وابن حبان والحاكم من طريق نافع بن يزيد عن عقيل
عن الزهري عن انس عن ايوب عليه السلام ابتلي فلبث في بلائه ثلاث
عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد وروى احمد بن وهب عن عم عبد الله
بن وهب انا نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن انس
رضي الله عنه مرفوعا ان ايوب مكث في بلائه ثماني عشرة سنة وعن
خالد بن دريد اصابه البلاء على راس ثمانين سنة من عمره وعن
ابن عباس رضي الله عنهما مكث في البلاء سبع سنين وكان اصابه
بعد السبعين من عمره وعن ابن عباس رضي الله عنهما سبع سنين
وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات وقال الحسن مكث ايوب
مطروحا على كناسة في مزبلة لبني اسرائيل سبع سنين واشهرا وروي انه [illegible]
زوجته عنه فلم يبق من ينظر في امره وقال الحسن ان ابليس امراته بسخلة
فقال قولي له ليذبحها حتى يبرأ فجاءت وحكت بذلك فقال لكدت ان
تهلكيني لئن فرج الله عني لاجلدنك مائة تامرني ان اذبح لغير الله ثم
طردها عنه فبقي وحيدا ليس له معين وقال مسني الضر وذكر في سبب بلائه
ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه في ناحية
ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل امتحن بكثرة ماله واهله ويقال انه سأله
الامتحان بالصبر فامتحن ثم انه لما ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وصف ربه
بغاية الرحمة واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال ونادبا

سع ربه وذلك كما يحكى عن عجوز تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت
يا امير المؤمنين مشت جرذان بيتي على عصي فقال لها الطفت في السؤال
لا جرم لاردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا وقد روي ان امرأته ماخير
بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افرائيم بن يوسف او ليا بنت
يعقوب قالت له لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت
ثمانين سنة فقال استحي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة
رخائي فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه وآتيناه
اهله ومثلهم معهم بان احيى ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم روي ان
امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا رحمة من عندنا وذكرى للعابدين
رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا
كما اثيب في الدنيا والآخرة او رحمنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان
ولا ننساهم وقال الطبري وابن الجوزي كان عمره حين مات ثلثا
وتسعين سنة وقيل عاش مائة وستا واربعين سنة ودفن في
الموضع الذي ذهب فيه بلاؤه وهو بالبثنية بالشام وقبره ظاهر بها
اركض اضرب اشار به الى ما في قوله تعالى في قصة ايوب عليه السلام
في سورة ص قال تعالى اركض برجلك حكاية لما اجيب به قال ابو حيان
في الكلام حذف تقديره فاستجبنا له وقلنا اركض برجلك وركض اي
اضرب برجلك الارض فضرب فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل
بارد وشراب اي تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل
نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى
روي انه لما امره الله بذلك ركض برجله الارض فنبعت عين
فاغتسل فيها فلم يبق عليه شيء من الداء وعاد اليه شبابه وجماله
احسن ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم
يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسي حلة وقال السدي جاء جبريل
عليه السلام بحلة من الجنة فالبسها فان قيل كان يكفيه ركضة واحدة

فالجواب ان الركضة الاولى لزوال الضرر والثانية دليل الفرح وبطرب
بالعافية يشرب منها وانما خص الرجل بالركض لان العادة جارية بان
ينبع الماء من تحت الرجل فكان ذلك معجزة له يركضون يعدون
اشار به الى قوله تعالى فلما احسوا بأسنا اي فلما ادركوا شدة عذابنا
ادراك المشاهد المحسوس اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين
راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم وقد فسره
البخاري بقوله يعدون ووجه ذكره هنا كون اركض ويركضون
من مادة واحدة حدثنا عبد الله بن محمد الجعفي بضم الجيم وسكون المهملة
وبالفاء قال اخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن همام عن ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بينما ايوب يغتسل
عريانا بالنصب على الحال خر اي سقط عليه رجل جراد بكسر الراء وسكون الجيم
هو جماعة الجراد ولهذا اضيف اليه كما يقال سرب من الظباء وعانة
من حمر الوحش وهو من اسماء الجماعات التي لا واحد لها من لفظها
من ذهب فجعل يحتثي بالمثلثة اي يأخذ بيديه جميعا وفي رواية بشير
بن نهيك يلتقط وروى ابن ابي حاتم من حديث ابن عباس رضي
الله عنهما فجعل ايوب ينشر طرف ثوبه فيأخذ الجراد فيجعله فيه فكلما امتلأت
ناحية نشر ناحية فناداه ربه يحتمل ان يكون بواسطة او بلا واسطة او
بالالهام يا ايوب الم اكن اغنيتك عما ترى قال بلى اغنيتني يا رب
لكن لا غنى بكسر الغين المعجمة مقصورا بلا تنوين وخبر لا يجوز ان
يكون قوله لي ويجوز ان يكون قوله من بركتك ويروى عن بركتك
ويروى من فضلك وفي رواية بشير بن نهيك ومن يشبع من رحمتك
وقال وهب تطاير الجراد من الماء الذي اغتسل فيه وفي الحديث جواز الحرص
على الاستكثار من الحلال في حق من وثق من نفسه بالشكر عليه وفيه
تسمية المال الذي يكون من هذه الجهة بركة وفيه فضل الغنى الشاكر
واستنبط منه الخطابي جواز اخذ النثار وان من نثر عليه دراهم ونحوها

فإنه أحق بما تنزّ عليه وتعقبه ابن التين فقال ليس كما ذكره لأنه حيث
شرف الله به نبيه أيوب وذلك شيء من فعل الآدمي فيكره فعله لأنه من السرف
ونوزع في كونه خاصا وبأنه جاء من الشارع فلا سرف فيه وقال الحافظ
العسقلاني لم يثبت عند البخاري في قصة أيوب شيء فاكتفى بهذا الحديث
الذي على شرطه وأصح ما ورد في قصته ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير
وصححه ابن حبان والحاكم من طريق نافع بن يزيد عن عقيل عن
الزهري عن أنس رضي الله عنه أن أيوب عليه السلام ابتلي فلبث
في بلائه ثلاث عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه
فكانا يغدوان إليه ويروحان فقال أحدهما للآخر لقد أذنب أيوب
ذنبا عظيما وإلا لكشف عنه هذا البلاء فذكره الآخر لأيوب فحزن ودعا
الله حينئذ فخرج لحاجته وأمسكت امرأته بيده فلما فرغ أبطأت عليه
فأوحى الله إليه أن اركض برجلك فضرب برجله الأرض فنبعت
عين فاغتسل منها فرجع صحيحا فجاءت امرأته فلم تعرفه فسألته
عن أيوب فقال إني أنا هو وكان له أندران أحدهما للقمح والآخر للشعير
فبعث الله له سحابة فأفرغت في أندر القمح الذهب حتى فاض وفي أندر
الشعير الفضة حتى فاض وروى ابن أبي حاتم نحوه من حديث ابن
عباس رضي الله عنهما وفيه فكساه الله حلة من حلل الجنة فجاءت امرأته
فلم تعرفه فقالت يا عبد الله هل أبصرت هذا المبتلى الذي كان هنا فلعل
الذئاب ذهبت به قال ويحك أنا هو وروى ابن أبي حاتم من طريق
عبد الله بن عبيد بن عمير نحو حديث أنس رضي الله عنه وفي آخره قال
فسجد وقال وعزتك لا أرفع رأسي حتى تكشف عني فكشف عنه وعن
الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما رد الله على امرأته شبابها
حتى ولدت له ستة وعشرين ذكرا وذكر وهب بن منبه ومحمد بن إسحق
في المبتدأ قصته مطولة جدا وحاصلها أنه كان بحوران وله البثنية بسهلها
وجبلها وله أهل ومال كثير وولد فسلب ذلك شيئا فشيئا وهو يصبر ويحتسب

ثم ابتلي في جسده بأنواع من البلاء حتى ألقي خارجا من البلد ورفضه
الناس إلا امرأته فبلغ من أمرها أنها تخدم بالأجرة وتطعمه إلى أن تجنبها
الناس خشية العدوى فباعت إحدى ظفيرتيها من بعض بنات الأشراف
وكانت طويلة حسنة فاشترت له طعاما طيبا فلما أحضرته له حلف أن لا
يأكله حتى تخبره من أين لها ذلك فكشفت عن رأسها فاشتد حزنه وقال
حينئذ رب أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فعافاه الله تعالى وروى
ابن أبي حاتم عن مجاهد أن أيوب أول من أصابه الجدري ومن طريق
الحسن أن إبليس لقي امرأته فقال لها إن أكل أيوب ولم يسم عوفي فعرضت
ذلك على أيوب فحلف ليضربنها مائة فلما عوفي أمره الله تعالى أن يأخذ
عرجونا فيه مائة شمراخ فيضربها ضربة واحدة وقيل بل قعد إبليس على الطريق
في صورة طبيب فقال أنا أداويه فقال أنت تشفيني فقنعت بذلك
فعرضت عليه ذلك فغضب فكان ما كان وقد ذكرنا أنه قد اختلف في
مدة بلائه فقيل ما تقدم وقيل ثلث سنين وهذا عن وهب وعن الحسن
وقتادة سبع سنين وقد تقدم وقيل إن امرأته قالت له ألا تدعو الله تعالى
فقال قد عشت صحيحا سبعين سنة أفلا أصبر سبع سنين والصحيح ما تقدم
أنه لبث ثلث عشرة سنة وروى الطبري أن مدة عمره كانت ثلثا وستين
سنة فعلى هذا يكون عاش بعد أن عوفي سنين عشرا والله أعلم و
الحديث قد مر في الطهارة في باب من اغتسل عريانا ومطابقته للترجمة
من حيث أن عقيب قوله رب أني مسني الضر جاءه الوحي بقوله اركض برجلك
فركض فنبع الماء فاغتسل وهو عريان فنزل عليه رجل جراد باب قول الله
تعالى واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا إلى قوله نجيا كذا في رواية
أبي ذر وأما في رواية كريمة فساق إلى قوله أخاه هرون نبيا والآيات
في سورة مريم قال الله تعالى واذكر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
في الكتاب أي في القرآن موسى إنه كان مخلصا بكسر اللام أي موحدا
أخلص عبادته عن الشرك والرياء أو أسلم وجهه لله أو أخلص نفسه

عما سواه ولم يدنسه وقرأ الكوفيون بفتح اللام على ان الله اخلصه
وجعله خالصا من الدنس مختارا وكان رسولا نبيا ارسله الله الى الخلق
فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى وناديناه اي
دعوناه وكلمناه ليلة الجمعة من جانب الطور الايمن اي من ناحيته
اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى او من جانبه الميمون من
اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة والطور جبل بين مصر ومدين
وقربناه تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته نجيا
مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجوة وهو الارتفاع
لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له
من رحمتنا اي من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا فعلى الاول قوله
اخاه مفعول ووهبنا وعلى الثاني بدل اي وهبناه له معاضدة اخيه
ومؤازرته اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي هارون و
كان اسن من موسى بثلاث سنين هرون عطف بيان لاخاه
نبيا حال منه قال مقاتل ذكر الله موسى في القرآن في مائة وثمانية عشر
موضعا وذكر الله هرون في احد عشر موضعا وموسى على وزن مفعل
من موسى وهو حلق الشعر والميم اصلية وقال الليث اشتقاقه من
الماء والشجر فمو ماء وسا شجر اعتبارا بحال التابوت والماء وهو عبراني
معرب وقيل هو على وزن مفعل من اوسيت وهو ابن عمران بن قاهث
بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم الخليل عليهم السلام وذكر
بعضهم عازر بعد قاهث ونكح عمران نجيب بنت اشموئيل بن بركيا
بن يقشان بن ابرهيم فولدت له هرون وموسى عليهما السلام
وقيل اسم امهما اناجيا وقيل ايارخت وقال السهيلي اباذخا وقال ابن
اسحق نجيب وقال الثعلبي يوخابذ وهو المشهور وولد موسى وقد مضى
من عمر عمران سبعون سنة وجميع عمر عمران مائة سبع وثلثون سنة
والله تعالى اعلم وقربناه نجيا وكلا فسره بقوله كلمه يعني يقال قربه نجيا

اي كلمه مناجيا يقال للواحد والاثنين والجمع كذا في رواية الكشميهني
وفي رواية غيره سقط قوله والجمع نجي ويقال خلصوا نجيا اعتزلوا نجيا
والجمع انجية يتناجون النجي بفتح النون وكسر الجيم وتشديد الياء قال
ابن الاثير هو المناجي وهو المخاطب للانسان المحدث له وذكر البخاري انه
يقال للواحد نجي وللاثنين نجي وللجمع نجي وفي المطالع يقال رجل نجي
ورجال نجي وفسره البخاري ما في قوله تعالى فلما استيأسوا منه خلصوا
نجيا بقوله اعتزلوا نجيا اي فلما يئسوا من يوسف اعتزلوا وانفردوا عن
الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا اي فوجا نجيا اي متناجيا
بعضهم بعضا وانفردوا متناجين فيما يعملون في ذهابهم الى ابيهم من
غير اخيهم وذكر البخاري هذا تاكيدا لما قبله من ان نجي يطلق على الجمع
لان نجيا في الاية بمعنى متناجين ونصبه على الحال وقال الزمخشري النجي على
معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه
قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى
بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر ثم قوله
والجمع انجية اراد به ان النجي اذا اريد به المفرد فقط جمعه انجية وقوله
يتناجون اشار به الى ما في قوله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى
ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان الاية نزلت في
اليهود وكانت بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم موادعة فاذا
مر بهم رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلسوا يتناجون فيما
بينهم حتى يظن المؤمن انهم يتناجون بقتله او بما يكره فيترك الطريق عليهم
من المخافة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا
فعادوا الى النجوى فانزل الله هذه الاية ثم انه ذكر السدي في تفسيره
باسناده ان بدء امر موسى عليه السلام ان فرعون رأى كان نارا اقبلت
من بيت المقدس فاحرقت دور مصر وجميع القبط الا دور بني اسرائيل
فلما استيقظ جمع الكهنة والسحرة فقالوا هذا غلام من هؤلاء يكون خراب

مصر على يده فأمر بقتل الغلمان فلما ولد موسى أوحى الله إلى أمه أن
أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم قالوا فكانت ترضعه فإذا
خافت شيئا جعلته في تابوت وألقته في البحر وجعلت تحبل عندها فنسيت
الحبل يوما فجرى به النيل حتى وقف على باب فرعون فالتقطه الجواري
فأحضروه عند امرأته ففتحت التابوت فرأته فأعجبها فاستوهبته من
فرعون فوهبه لها تربيه حتى كان من أمره ما كان وفي الكشاف روي
أنه ذبح في طلب موسى تسعون ألف وليد وروي أن أمها حين أقربت
وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني إسرائيل مصافية
لها فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع على الأرض هالها
نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها قالت ثم ما جئتك
إلا لأقتل مولودك وأخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله
فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في التنور
مسجورا لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا
وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت إليه وقد جعل
الله النار عليه بردا وسلاما فلما ألح فرعون في طلب الولدان أوحى الله
إليها فألقيه في اليم وقد روي أنها أرضعته ثلاثة أشهر وجعلها في التابوت
من بردي مطلي بالقار من داخله فألقته في اليم وروي أنهم حين التقطوا
التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فأعياهم فدنت آسية
فرأت في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فإذا الصبي نوره بين عينيه
وهو يمص إبهامه لبنا فأحبته وكانت لفرعون بنت برصاء وقال له الأطباء لا تبرأ
إلا من قبل البحر يوجد فيه شبه إنسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها
بريقه فبرئت وقيل لما نظرت إلى وجهه برئت فقالت إن هذه لنسمة مباركة
فهذا أحد ما عطفهم عليه فقال الغواة من قومه هو الصبي الذي نحذر منه
فأذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون
لك لا لي وروي في حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما

هداها ولا يسلم كما أسلمت وهذا على سبيل الفرض والتقدير أي لو كان غير
مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها هذا تأويله إن صح وروي أنها
قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بني إسرائيل فكان من أمره ما كان
تلقف تلقم أشار به إلى ما في قوله تعالى وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك
فإذا هي تلقف ما يأفكون وفسره بقوله تلقم وكذا فسره أبو عبيدة في سورة
الأعراف روي أنه ألقى عصاه فصارت حية فإذا هي تلقف ما يأفكون أي
ما يزورونه من الإفك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ولما تلقفت
حبالهم وعصيهم وابتلعتها بأسرها أقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا
حتى هلك جمع عظيم ثم أخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة
لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا
الليث أي ابن سعد قال حدثني بالإفراد عقيل عن ابن شهاب الزهري أنه قال
سمعت عروة قال قالت عائشة رضي الله عنها فرجع النبي صلى الله عليه وسلم
أي من غار حراء إلى خديجة يرجف فؤاده فانطلقت به إلى ورقة بفتح الواو
والراء والقاف بن نوفل وكان رجلا تنصر يقرأ الإنجيل بالعربية فقال ورقة
ماذا ترى فأخبره فقال ورقة هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى وإن
أدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا بتشديد الزاي من الأزر وهو القوة
أي قويا بليغا الناموس صاحب السر الذي يطلعه بما يستره عن غيره
وهذا من قول المصنف وقد تقدم قول من خصه بالخير في أول الكتاب وقد
مر هناك الحديث أيضا مطولا وقد مر الكلام فيه مستوفى ومطابقته للترجمة
ظاهرة باب قول الله عز وجل وقد سقط لفظ الباب عند أبي ذر وكريمة وهل
أتاك حديث موسى إذ رأى نارا إلى قوله بالواد المقدس طوى والآية في
سورة طه قال الله تعالى وهل أتاك حديث موسى استفهام بمعنى التقرير أي
قد أتاك قيل تمهيد نبوته صلى الله عليه وسلم قصة موسى عليه السلام ليأتم به
في تحمل أعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فإن هذه
السورة من أوائل ما نزل إذ رأى نارا ظرف للحديث لأنه حدث أو مفعول

لا اذكر وعن وهب استأذن موسى شعيبا عليهما السلام في الرجوع الى امه
وخرج باهله من مدين الى مصر فلما اتى وادي طوى وفيه الطور ولد له
ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة فتحير موسى عن الطريق
مخافة من ملوك الشام فالجأه المسير الى جانب الطور الغربي وتفرقت ماشيته
وقدح النار فلم تور المقدحة شيئا فبينا هو في مزاولة ذلك ابصر نارا من بعيد
عن يسار الطريق من جانب الطور فقال لاهله امكثوا اي قال موسى اذ حين
امن معه اقيموا مكانكم اني آنست نارا اي ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل
الايناس الابصار يونس به لعلي آتيكم منها اي من النار بقبس بشعلة
من النار والقبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة او غيرهما و
قيل جمرة او اجد على النار هدى اي هاديا يدلني على الطريق او يهديني ابواب
الدين فان افكار الابرار مائلة في كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا
بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان متحققا ولذلك حققه
لهم بان ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهلها
مشرفون عليها او مشتغلون بمكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت
بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه فلما أتيها اي اتى موسى عليه السلام النار
راى شجرة خضرا من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح
الملائكة وراى نورا عظيما فخاف فالقيت عليه السكينة وكانت الشجرة عوسجة
وروي كلما دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحق
انه لما دنا استأخرت عنه فلما راى ذلك رجع واوجس في نفسه خيفة فلما اراد
الرجعة دنت منه ثم لما نودي نودي يا موسى اني انا ربك فتحه ابن كثير وابو
عمرو اي باني وكسر الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير
للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودي قال من المتكلم قال اني انا الله فوسوس
اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله فاني
اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انه عليه السلام
تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى

الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو فاخلع نعليك
امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين
وقيل لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ فخلع موسى نعليه
والقاهما من وراء الوادي وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال
انك بالواد المقدس تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس المطهر من
الشرك قال الحسن سمي الوادي المقدس لانه قدس وبورك مرتين وقيل
المقدس المبارك طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون
بتأويل المكان وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي او المقدس اي
نودي نداءين او قدس مرتين وقال ابن عباس رضي الله عنهما طوى اسم
الوادي وانما سمي الوادي طوى لانه قد طويها الانبياء الى سيرهم فيها آنست
ابصرت يعني ان معنى آنست ابصرت من الايناس وهو الابصار البين
الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشيء والانس لظهورهم
وقيل الايناس ابصار ما يؤنس به قال ابن عباس رضي الله عنهما المقدس
المبارك طوى اسم الوادي وقع هكذا من قول ابن عباس رضي الله عنهما
الى اخر ما ذكره من تفسير الالفاظ المذكورة في رواية ابي ذر عن المستملي والكشميهني خاصة
ولم يذكره جميع رواة البخاري هنا وانما ذكروا بعضه في سورة طه وقال الكرماني
وذكر امثال هذا في هذا الكتاب اشتغال بما لا يعنيه وقول ابن عباس رضي
الله عنهما هذا وصله ابن ابي حاتم من طريق علي بن ابي طلحة عنه وروى هو
والطبري من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سمي طوى لان
موسى عليه السلام طواه ليلا قال الطبري فعلى هذا فالمعنى انك بالواد
المقدس طويته وهو مصدر اخرج من غير لفظه كانه قال طويت الوادي المقدس
طوى وعن سعيد بن جبير قال قيل له طوى اي طأ الارض حافيا وروى
الطبري عن مجاهد مثله وعن عكرمة اي طأ الوادي ومن وجه آخر عنه عن
ابن عباس رضي الله عنهما كذلك وروى ابن ابي حاتم من طريق مبشر بن
عبيد والطبري من طريق الحسن قال قيل له طوى لانه قدس مرتين وقال الطبري

وقال آخرون بمعنى قوله طوى اي ثني اي ناداه ربه مرتين انك بالواد المقدس
وقال ابو عبيدة من جعل طوى اسم ارض لم ينونه ومن جعله اسم الوادي
صرفه ومن جعله مصدرا بمعنى نودي مرتين صرفه فيقول ناديته ثنى وطوى اي
مرة بعد مرة **سيرتها حالتها** اشار به الى ما في قوله تعالى سنعيدها سيرتها
الاولى وفسر السيرة بالحالة ووصله ابن ابي حاتم من طريق علي بن ابي طلحة عن
ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى سنعيدها سيرتها يقول حالتها الاولى
ورواه ابن جرير كذلك ومن طريق مجاهد وقتادة سيرتها هيئتها **والنهى التقى**
اشار به الى ما في قوله تعالى ان في ذلك لآيات لاولي النهى وفسر النهى بالتقى ووصله
الطبري من طريق علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله
يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى لاولي التقى ومن طريق
سعيد عن قتادة لاولي النهى لاولي الورع وقال الطبري خص اولي النهى لانهم
اهل التفكر والاعتبار **بملكنا بامرنا** اشار به الى ما في قوله تعالى قالوا ما اخلفنا
موعدك بملكنا وفسره بقوله بامرنا ووصله ابن ابي حاتم والطبري من طريق
علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ما اخلفنا موعدك
بملكنا يقول بامرنا ومن طريق سعيد عن قتادة بملكنا اي بطاقتنا وكذا قال
السدي ومن طريق ابن زيد بهوانا واختلف القراء في ميم ملكنا فقرؤا بالضم
والفتح والكسر ويمكن تخريج هذه الثلاث وبيان على هذه القراءات **هوى شقي**
اشار به الى ما في قوله تعالى ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى وفسره بقوله
شقي وكلاهما ماضيان ووصله ابن ابي حاتم في قوله تعالى فقد هوى قال يعني
شقي وكذا اخرجه الطبري **فارغا الا من ذكر موسى** اشار به الى ما في قوله تعالى
واصبح فؤاد ام موسى فارغا ثم فسره بقوله الا من ذكر موسى يعني لم يخل قلبها
عن ذكره ووصله سعيد بن عبد الرحمن المخزومي في تفسير ابن عيينة من طريق
عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى واصبح فؤاد ام موسى
فارغا قال من كل الا من ذكر موسى واخرج الطبري من طريق سعيد بن جبير
عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه ومن طريق علي بن ابي طلحة عن ابن

عباس رضي الله عنهما فارغا الا بذكر موسى ومن طريق مجاهد وقتادة
نحوه ومن طريق الحسن البصري اصبح فارغا من العهد الذي عهد اليها
انه سيرد عليها وقال ابو عبيدة في قوله تعالى فارغا اي من الحزن لعلمها انه
لم يغرق ورد ذلك الطبري وقال انه مخالف لجميع اقوال اهل التأويل **ردءا**
كي يصدقني اشار به الى ما في قوله تعالى واخي هارون هو افصح مني لسانا
فارسله معي ردءا يصدقني ثم اشار الى ان التقدير في قوله يصدقني كي
يصدقني ووصله ابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما وروى الطبري
من طريق السدي قال كيما يصدقني ومن طريق مجاهد وقتادة ردءا اي
عونا **ويقال مغيثا او معينا** اي يقال في تفسير ردءا مغيثا بالغين المعجمة
والثاء المثلثة من الاغاثة او معينا بالمهملة والنون من الاعانة
وهي بمعنى عدة قال ابو عبيدة في قوله تعالى ردءا يصدقني اي معينا
يقال فيه اردأت فلانا على عدوه اكنفته واعنته وصرت له كنفا **يبطش**
ويبطش اشار به الى ان لفظ يبطش فيه لغتان احدهما كسر الطاء وهي
قراءة السبعة والاخرى ضمها وهي قراءة ابي جعفر والحسن قال ابو عبيدة
في تفسير قوله تعالى فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما بالطاء مكسورة
ومضمومة لغتان والكسر هي القراءة المشهورة هنا وفي قوله تعالى يوم نبطش
البطشة الكبرى **يأتمرون يتشاورون** اشار به الى ما في قوله تعالى ان الملأ
يأتمرون بك ليقتلوك وفسره بقوله يتشاورون قال ابو عبيدة في
قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك اي يهمون بك ويتوامرون و
يتشاورون ومنه قول الشاعر ۝ ارى الناس قد احدثوا شيمة ۝ وفي
كل حادثة يؤتمر ۝ وقال ابن قتيبة معناه يأمر بعضهم بعضا كقوله تعالى
وأتمروا بينكم بمعروف **والجذوة قطعة غليظة من الخشب فيها لهب**
اشار به الى ما في قوله تعالى او جذوة من النار ثم فسرها بما ذكر قال ابو عبيدة
في قوله تعالى او جذوة من النار اي قطعة غليظة من الحطب ليس فيها
لهب قال الشاعر ۝ باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ۝ جزل الجذى غير خوار ولا

ذرعا والجذوة مثلثة الجمر سنشد عضدك كلما عززت شيئا فقد جعلت
له عضدا اشار به الى ما في قوله تعالى سنشد عضدك باخيك وفسره بقوله
سنعينك وفسره ابو عبيدة بقوله سنقويك به ونعينك تقول شد فلان
عضد فلان اذا اعانه وهو من عاضدته على امره اي عاونته وقوله كلما
عززت شيئا فقد جعلت له عضدا من بقية تفسير سنشد عضدك وهو
ظاهر وقال غيره اي غير ابن عباس رضي الله عنهما كلما لم ينطق بحرف او
فيه تمتمة او فأفأة فهي عقدة اشار به الى ما في قوله تعالى قال رب اشرح
لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني وهذا قول ابو عبيدة قال
في قوله تعالى واحلل عقدة من لساني العقدة من اللسان ما لم ينطق بحرف
او كانت فيه مسكة من تمتمة او فأفأة وروى الطبري باسناده من طريق
السدي قال لما تحرك موسى اخذته آسية امرأة فرعون ترقصه ثم ناولته
لفرعون فاخذ موسى بلحيته فنتفها فاستدعى فرعون الذباحين فقالت
آسية انه صبي لا يعقل فوضعت له جمرا وياقوتا وقالت ان اخذ الياقوت
فاذبحه وان اخذ الجمر فاعرف انه لا يعقل فجاء جبريل عليه السلام فطرح في يده
جمرة فطرحها في فيه فاحرقت لسانه فصارت في لسانه عقدة من يومئذ
ومن طريق مجاهد وسعيد بن جبير نحو ذلك وقيل لما وضع فرعون موسى
في حجره تناول لحيته ومدها ونتف منها وكانت لحيته طويلة سبعة اشبار
وكان هو قصيرا ويقال لطم وجهه وكان يلعب بين يديه ويقال كان
بيده قضيب صغير يلعب به فضرب به رأسه فعند ذلك غضب غضبا
شديدا وتطير منه وقال هذا عدوي المطلوب ثم جرى ما ذكر فان قيل كيف
لم تحرقه النار يوم التنور التي القي فيها واحرقت لسانه في هذا اليوم فالجواب
انه قال يوما لفرعون يا ابت فعوقب لسانه ولم يعاقب يده لانها مدت
لحية فرعون ولهذا ظهرت معجزة في اليد دون اللسان فانه روي انه كان
آدم شديد الأدمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي
بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس وقيل لم تحترق في التنور ليدوم

له الانس منه وبين النار ليتم التكلم وانما لم تحترق يده ليحاج بها فرعون
بحمل العصا والتمتمة هي التردد في النطق بالتاء المثناة الفوقية والفأفأة
هي التردد في النطق بالفاء ازري ظهري اشار به الى ما في قوله اشدد
به ازري واشركه في امري وفسر الازر بالظهر قال ابو عبيدة في قوله تعالى
اشدد به ازري اي ظهري ويقال قد آزرني اي كان لي ظهرا ومعينا واخرج
الطبري باسناد لين عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله اشدد به
ازري قال ظهري فيسحتكم فيهلككم اشار به الى ما في قوله تعالى قال لهم موسى
ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى وفسر
يسحتكم بقوله يهلككم ووصله الطبري من طريق علي بن ابي طلحة عن ابن
عباس رضي الله عنهما وهو قول ابي عبيدة قال وتقول سحته واسحته
بمعنى قال الطبري سحت اكثر من اسحت وروي من طريق قتادة في قوله
فيسحتكم اي يستأصلكم وخطاب للسحرة ويقال ان اسم رؤسائهم عاد
ور وسابور وحطحط والمصفى المثلى تأنيث الامثل يقول بدينكم يقال
خذ المثلى خذ الامثل اشار به الى قوله تعالى ويذهبا بطريقتكم المثلى و
مثلى على وزن فعلى تأنيث الامثل وقوله بدينكم تفسير لقوله بطريقتكم المثلى
يعني يريد موسى وهرون ان يذهبا بطريقتكم اي بسنتكم ودينكم وسمتكم
وقال ابو عبيدة في قوله بطريقتكم اي بسنتكم ودينكم وما انتم عليه وقيل
ارادوا اهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى عليه السلام
ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين
هم قدوة لغيرهم فيقال هم طريقة قومهم وقال الشعبي معناه ويصرفا وجوه
الناس اليهما وقال الزجاج يعني بالمثلى والامثل ذو الفضل الذي به يستحق
ان يقال هذا امثل قومه ويحصل ان المراد بالمثلى الفضلى ثم ائتوا صفا اشار
به الى ما في قوله تعالى فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى
خطاب لقوم فرعون من السحرة يعني ائتوا جميعا وقيل صفوفا لانه اهيب
في صدور الناظرين روي ان السحرة كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل

وعصيا وقد القوا قبالة واحدة وقد لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وذلك قوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى قال ابو عبيدة في قوله تعالى ثم ائتوا صفا اي صفوفا وله معنى آخر ذكره البخاري بقوله يقال بل اتيت اليوم يعني المصلى الذي يصلى فيه وقائل هذا ايضا ابو عبيدة فانه قال ايضا المراد من قوله صفا المصلى والمجمع وعن بعض العرب الفصحاء ما استطعت ان آتي الصف امس يعني المصلى ووجه صحته ان يجعل صفا علما للمصلى بعينه فامروا بان ياتوه ان يرادوا والمصلى من المصليات فاوجس اضمر خوفا فذهبت الواو من خيفة لكسرة الخاء اشارة الى ما في قوله تعالى فاوجس في نفسه خيفة موسى وفسر اوجس بقوله اضمر والخيفة الخوف وهذا ايضا تفسير ابي عبيدة وقوله فذهبت الواو من خيفة لكسرة الخاء يعني ان اصل خيفة خوفة فقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها في جذوع النخل على جذوع اشارة الى ما في قوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل واشار بقوله على جذوع ان كلمة في بمعنى على للاستعلاء وهذا قول ابي عبيدة ايضا واستشهد بقول الشاعر هم صلبوا العبدي في جذع نخلة وقال انما جاء على موضع في اشارة الى بيان شدة التمكن كانه ظرفه خطبك بالك اشارة الى ما في قوله تعالى فما خطبك يا سامري وفسر خطبك بقوله بالك قال ابو عبيدة في قوله فما خطبك يا سامري اي ما بالك وشانك قال الشاعر يا عجبا ما خطبه وخطبي وروى الطبري من طريق السدي في قوله تعالى فما خطبك قال مالك يا سامري وقصته مشهورة وملخصها ان موسى عليه السلام اقبل على السامري واسمه موسى بن ظفر الذي اخرج لهم عجلا جسدا له خوار وكان من قوم يعبدون البقر فقال هذا الهكم واله موسى قال له ما خطبك اي ما شانك وما الذي دعاك وحملك على ما صنعت مساس مصدر ماسه مساسا

اشارة الى ما في قوله تعالى قال فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس اي قال موسى للسامري فاذهب من بيننا فان لك في لك في الحيوة اي ما دمت حيا ان تقول لا مساس قال الفراء اي لا امس ولا أمس والمراد ان موسى امرهم ان لا يواكلوه ولا يخالطوه عاقبه الله في الدنيا بالعقوبة التي لا شيء اشد منها ولا اوحش حيث منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومواجهته واذا اتفق ان يماس احدا رجلا او امراة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعن قتادة ان بقاياهم اليوم يقولون لا مساس وقرئ لا مساس بفتح الميم وهي لغة فاشية وقال ابو عبيدة في قوله تعالى لا مساس اذا كسرت الميم جاز النصب والرفع والجر بالتنوين وجاءت هاهنا منفية مفتوحة بغير تنوين قال النابغة فاصبح من ذاك كالسامري • اذ قال موسى له لا مساسا قال والمماسة المخالطة قال ومنهم من جعلها اسما فكسرها بغير تنوين قال الشاعر • تميم كرهط السامري وقوله • الا لا يريد السامري مساس اجراها مجرى قطام وحذام • وقد قرئ مساس كفجار وهو علم للمسة واشار البخاري الى انه مصدر ماسه لننسفنه لنذرينه اشارة الى ما في قوله تعالى لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا وفسر قوله لننسفنه بقوله لنذرينه من التذرية في اليم وقد وصله الطبري من طريق علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله لننسفنه في اليم نسفا يقول لنذرينه في البحر حكى ان موسى عليه السلام اخذ العجل فذبحه فسال منه الدم لانه قد صار لحما ودما ثم احرقه بالنار وذراه في اليم الضحى الحر اشارة الى ما في قوله تعالى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى وفسر الضحى بالحر قال ابو عبيدة في قوله تعالى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى لا تشمس فتجد الحر وروى الطبري من طريق علي بن ابي طلحة

عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يصيبك فيها عطش ولا حر قال المعبرون
والخطاب لادم عليه السلام ومعنى لا تظمأ فيها اي في الجنة ولا تضحى لا تبرز
للشمس فيؤذيك حرها وقيل لا يصيبك حر الشمس اذ لا شمس فيها وذكر هذا هنا
غير مناسب لانه في قصة ادم عليه السلام ولا تعلق له بقصة موسى عليه السلام
قاله العيني وقال الحافظ العسقلاني وهذا موضع وقع استطرادا والا فلا
تعلق له بقصة موسى عليه السلام اقول كانه ذكره هنا لوقوعه عقيب الفراغ
من قصة موسى عليه السلام قصيه اتبعي اثره وقد يكون ان يقص الكلام
نحن نقص عليك اشار به الى ما في قوله تعالى وقالت لاخته قصيه وفسر
قصيه بقوله اتبعي اثره وهو قول مجاهد والسدي وغيرهما اخرجه ابن جرير
وقال ابو عبيدة في قوله تعالى وقالت لاخته قصيه اي اتبعي اثره تقول
قصصت اثار القوم وهكذا فسره اهل التفسير ويقال معناه استعلمي خبره وهو
خطاب لاخت موسى من امها واسم اخته مريم بنت عمران وافقها في ذلك
مريم بنت عمران ام عيسى عليهما السلام وقوله وقد يكون الى اخره تفسير من البخاري
اي قد يكون معنى القص من قص الكلام كما في قوله تعالى نحن نقص عليك
احسن القصص عن جنب عن بعد اشار به الى ما في قوله تعالى فبصرت به
عن جنب وهم لا يشعرون وفسر قوله عن جنب بقوله عن بعد اي
بصرت اخت موسى بموسى عن بعد والحال ان قوم فرعون لا يعلمون بها
وعن جنابة وعن اجتناب واحد اشار به الى ان معنى عن جنب
وعن جنابة وعن اجتناب واحد فيقال ما ياتينا الا عن جنابة وجناب
واصل معنى هذه المادة يدل على البعد ومنه الجنب لبعده عن الصلوة وعن
قراءة القران وروى الطبري من مجاهد في قوله تعالى عن جنب قال عن
بعد وقال ابو عبيدة في قوله تعالى فبصرت به عن جنب اي عن بعد وتجنب
ويقال ما ياتينا الا عن جنابة وعن جنب قال ابن عمر فلا تحرمني نائلا
عن جنابة واني امرؤ وسط القباب غريب وفي حديث القنوت الطويل
عن عباس رضي الله عنهما الجنب يسمو بصر الانسان الى الشيء البعيد وهو

الى جنبه لم يشعر وقال مجاهد على قدر على موعد اشار به الى ما في قوله
تعالى فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى وفسر
قوله على قدر بقوله على موعد وقيل على قدر اي جئت لميقات قدرته
لمجيئك قبل خلقك وكان موسى عليه السلام مكث عند شعيب عليه
السلام في مدين ثمانيا وعشرين سنة عشر سنين منها مهر امرأته صفورا
بنت شعيب ثم اقام بعده ثماني عشرة سنة عنده حتى ولد له في مدين
ثم جاء على قدر وكان مدين على ثماني مراحل من مصر روي انه حين
اتى مدين كان ابن اثنتي عشرة سنة فيكون الجميع اربعين سنة
قيل وذلك قوله تعالى ثم جئت على قدر يا موسى اي على قدر قدرته
لان اكلمك واستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر او على
مقدار من السن قد يوحى فيه الى الانبياء عليهم السلام هذا وقد وصله
عن مجاهد الفريابي من طريق ابن ابي نجيح عنه قال على قدر على موعد
وروى الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله
على قدر يا موسى اي على ميقات لا تنيا لا تضعفا اشار به الى ما في قوله
تعالى ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى وفسر قوله لا تنيا بقوله
لا تضعفا يعني لا تفترا من ونى ينى ونيا وهو الضعف والفتور وصله
الفريابي عن مجاهد وروى الطبري من طريق علي بن ابي طلحة عن ابن
عباس رضي الله عنهما في قوله ولا تنيا في ذكري قال لا تبطئا والخطاب فيه
لموسى وهرون روي انه تعالى اوحى الى هرون قد استنبأ وارسله الى فرعون
وقوله واني جعلتك وزيره وشريكا في رسالته فاذا كان يوم السبت لغرة
ذي الحجة فاخرج قبل طلوع الشمس فاخرج قبل طلوع الشمس الى شط النيل فانها
الساعة التي تلتقي انت واخوك فيها واقبل موسى في ذلك الوقت
وخرج هارون من عسكر بني اسرائيل حتى التقيا على شط النيل فقيل لهما ولا تنيا
في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى مكانا سوى منتصف بينهم اشار به الى ما في
قوله تعالى فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى

يقول ينصف بينهم اي منتصف بين الفريقين اي يستوي مسافة بينهما
فيكون مسافة كل فريق اليه كمسافة الفريق الاخر وقد وصله الفريابي عن
مجاهد وقوله مكانا منصوب بفعل دل عليه مصدر اعني قوله موعدا لا به لانه
موصوف والمصدر موصوف لا يعمل فيما بعد وصفه لئلا يلزم الفصل بينه و
بين معموله بالوصف وقد قرئ في السبعة سوى بضم السين وكسرها وقال
ابو عبيدة بضم اوله وبكسره كعدى وعدى ومعنى النصف والوسط **يبسا**
يابسا اشار به الى ما في قوله تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف
دركا ولا تخشى وفسر قوله يبسا بقوله يابسا وفي تفسير النسفي يبسا مصدر
وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كالعدم والعدم ومن
ثمه وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس اذا جف لبنها
وقوله تعالى فاضرب لهم طريقا اي فاجعل لهم من قولهم ضرب له من ماله
سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله وقوله لا تخاف دركا حال من
المأمور اي آمنا من ان يدرككم العدو وقوله ولا تخشى عطف عليه وقد
وصله الفريابي من طريق ابن ابي نجيح عن مجاهد **من زينة القوم الحلي**
الذي استعاروه من آل فرعون اشار به الى ما في قوله تعالى ولكنا
حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامري وفسر
زينة القوم بقوله الحلي الذي استعاروه من آل فرعون وقد وصله الفريابي
من طريق ابن ابي نجيح عن مجاهد في قوله ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم
اي الحلي الذي استعاروا من آل فرعون وهي الاثقال اي الاوزار وروى الطبري
من طريق ابن زيد قال الاوزار الاثقال وهي الحلي الذي استعاروه من
آل فرعون وليس المراد بها الذنوب وقال النسفي احمالا من حلي القبط التي
استعاروها منهم حين هموا بالخروج من مصر باسم العرس وفي تفسير النسفي
اثاما ان حملنا اثاما من حلي القوم لانهم استعاروها ليتزينوا في عيد كان لهم ثم
لم يردوها عليهم عند خروجهم من مصر مخافة ان يعلموا بخروجهم فحملوها وقيل هي
ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها آثام

قال

قال الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن
101 ان يأخذ مال الحربي وروى الطبري من طريق قتادة قال كان الله وقت
لموسى عليه السلام ثلثين ليلة ثم اتمها بعشر فلما مضت الثلثون قال
السامري لبني اسرائيل انما اصابكم الذي اصابكم عقوبة بالحلي الذي كان
معكم وكانوا قد استعاروا ذلك من آل فرعون فصاروا واوهي معهم فقذ
فوها اليه السامري فصورها صورة بقرة وكان قد صر في ثوبه قبضة من
اثر حافر فرس جبرئيل عليه السلام فقذفها مع الحلي في النار فاخرج عجلا يخور
فقذفتها القيتها فسر قوله فقذفتها بقوله القيتها وفي رواية الكشميهني
فقذفناها القيناها وهو مطابق للقرآن قال الحافظ العسقلاني وصله
الفريابي من طريق ابن ابي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى فقبضت قبضة من
اثر الرسول فقذفتها قال القيتها انتهى هذا سهو والصواب لكنا
حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها واما قوله تعالى فقبضت
قبضة من اثر الرسول فوقع بعده فنبذتها دون فقذفناها **القى صنع**
يعني القى السامري ما كان معه من الحلي وقيل ما كان معه من تراب حافر
فرس جبرئيل عليه السلام حين ارسل اليه ليذهب الى الطور واراد بقوله
صنع اخرج لهم عجلا جسدا له خوار قاله العيني قلت امثل وكان ذلك التراب
لا يخالطه شيء الا غيره من الكرامة التي خصها الله بروح القدس عند القائه
التراب قال كن عجلا جسدا له خوار وكان ممن يعبدون البقر **فنسي موسى**
هم يقولون اخطأ الرب اشار به الى ما في قوله تعالى فقالوا هذا الهكم
واله موسى فنسي وصله الفريابي عن مجاهد كذلك وقوله هم يقولون اي
السامري ومن معه يقولون اخطأ موسى الرب حيث تركه هنا وذهب
الى الطور يطلبه روى الطبري من طريق السدي قال لما خرج العجل وخار قال
لهم السامري هذا الهكم واله موسى فنسي اي فنسي موسى وضل ومن طريق
قتادة نحوه قال نسي موسى ربه ومن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس
رضي الله عنهما فنسي اي السامري نسي ما كان عليه من الاسلام وترك ما

كان عليه من اظهار الايمان وكان ذلك من الشيطان وقيل فنسي موسى
ان يخبركم ان هذا الهه ان لا يرجع اليهم قولا في العجل اشارة الى ما في قوله تعالى
افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا افلا يعلمون اي انه مرى واتباعه انه لا
يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا اي ولا يقدر
على انفعهم ولا اضرارهم وقوله في العجل يعني بذلك ان ضمير لا يرجع الى العجل
تنبيه لم يصنف رحمه بهذه التفاسير بما جرى لموسى عليه السلام في خروجه
الى مدين ثم في رجوعه الى مصر ثم في اخباره مع فرعون ثم في غرق فرعون
ثم في ذهابه الى الطور ثم في عبادة بني اسرائيل العجل كانه لم يثبت عنده في
ذلك من مرفوعات ما هو على شرطه والله تعالى اعلم حدثنا هدبة بضم الهاء
وسكون المهملة وبالموحدة بن خالد القيسي قال اخبرنا همام اخبرنا قتادة
عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به حتى اتى السماء الخامسة فاذا
هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح
والنبي الصالح هذه قطعة من حديث الاسراء مطول مضى غير مرة من طريق
قتادة عن انس عن مالك بن صعصعة وسياتي تمامه في السيرة النبوية
ان شاء الله تعالى واقتصر منه هنا على ذلك لاجل ذكر هرون عليه السلام تابعه
اي تابع قتادة في رواية هذا الحديث عن انس رضي الله عنه ثابت اي البناني
بضم الموحدة وبالنونين وعباد بفتح المهملة وتشديد الموحدة ابن ابي
علي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان متابعتهما له عن انس
رضي الله عنه انما هي في ذكر هرون عليه السلام في السماء الخامسة لا في جميع الحديث
ولا في الاسناد ايضا فان رواية ثابت موصولة في صحيح مسلم من طريق حماد
بن سلمة عنه وليس فيها ذكر مالك بن صعصعة بل المذكور فيها ذكر هرون في
السماء الخامسة واما متابعة عباد فرواها عنه هشام الدستوائي وحماد بن زيد
وغيرهما ولم يذكروا مالك بن صعصعة وليس لعباد ذكر في البخاري الا في هذا
الموضع وقد وافق ثابتا في انه لم يذكر انس فيه شيخا عباد المذكور وشريك

عن انس في ذلك هرون في الخامسة واما الزهري فقال عن انس عن
ابي هريرة رضي الله عنه كما مضى في اول الصلوة ولم يذكر في حديثه هرون
اصلا باب وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه الى من هو مسرف
كذاب هكذا وقعت هذه الترجمة بغير حديث فكانه اخلى بياضا في الاصل
ليذكر فيها حديثا ولم يظفر به على شرطه فبقيت هكذا ووقع في رواية النسفي هذا
مضموما اليه ما في الباب الذي بعده وهو خبر متجه والاية في سورة المؤمن
قال الله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه وقيل من
متعلق بقوله يكتم ايمانه والرجل قد اختلف في اسمه فقيل يوشع بن نون
وبه جزم ابن التين وهو بعيد لان يوشع من ذرية يوسف عليه السلام
ولم يكن من آل فرعون والصحيح ان المؤمن المذكور من آل فرعون وقد استدل
الطبري بانه لو كان من بني اسرائيل لم يصغ فرعون الى كلامه ولم يستمع منه
وقيل اسمه شمعان بالشين المعجمة قال الدارقطني في المؤتلف لا يعرف شمعان
بالشين المعجمة الا هذا وقيل حابوت قيل وهو الذي التقطه اذ كان في التابوت
وعن الطبري جبر وقيل حزقيل وعليه اكثر العلماء وعن ابن اسحق حبيب
وهو ابن عم فرعون اخرجه عبد بن حميد وقال مقاتل كان قبطيا يكتم
ايمانه من فرعون مائة سنة وكان له الملك بعد فرعون وكان على بقية
من دين ابراهيم عليه السلام وقال ابن خالويه لم يؤمن من اهل مصر
الا اربعة آسية وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم بنت ناموسى التي دلت
على عظام يوسف عليه السلام وماشطة اتقتلون رجلا اتقصدون
قتله والهمزة فيه للاستفهام الانكاري ان يقول اي لان يقول او وقت ان
يقول من غير روية وتامل في امره ربي الله وحده وهو في الدلالة على الحصر
مثل صديقي زيد في كون الطرفين معرفة وقد جاءكم بالبينات المتكثرة
على صدقه من المعجزات والاستدلالات من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات
احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم اخذهم بالاحتجاج من
باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج

في دفعه الا قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم اي فلا اقل من
ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب
ولذلك قدم كونه كاذبا او يصيبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده
كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم ان الله لا يهدي من هو مسرف باظهار
الفساد في الارض كما زعم فرعون كذاب احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما
انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات
وثانيهما ان من خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول
وخيل اليهم الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا
يهديه الله سبيل الصواب وسبيل النجاة باب قول الله تعالى وهل اتاك حديث
موسى اي اما قوله تعالى او اجد على النار هدى وقد مر الكلام فيه عن قريب
وكلم الله موسى تكليما قال الله تعالى ورسلا نصب على تقدير قصصنا رسلا
وقوله قد قصصناهم مفسر له عليك من قبل اي من قبل هذه السورة او اليوم
ورسلا لم نقصصهم عليك اي لم نسمهم ولم نذكرهم لك وكلم الله موسى تكليما
قال ابن رضي الله عنهم لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم امر النبيين و
لم يبين امر موسى عليه السلام شكوا في نبوته فانزل الله تعالى منهم من
كلم الله وكلم الله موسى حقيقة لا كما زعمت القدرية ان الله خلق كلاما في
شجرة فسمعه موسى عليه لانه لا يكون ذلك كلام الله ولو كان من غير
التاكيد لاحتمل ما قالوا لان افعال المجاز لا تؤكد بذكر مصادرها لا يقال اراد
الجدار ان يسقط ارادة وعلم موسى انه كلام الله لانه كلام معجز الخلق ان
ياتوا بمثله وقال ابن مردويه باسناده من طريق الضحاك عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال ان الله ناجى موسى عليه السلام بمائة الف كلمة واربعين
الف كلمة في ثلثة ايام كلها وصايا فلما سمع موسى كلام الادميين مقتهم مما
وقع في مسامعه كلام الرب وفي اسناده جويبر وهو ضعيف والضحاك لم
يدرك ابن عباس رضي الله عنهما وقال القاضي وهو بعض التكليم منتهى مراتب
الوحي خص به موسى عليه السلام من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه

وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم وزاد من قال لكل نبي في الانام
فضيلة وجملتها مجموعة في محمد حدثنا ابراهيم بن موسى قال اخبرنا هشام بن
يوسف قال اخبرنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة
رضي الله عنه انه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري بي رايت موسى
صد مراة واذا هو رجل بضم الجيم قال الطيبي لعل ارواحهم مثلت له صلى الله
بهذه الصور ولعل صورهم كانت كذلك او صور ابدانهم كوشفت له
في نوم او يقظة ضرب بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء وبالموحدة اي نحيف
خفيف اللحم رجل بكسر الجيم اي دهين الشعر مسترسله ضد الجعد يقال رجل شعره
اي سرحه وارسله وقال ابن السكيت شعر رجل بكسرها وفتحها اذا لم يكن
شديد الجعودة ولا سبطا كانه من رجال شنوءة بفتح الشين المعجمة وضم
النون وفتح الهمزة ثم هاء تانيث حي من اليمن ينسبون الى شنوءة وهو عبد الله
بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الازد ولقب بشنوءة لشنآن
كان بينه وبين اهله والنسبة اليه شنوئي بالهمز بعد الواو وبالهمز بغيرها و
وقال ابن السكيت ازد شنوة بالتشديد غير مهموز وينسب اليها شنوي
ورايت عيسى فاذا رجل ربعة بفتح الراء وسكون الموحدة ويجوز فتحها لا طويل
ولا قصير وانث بتاويل النفس احمر كانما خرج من ديماس بكسر المهملة وسكون
التحتية وبالمهملة قال الكرماني السرب وقيل الكن اي كانه مخدر
لم ير شمسا وهو في غاية الاشراق والنضارة وقيل الحمام وقيل لم يكن له
يومئذ ديماس وانما هو من علامات نبوته وانا اشبه ولد ابراهيم به
وسقط في رواية لفظ به والمراد ذلك وههنا ثلثة تشبيهات كلها
للبيان لكن الاول لمجرد البيان والاخران للبيان مع تخطيط تشبيه في مقام
المدح وقال الداودي في تشبيه موسى عليه السلام يعني في الطول وقال
الجواز ما ادري ما اراد البخاري بذلك انه روى في صفته بعد هذا
خلاف هذا المقال فقال واما موسى فادم جسيم كانه من رجال الزط
وقال العيني روى البخاري من حديث مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت موسى وعيسى وابراهيم
السلام فاما عيسى فاحمر جعد عريض الصدر واما موسى فادم جسيم سبط
كانه من رجال الزط قال وليس فيه اشكال لانه صلى الله عليه وسلم شبه موسى
عليه السلام في حديث الباب وهو حديث ابي هريرة رضي الله عنه بقوله كانه
من رجال شنوءة يعني في الطول وشبهه في حديث ابن عمر رضي الله عنهما
بقوله كانه من رجال الزط يعني في الطول ايضا لان الزط جنس من
السودان والهنود طوال ثم اتيت على البناء للمفعول باناءين في
احدهما وفي الاخر خمر فقال اشرب ايهما شئت فاخذت اللبن فشربته
فقيل اخذت الفطرة اي الاستقامة اي اخترت علامة الاسلام وجعل
اللبن علامة لكونه سهلا طيبا طاهرا سائغا للشاربين سليم
العاقبة اما لو انك اخذت الخمر غوت امتك فان الخمر ام الخبائث وجالبة
لانواع الشر في الحال والمآل ويروى هديت الفطرة وقال الطيبي اي الفطرة
الاصلية التي فطر الناس عليها وجعل اللبن علامة لذلك لانه من اصلح
الاغذية واول ما حصلت به التربية ومطابقته الحديث للترجمة في قوله
رايت موسى وقد اخرجه مسلم في الايمان والترمذي في التفسير حدثنا محمد
بن بشار قال اخبرنا غندر بضم الغين المعجمة وسكون النون وفتح الدال
المهملة وهو محمد بن جعفر وقد تكرر ذكره عن شعبة عن قتادة انه قال
سمعت ابا العالية هو الرياحي بكسر الراء وتخفيف التحتانية ثم مهملة واسمه
رفيع بالفاء مصغرا وروى عن ابن عباس آخر يقال له ابو العالية ايضا
واسمه زياد بن فيروز وقيل غير ذلك ويعرف بالبراء بالتشديد لنسبته الى بري
السهام وحديثه عن ابن عباس رضي الله عنهما سبق في تقصير الصلوة قال
ابو داود ولم يسمع قتادة من ابي العالية الا ثلثة احاديث وهذا احدها وقال
في موضع آخر قال شعبة انما سمع قتادة من ابي العالية اربعة احاديث
حديث يونس بن متى وحديث ابن عمر في الصلوة وحديث القضاة ثلثة
وحديث ابن عباس شهد عندي رجال مرضيون قال اخبرنا ابن عم نبيكم

صلى الله عليه وسلم انه قال لا ينبغي لاحد ويروى لعبد ان يقول انا خير
من يونس بن متى ونسبه الى ابيه ويونس فيه ستة اوجه ومتى بفتح الميم و
تشديد المثناة الفوقية وبالالف وهو اسم ابيه وفي جامع الاصول قيل
هو اسم امه وقيل لم يشتهر نبي باسم امه غير يونس والمسيح عليهما السلام وقال الثعلبي
وكان متى رجلا صالحا من اهل بيت النبوة فلم يكن له ولد ذكر فقام الى
العين التي اغتسل فيها ايوب عليه السلام فاغتسل هو وزوجته منها
وصليا ودعوا الله ان يرزقهما رجلا مباركا فبعثه الله في بني اسرائيل
فاستجاب الله دعاءهما ورزقهما يونس وتوفي متى ويونس في بطن امه
وله اربعة اشهر وقد قيل انه بني اسرائيل وانه من سبط بنيامين وقال
الكرماني وهو ذو النون ارسله الله الى اهل موصل وذهب قوم الى ان
نبوته بعد خروجه من بطن الحوت قالت العلماء باخبار القدماء كان
يونس من اهل قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون
الاصنام وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه بعث الله يونس بن متى
الى قومه وهو ابن ثلثين سنة فاقام فيهم يدعوهم الى الله ثلثا وثلثين
سنة فلم يؤمن به الا رجلان احدهما روبيل وكان عالما حكيما والآخر تنوخا
وكان زاهدا عابدا وقال الخطابي معنى قوله لا ينبغي الخ ليس لاحد ان
يفضل نفسه على يونس ويحتمل ان يراد ليس لاحد ان يفضلني عليه قال وهذا
منه صلى الله عليه وسلم على مذهب التواضع والهضم من النفس وليس
مخالفا لقوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم لانه لم يقل ذلك مفتخرا
ولا متطاولا به على الخلق وانما قال ذلك ذاكرا للنعمة ومعترفا بالمنة واراد
بالسيادة ما يكرم به في يوم القيمة وقيل قال ذلك قبل الوحي بانه سيد الكل
وخيرهم وافضلهم وقيل قاله زجرا عن توهم حط مرتبته لما في القرآن
من قوله ولا تكن كصاحب الحوت وهذا هو السبب في تخصيص يونس عليه
عليه السلام بالذكر من بين سائر الانبياء عليهم السلام وذكر النبي صلى
الله عليه وسلم ليلة اسري به وفي رواية الكشميهني ليلة اسري بي على

بحكايته فقال موسى آدم اى اسمر طوال بضم الطاء وتخفيف الواو اى
طويل كأنه من رجال شنوءة وزعم ابن التين انه وقع هنا آدم جسيم
طوال قال اى فقط العقلاء ولم ار لفظ جسيم فى هذه الرواية وقال عيسى
ابن مريم جعد اى جعد الشعر والجعودة خلاف السبوطة والسبوطة اكثرها
فى شعور العجم مربوع اى متوسط القامة وذكر مالكا خازن وذكر ايضا
الدجال وهذا الحديث واحد عند اكثر الرواة وجعله بعضهم حديثين احدهما
متعلق بيونس عليه السلام والآخر بالبقية المذكورة ومطابقته للترجمة
موسى عليه السلام وقد اخرجه البخارى فى التفسير والتوحيد ايضا واخرجه
مسلم فى احاديث الانبياء وابو داود فى السنة حدثنا على بن عبد الله
هو ابن المدينى قال اخبرنا سفيان هو ابن عيينة قال اخبرنا ايوب السختيانى
لفظ فارسى معناه بياع الجلود عن ابن جبير بن سعيد هو عبد الله
بن سعيد بن جبير عن ابيه عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله
عليه وسلم لما قدم المدينة وجدهم اى اليهود يصومون يوما يعنى عاشوراء
فقالوا ما هذا فقالوا هذا يوم عظيم وهو يوم نجى الله عز وجل فيه موسى واغرق
آل فرعون فصام موسى شكرا لله فقال صلى الله عليه وسلم انا اولى بموسى منهم
فصامه وامر بصيامه وهذا الحديث قد مضى فى كتاب الصوم فى باب صيام
يوم عاشوراء ومضى الكلام فيه هناك ومطابقته للترجمة ظاهرة باب قول
الله عز وجل وواعدنا موسى ثلثين ليلة الى قوله اول المؤمنين وساق
فى رواية كريمة ما بين الآيتين بتمامهما وهما فى اواسط سورة الاعراف
قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلثين ليلة ذا القعدة واتممناها بعشر من ذى
الحجة روى ان موسى عليه السلام وعد بنى اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم
ان يأتيهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون ويذرون فلما هلك فرعون
سأل ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذى القعدة فلما اتم الثلثين
انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك
فافسدته بالسواك فامره الله تعالى ان يزيد عليه عشرة ايام من ذى الحجة

لذلك وهو معنى قوله واتممناها بعشر وقيل امره ان يتخلى ثلثين بالصوم
والعبادة ثم انزل عليه التورية فى العشر وكلمه فيها فتم ميقات ربه اربعين
ليلة وميقات ربه ما وقت له من الوقت وضربه له والفرق بين الميقات
والوقت وان كانا من جنس واحد ان الميقات ما قدر ليعمل والوقت
قد لا يقدر ليعمل وقوله اربعين ليلة نصب على الحال اى تم بالغا هذا
العدد وقال موسى لاخيه هرون عطف بيان لاخيه اخلفنى فى قومى
اى كن خليفتى فيهم واصلح ما يجب ان يصلح فى امورهم او ارفق بهم
واحسن اليهم ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد
ولا تطع من دعاك اليه وهذا تنبيه وتذكير والا فهرون عليه السلام نبى
كريم على الله له وجاهة وجلالة ولما جاء موسى لميقاتنا اى الوقت الذى
وقتناه له وحددناه واللام للاختصاص اى اختص مجيئه لوقته و
كلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة روى ان موسى عليه السلام كان
يسمع ذلك الكلام من كل جهة وفيه تنبيه على ان سماع الكلام القديم
ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال رب ارنى انظر اليك اى اخذه
الشوق وطلب الزيادة لما رأى من لطف الله تعالى به فقال رب ارنى انظر
اليك بان تمكننى من رؤيتك او تتجلى لى فانظر اليك واراك قال لن
ترانى اعطى جوابه بقوله لن ترانى يعنى فى الدنيا وقد استشكل حرف لن ههنا
على كثير من الناس لانها موضوعة لتابيد النفى فاستدل به المعتزلة على
نفى الرؤية فى الدنيا والآخرة وهذا ضعيف لانه قد تواترت الاحاديث
عن النبى صلى الله عليه وسلم بان المؤمنين يرونه فى الدار الآخرة وقيل
انها لتابيد النفى فى الدنيا جمعا بين هذه وبين الدليل القاطع على صحة
الرؤية فى الدار الآخرة ولكن انظر الى الجبل فان استقر اى الجبل مكانه فسوف
ترانى استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه والجبل هو اعظم جبل
بمدين قاله الكلبى يقال له زبير يعنى اجعل بينى وبينك علما هو اقوى منك
يعنى الجبل فان استقر مكانه وسكن ولم يتضعضع فسوف ترانى وان

لم يستقر فلن تطيق وفي تعليق الرؤية بالاستقرار دليل الجواز ضرورة ان
المعلق على الممكن ممكن فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره
وامره وقيل اعطى له حيوة ورؤية حتى رآه وقال ابن عباس رضي الله
عنهما هو ظهور نوره جعله دكا مدكوكا مسحقا والدك والدق اخوان
كالشك والشق وقال ابن عباس رضي الله عنهما ترابا وقال سفين الثوري
ساخ الجبل في الارض حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه وعن ابي بكر الهذلي
جعله دكا انقعر فدخل تحت الارض فلا يظهر الى يوم القيمة وفي تفسير ابن
كثير وجاء في بعض الاخبار انه ساخ في الارض فهو يهوي فيه الى يوم القيمة
رواه ابن مردويه وقال ابن ابي حاتم باسناده عن انس بن مالك عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله للجبل طارت لعظمته ستة اجبل فوقعت
ثلثة بالمدينة وثلثة بمكة فالتي بالمدينة احد وورقان ورضوى
ووقع بمكة حراء وثبير وثور قال ابن كثير هذا حديث غريب بل منكر و
قال ابن ابي حاتم ذكر عن عروة بن رويم قال كانت الجبال قبل ان تجلى
الله لموسى عليه السلام على الطور صما ملسا فلما تجلى تفطرت الجبال فصارت
الشقوق والكهوف وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما راى
وعن قتادة وقع ميتا فلما افاق بعض من غشيته وعلى قول مقاتل ردت عليه
روحه قال سبحانك تبت اليك اي من الاقدام والجراة على السوال بغير
اذن وقيل المراد من التوبة الرجوع الى الله تعالى لا عن ذنب سبق وقيل
انما قال ذلك على جهة التسبيح وهو عادة المؤمنين عند ظهور الايات
الدالة على عظم قدرته وانا اول المؤمنين اي من امته لان ايمان كل نبي
متقدم على ايمان امته وقيل اي بانك لا ترى في الدنيا وقيل ممن ندم باستعظام
سوال الرؤية والله اعلم يقال دكه زلزله ذكر هذا لقوله تعالى جعله دكا وفسره
بقوله زلزله والدك مصدر جعل صفة يقال ناقة دكاء اي ذاهبة السنام
مستو ظهرها وقال ابو عبيدة جعله دكا اي مستويا مع وجه الارض فدكتا
فدككن جعل الجبال كالواحدة اشار بقوله فدكتا الى ما في قوله تعالى وحملت

الارض فدكتا دكة واحدة وكان القياس ان يقول فدككن بالجمع لان
106 الجبال جمع والارض في حكم الجمع ولكن جعل كل جمع منهما كواحدة فلذلك
قيل دكتا بالتثنية والاية في سورة الحاقة قال الله تعالى وحملت الارض
والجبال اي رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة
او ريح عاصفة فدكتا دكة واحدة فضرب الجملتان بعضها ببعض ضربة
واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج
فيها ولا امت لان الدك سبب للتسوية كما قال عز وجل ان السموات
والارض كانتا رتقا ولم يقل كن رتقا ملتصقتين ذكره تنظيرا لما قبله ولذا
قال كما قال بالكاف التشبيه فان القياس فيه كان ان يقال كن رتقا
لان السموات جمع والارض في حكم الجمع ولكنه جعل كل واحد منهما كواحدة
فقيل كانتا بلفظ التثنية ولم يقل كن بلفظ الجمع وقوله ملتصقتين تفسير
لقوله رتقا واغرب الحافظ العسقلاني حيث قال ذكر هذا استطرادا اذ لا
تعلق له بقصة موسى عليه السلام وكذا قوله رتقا ملتصقتين وقال
ابو عبيدة رتقا ليس فيهما ثقب ثم فتق الله السماء بالمطر وفتق الارض
بالشجر واشربوا الثوب مشرب مصبوغ اشار به الى ما في قوله تعالى واشربوا
في قلوبهم العجل واشار بقوله ثوب مشرب مصبوغ الى ان معنى قوله
اشربوا ليس من شرب الماء بل معناه مثل معنى قولهم ثوب مشرب
اي مصبوغ يعني اختلط بقلبهم حب العجل كما تختلط الصبغ بالثوب ويجوز
ان يكون بمعنى ان حب العجل حل محل الشراب في قلوبهم وعلى التقديرين
المراد المبالغة في حبهم العجل وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل
منهم الا اثنا عشر الفا وفي قوله واشربوا في قلوبهم العجل فيه حذف مضاف
اي حب العجل ومن قال ان العجل احرق ثم ذري في الماء فشربوه فهو لم يعرف
كلام العرب لانها لا تقول في الماء اشرب فلان في قلبه قال ابن عباس رضي
الله عنهما انبجست انفجرت اشار به الى ما في قوله تعالى فانبجست منه اثنتا
عشرة عينا والفاء فيه تتعلق بمحذوف تقديره فضرب فانبجست وهذه

الغاية التي هي فصيحة ولا تقع الا في كلام بليغ وقد وصله ابن ابي حاتم من طريق
علي بن ابي طلحة عنه كذلك نتقنا رفعنا اشار به الى ما في قوله واذ نتقنا الجبل
فوقهم كانه ظلة وفسر قوله نتقنا بقوله رفعنا وقد وصله ابن ابي حاتم من
طريق علي بن ابي طلحة عنه ايضا كذلك ويقال معناه قلعنا ورفعناه فوقهم
كما في قوله تعالى ورفعنا فوقهم الطور وقوله كانه ظلة هو كل ما اظلك من
سقيفة او سحاب وقصته ان موسى عليه السلام لما رجع الى قومه وقد اتاهم
بالتورية الواح ان يقبلوها ويعملوا بما فيها من الآصار والاثقال وكانت
شريعة ثقيلة فامر الله تعالى جبرئيل عليه السلام فقلع جبلا قدر عسكرهم وكان
فرسخا ورفعه فوق رؤسهم مقدار قامة الرجل وكانوا ستمائة الف وقال لهم ان
تقبلوها والا القيت عليكم هذا الجبل وعن ابن عباس رضي الله عنهما رفع
الله فوقهم الطور وبعث نارا من قبل وجوههم واتاهم البحر الملح من خلفهم
حدثنا محمد بن يوسف ابو احمد البخاري البيكندي وهو من افراده قال اخبرنا
سفيان هو ابن عيينة عن عمرو بن يحيى عن ابيه يحيى بن عمارة بن ابي
حسن المازني الانصاري عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال يصعقون الناس من صعق الرجل اذا غشي
عليه قال تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض اي مات وقال الجوهري
الصعق والصعقة الهلاك والموت ويقال منه صعق الانسان وصعق
بفتح الصاد وضمها وانكر بعضهم الضم وصعقتهم الصاعقة بفتح الصاد و
العين واصعقتهم يوم القيمة فاكون اول من يفيق فاذا انا بموسى اخذ
بقائمة من قوائم العرش فلا ادري افاق قبلي ام جوزي بصعقة الطور
قال القاضي هذا الحديث من اشكل الاحاديث لان موسى عليه السلام
قد مات فكيف تدركه الصعقة وانما تصعق الاحياء ويحتمل ان هذه
الصعقة صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السموات والارض ويؤيده
لفظ يفيق فان الافاقة من الغشي واما الموت فيقال فيه بعث منه وصعقة
الطور لم تكن موتا واما قوله صلى الله عليه وسلم فلا ادري افاق قبلي فيحتمل

انه صلى الله عليه وسلم قبل ان يعلم انه اول من تنشق الارض عنه ان كان
هذا اللفظ على ظاهره وان نبينا صلى الله عليه وسلم اول شخص ممن تنشق
عنهم الارض فيكون موسى عليه السلام من زمرة الانبياء عليهم السلام انتهى
والحاصل ان الافاقة غير الانشقاق والصعقة تكون حين ينفخ في الصور
النفخة الاولى وقال الداودي قوله فاكون اول من يفيق ليس بمحفوظ واضطربت
الرواية في هذا الحديث وقيل من يسلم منهم من الوهم والصحيح فاكون اول من
تنشق عنه والانشقاق غير الافاقة وقد مضى الحديث فيما سبق ومطابقته
للترجمة في قوله فاذا انا بموسى حدثنا عبد الله بن محمد الجعفي اخبرنا عبد
الرزاق اخبرنا معمر عن همام بن منبه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية رسول الله صلى الله عليه وسلم
لولا بنو اسرائيل لم يخنز بالمعجمة وفتح النون اي لم ينتن اللحم ولولا حواء لم تخن
انثى زوجها الدهر قد مضى هذا الحديث في باب قول الله تعالى واذ قال للملائكة
اني جاعل في الارض خليفة ومطابقته للترجمة في ذكر بني اسرائيل باب
هكذا وقع بغير ترجمة وهو كالفصل من الباب الذي قبله وتعلقه به ظاهر
وسقط جميعه من رواية النسفي طوفان من السيل اشار به الى ما في قوله تعالى
فارسلنا عليهم الطوفان قد اختلفوا في المراد من الطوفان فقال البخاري
هو من السيل يكون من المطر الغالب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال
الطوفان كثرة الامطار المغرقة المتلفة للزروع والثمار وبه قال الضحاك
وعنه كثرة الموت وبه قال عطاء وقال مجاهد الطوفان الماء والطاعون
وروى ابن جرير باسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الطوفان الموت وكذا رواه ابن مردويه وعن ابن عباس
رضي الله عنهما في رواية اخرى هو امر من امر الله طاف بهم ويقال للموت
الكثير طوفان يراد به الموت المتتابع الذريع القمل الحمنان يشبه صغار الحلم
اشار به الى ما في قوله تعالى في الآية المذكورة والقمل وفسره بقوله الحمنان
بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وبالنونين قراد يشبه صغار الحلم بفتح الحاء

مهملة واللام وهو جمع حملة وهو القراد العظيم وقال ابو عبيدة القمل عند العرب
هي الحمنان قال الاثرم الراوي عنه والحمنان ضرب من القردان وقيل هي اصغر
وقيل الكبر وعن ابن عباس رضي الله عنهما القمل السوس الذي يخرج من الحنطة
وعنه انه الدبا بالفتح مهملة وتخفيف موحدة مقصورا وهو الجراد الصغار التي لا
اجنحة لها وبه قال عكرمة وقتادة وعن الحسن وسعيد بن جبير القمل دواب سود
صغار وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم القمل البراغيث وقال ابن جرير القمل
جمع واحدة قملة وهي دابة تشبه القمل وفي تفسير القاضي فارسلنا عليهم الطوفان
ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل الموتان
وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هي كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل
نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة
لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم و
كانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم
فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام عليهم ذلك اسبوعا فقالوا لموسى
عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم
ونبت لهم من الكلاء والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم
الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب
ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب
فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه
وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع
عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث
لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب
الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم
العهود فدعا فكشف الله ونقضوا العهد ثم ارسل عليهم الدم فصارت
مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما
وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص ماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط

عليهم الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا تشكل على عاقل انها
آيات الله ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل
اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى عليه
السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات
على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين حقيق حق اشار به
الى ما في قوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق هذا على قراءة التشديد
في علي كما هي قراءة نافع ومن خففه فمعنى حقيق محق وقال ابو عبيدة
حريص سقط في ايديهم كل من ندم فقد سقط في يده اشار به الى ما في
قوله تعالى ولما سقط في ايديهم وفسره بقوله كل من ندم فقد سقط في يده
على صيغة المجهول قال القاضي كناية عن اشتد ندمهم فان النادم المتحسر
يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها حديث الخضر مع موسى عليهما السلام
في رواية وقع لفظ باب بغير ترجمة الصغاني وارتفاع حديث على انه خبر
مبتدا محذوف تقديره هذا حديث الخضر وعلى تقدير وجود لفظ باب
يجوز ان يكون مجرورا باضافة باب اليه حدثنا عمرو بن محمد اي ابن بكير
الناقد ابو عثمان البغدادي مات بها سنة اثنتين وثلثين ومائتين
قال اخبرنا يعقوب بن ابراهيم قال اخبرنا ابي هو ابراهيم بن سعد بن
ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي المدني وكان ابراهيم
بالعراق قاضيا عن صالح هو ابن كيسان عن ابن شهاب الزهري ان
عبيد الله بن عبد الله اي ابن عتبة اخبره عن ابن عباس رضي الله
عنه انه تمارى هو والحر بن قيس الفزاري في صاحب موسى عليه السلام قال ابن
عباس رضي الله عنهما هو خضر فمر بهما ابي بن كعب رضي الله عنه فدعاه ابن
عباس رضي الله عنهما فقال اني تماريت اي جادلت انا وصاحبي هذا في
صاحب موسى الذي سأل موسى السبيل الى لقيه هل سمعت ويروى
فهل سمعت بالفاء رسول الله صلى الله عليه يذكر شانه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا موسى في ملا من بني اسرائيل جاءه رجل

فقال هل تعلم احدا اعلم منك قال لا فاوحى الله الى موسى بلى عبدنا خضر
موسى السبيل اليه فجعل له الحوت اية وقيل له اذا فقدت الحوت فارجع فانك
ستلقاه فكان يتبع الحوت في البحر ويروى يتبع اثر الحوت فقال لموسى فتاه
ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان
اذكره قال موسى ذلك ما كنا نبغ فارتدا على اثارهما قصصا فوجدا خضرا فكان من
شانهما الذي قص الله في كتابه والحديث بعينه مر في كتاب العلم في باب ما ذكر
في ذهاب موسى في البحر الى الخضر ومر الكلام فيه مستوفى ومطابقته للترجمة ظاهرة
حدثنا علي بن عبد الله المعروف بابن المديني قال اخبرنا سفيان هو ابن عيينة
قال اخبرنا عمرو بن دينار قال اخبرني بالافراد سعيد بن جبير قال قلت
لابن عباس رضي الله عنهما ان نوفا بفتح النون منصرف غير منصرف البكالي
بكسر الباء الموحدة وتخفيف الكاف وباللام وهم مشهور وقد يقال بفتح الموحدة
وتشديد الكاف نسبة الى بكال بن دعمي بن سعد بن عوف بن عدي بن
مالك بن زيد بن سدد بن زرعة بن سبا يزعم ان موسى صاحب
الخضر ليس هو موسى بن عمران انما هو موسى اخر فقال كذب عدو الله
انما قال ذلك على سبيل التغليظ لا على قصد ارادة الحقيقة قال الكرماني واعلم انه
وقع في القصة نزاعان الاول في صاحب موسى هو الخضر ام لا والثاني في نفس
موسى اهو ابن عمران كليم الله او غيره حدثنا ابي بن كعب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل اي الناس
اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه قال له بلى لي عبد بمجمع البحرين
هو ملتقى بحري فارس مما يلي المشرق وقيل افريقية وقيل طنجة وقيل البحران موسى
والخضر فان موسى كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن هو اعلم منك
قال اي رب ومن لي به اي من يتكفل لي برؤيته وربما قال سفيان اي رب كيف
قال تاخذ حوتا فتجعله في مكتل بكسر الميم هو الزنبيل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم
وربما قال فهو ثمه بالهاء قال التيمي يقال ثم وثمه كلاهما بفتح الثاء اسم يشار به الى
المكان البعيد وقيل هو ثم وقد يلحق بها الهاء عند الوقف واخذ حوتا فجعله في مكتل

ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون حتى اذا اتيا الصخرة وضعا رؤوسهما
فرقد موسى واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا اي
اتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا فامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار مثل
الطاق فقال هكذا مثل الطاق فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما حتى
اذا كان من الغد وجاوزا مجمع البحرين قال لفتاه اتنا غداءنا ما نتغدى به
لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ولم يجد موسى النصب حتى جاوز حيث امره الله
فلما جاوزه وصار الليلة والغد الى الظهر القى عليه الجوع والنصب وقيل
لم يعي موسى عليه السلام في سفر غيره ويؤيده التقييد بقوله هذا قال فتاه
ارايت اذ اوينا اي ارايت ما دهاني اذ نزلنا اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة
التي رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت
اي فقدته او نسيت ذكره بما رايت منه وما انسانيه الا الشيطان ان
اذكره اي ما انساني ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير و
اتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا
وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في اخر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا
من تلك الحال قال له موسى ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ اي نطلب لانه
امارة المطلوب فارتدا على اثارهما قصصا رجعا يقصان اثارهما يعني
رجعا في الطريق الذي جاءا فيه يتبعان اثارهما اتباعا حتى انتهيا الى الصخرة
فاذا رجل مسجى اي مغطى بثوب فسلم موسى فرد عليه فقال وانى للاستفهام
اي من اين بارضك السلام اي في هذه الارض التي انت فيها اذ اهلها
لا يعرفون السلام قال انا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمني
مما علمت رشدا اي علما ذا رشد وهو اصابة الخير قال يا موسى اني على علم من
علم الله علمنيه الله لا تعلمه وانت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه قال
هل اتبعك استفهام بمعنى التقرير قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه
استطاعة الصبر معه على وجوه من التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم و
علل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي وكيف

تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك
وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبر الى قوله امرا يريد به قوله تعالى
قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف
على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد
بالمشية اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر
على خلافه معتاد شديد وخلفه ناسيا لا يقدح في عصمته وفيه دليل على
ان افعال العباد بمشية الله تعالى قال فان اتبعتني فلا تسئلني عن شيء
اي فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث
لك منه ذكرا حتى ابتدئك ببيانه فانطلقا يمشيان على ساحل البحر
يطلبان السفينة فمرت بهما سفينة فحملوه بغير نول اي بغير اجرة فلما ركبا
في السفينة جاء عصفور فوقع على حرف السفينة اي طرفها فنقر في
البحر نقرة او نقرتين قال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا مثل
ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر وهذا التشبيه في الحقارة والقلة
لا المماثلة من كل الوجوه والا فنسبة النقرة الى البحر نسبة متناهي الى
غير متناهي ونسبة علمهما الى علم الله تعالى نسبة المتناهي الى غير المتناهي
وقيل هذا التشبيه على التقريب الى الافهام لا على وجه التحقيق وقيل
نقص بمعنى اخذ لان النقص اخذ خاص اذ اخذ الفاس فنزع لوحا
ويروى فقلع لوحين من الواحها مما يلي الماء قال فلم يفجأ ويروى فلم
يفج بالجيم موسى الا وقد قلع لوحا بالقدوم فقال له موسى ما صنعت
قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها ويروى
فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها لقد
جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك
لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره قبل قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي
نسيته يعني وصيته بان لا يعترض او بشيء نسيته وهو اعتذار بالنسيان
اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع وهو موافق لما

ساقه من قوله فكانت الاولى من موسى نسيانا وقيل اراد بالنسيان
الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقني من
امري عسرا اي ولا تغشني عسرا بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان
ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه
اذا غشيه وارهقه اياه فكانت الاولى من موسى نسيانا فلما خرجا من
البحر مرا بغلام يلعب مع الصبيان اسمه جيسون بفتح الجيم وسكون
المثناة التحتية وضم السين المهملة وبالنون وقال الدارقطني وبالراء
بدل النون فاخذ الخضر براسه فقلعه بيده هكذا واومأ سفيان باطراف
اصابعه كانه يقطف شيئا وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه
فقال له موسى اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي طاهرة من الذنوب
وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول
ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفر
نبه به الى ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف لقد
جئت شيئا نكرا وقرئ بضم الكاف واسكانها وقال في الاول شيئا امرا وهنا شيئا
نكرا لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل قال الم اقل لك انك لن تستطيع
معي صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة
الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول
مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا
تصاحبني اي وان سألت صحبتك قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت
عذرا من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات وعن النبي صلى الله عليه وسلم
رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب
الاعاجيب فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكية وقيل ابلة البصرة
وهي ابعد ارض الله من السماء وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها
فابوا ان يضيفوهما من التضييف اي من الافعال يقال اضافه اذا انزله
به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم

عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض مائلا اي يدانا ان
يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم والنقض
الفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويه
او افعل من النقض فاقامه بيده هكذا واشار سفيان كانه يمسح شيئا
الى فوق وفي رواية اقامه بعمارة او بعمود عمد به وقيل نقضه وبناه قال
علي بن عبد الله شيخ البخاري فلم اسمع سفيان يذكر مائلا الا مرة قال اي
موسى عليه السلام قوم اتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا عمدت الى حائطهم
لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريض على اخذ الجعل لتعيشا به او تعريض
بانه فضول لما في لو من النفي كانه لما راى الحرمان مساس الحاجة واشتغاله
بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من
الاخذ عند البصريين وقرئ في القران لتخذت بالاظهار والادغام
قال هذا فراق بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا
تصاحبني او الى الاعتراض الثالث او الوقت اي هذا الاعتراض سبب
فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر
الى الظرف على الاتساع سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر
الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر قال
النبي صلى الله عليه وسلم وددنا ان موسى كان صبر ويروى يصبر فقص
علينا من خبرهما قال سفيان قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى
لو كان صبر لقص علينا من امرهما ويروى من خبرهما وقرا ابن عباس
رضي الله عنهما امامهم ملك ياخذ كل سفينة صالحة غصبا اشار به الى
قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر لمحاويج وهو
دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا
مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة
زمنى وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اي اجعلها ذات عيب
وكان وراءهم ملك اي قدامهم واشار بقراءة ابن عباس رضي الله عنهما

الى ان وراءهم بمعنى قدامهم فانه يجيء بمعنى خلف ايضا واسم الملك
هداد بن بدد بفتح الهاء وهو حده والمهملتين وقيل بضم الهاء وهو حده
وقيل اسمه جلندي من كركر وكان كافرا ياخذ كل سفينة غصبا اي سفينة
صالحة غير معيبة واليه اشار بقراءة ابن عباس رضي الله عنهما اي ياخذها
من اصحابها غصبا واما الغلام فكان ابواه مؤمنين اي مقرين
بتوحيد الله وهو كان كافرا فخشينا ان يرهقهما اي يغشيهما طغيانا
وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا ويقرن بايمانهما طغيانه وكفره
فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما العلة فيرتدا بضلاله
او بممالاته على طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله اعلمه
وتمام القصة قوله تعالى فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه ان يرزقهما
بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب
رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت
نبيا هدى الله به امة من الامم واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في
المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم وكان تحته كنز لهما من ذهب وفضة
روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب
والفضة لمن لا يؤدي زكوتها وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من
كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب عليه عجبت لمن يؤمن بالقدر
كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن
بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت
لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول
الله وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل
كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وكان سياحا واسمه
كاشح فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي الحلم وكمال الراي ويستخرجا
كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا
لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما

فعلت رحمة من ربك ولعل اسند الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر
للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله
وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له في البلوغ الغلاميين وما فعلته اي و
ما فعلت ما رايته عن امري اي وما فعلته عن رايي وانما فعلته بامر الله عز وجل
وينبني ذلك على انه اذا تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما ذلك
تاويل ما لم تستطع عليه صبرا اي ما لم تستطع فحذف التا تخفيفا ومن فوائد هذه
القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه
وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم
على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه قال علي بن عبد الله
شيخ البخاري ثم قال لي سفيان سمعته منه مرتين وحفظته منه اي من
عمرو بن دينار قيل لسفيان حفظته قبل ان تسمعه من عمرو او تحفظه من انسان
شك علي بن عبد الله يعني قيل لسفيان حفظته او تحفظه من انسان
قبل ان تسمعه من عمرو فقال ممن اتحفظه ورواه همزة الاستفهام فيه
محذوفة اي ارواه احد عن عمرو غيري سمعته منه مرتين او ثلاثا وحفظته
منه وقد مر هذا الحديث في كتاب العلم في باب ما يستحب للعالم اذا سئل الى اخره
ومر الكلام فيه هناك ايضا ومطابقته للترجمة ظاهرة حدثنا محمد بن سعيد
الاصبهاني بكسر الهمزة وفتحها وبالموحدة وفي بعض النسخ بالفا ابو جعفر ويقال
له حمدان الاصبهاني مات سنة عشرين ومائتين قال اخبرنا ابن المبارك هو
عبد الله بن المبارك المروزي عن معمر عن همام بن منبه عن ابي هريرة رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بفتح الفا
قيل هي جلدة وجه الارض جلس عليها الخضر فانبتت وصارت خضراء بعد ان
كانت جرداء وهذا معنى قوله فاذا هي تهتز من خلفه خضراء وقيل ارادته الهشيم
من نبات الارض اخضر بعد يبسه وبياضه ولما اخرج عبد الرزاق في مصنف
هذا الحديث بهذا الاسناد الفروة الحشيش الابيض وما اشبهه وقال عبد الله
بن احمد بعد ان رواه عن ابيه عن عبد الرزاق اظن ان هذا تفسير من عبد الرزاق

112 جزم بذلك القاضي عياض قال الحربي الفروة من الارض قطعة يابسة من
حشيش وهذا موافق لقول عبد الرزاق وعن ابن الاعرابي الفروة ارض
بيضاء ليس فيها نبات وبهذا جزم الخطابي ومن تبعه وحكى عن مجاهد انه
قيل له الخضر لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله والخضر بكسر الضاد واسكانها و
اختلف في اسمه قبل ذلك وفي اسم ابيه وفي نسبه وفي نبوته وفي تعميره فقال
وهب بن منبه هو بليا بفتح الموحدة وسكون اللام وبالمثناة التحتية بن
ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه
السلام فعلى هذا المولد قبل ابراهيم الخليل عليه السلام لانه يكون ابن عم
جد ابراهيم وقد حكى الثعلبي قولين في انه كان قبل الخليل او بعده وقال وهب
وكنيته ابو العباس وقال مجاهد اسمه اليسع بن ملكان الى اخره وقيل ايليا
ملكان الى اخره وقيل خضرون بن عاميل بن يعمر بن عيصو بن اسحق بن
ابراهيم قاله كعب وقال ابن اسحق ارميا بن طيقا من سبط هرون بن
عمران حكاه عن وهب وانكره الطبري وقال ارميا كان في زمن بخت النصر
وبين بخت النصر وموسى زمان طويل وقيل خضرون بن قابيل بن ادم
ذكره ابو حاتم السجستاني وعن اسمعيل بن ابي اويس هو المعمر بن مالك بن
عبد الله بن نصر بن الازد وروى الدارقطني في الافراد من طريق مقاتل
عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال هو ابن ادم لصلبه
وهذا ضعيف منقطع وذكر ابو حاتم السجستاني انه ابن قابيل بن ادم رواه
عن ابي عبيدة وغيره وعن ابن لهيعة كان ابن فرعون وهذا غريب جدا
وقيل ابن بنت فرعون وقال الطبري هو الرابع من ولد ابراهيم لصلبه وقال
مجاهد هو من ولد يافث وكان وزير ذي القرنين وقيل هو من ولد رجل
من اهل بابل ممن امن بالخليل وهاجر معه وقيل هو اخو الياس عليه السلام
وروى هذا ابن عساكر باسناده الى السدي ان الخضر والياس كانا اخوين
وكان ابوهما ملكا وعن سعيد بن المسيب ان ام الخضر رومية وابوه فارسي
رواه الطبري من طريق عبد الله بن شوذب عنه وحكى السهيلي عن قوم

انه كان ملكا من الملائكة وليس من بني ادم وروى الدارقطني من حديث
ابن عباس رضي الله عنهما قال الخضر ابن ادم لصلبه ونسئ له في اجله
حتى يكذب الدجال وقال عبد الرزاق في مصنفه عن معمر في قصة الذي يقتله
الدجال ثم يحييه بلغني انه الخضر وكذا قال ابراهيم بن سفيان الراوي عن
مسلم صحيحه وروى ابن اسحق في المبتدا عن اصحابه ان ادم اخبر بنيه عند الموت
بامر الطوفان واعلمهم بذلك فحفظوه حتى كان الذي تولى دفنه الخضر وروى
خيثمة بن سليمان من طريق جعفر الصادق عن ابيه ان ذا القرنين كان له
صديق من الملائكة فطلب منه ان يدله على شيء يطول به عمره فدله على عين الحيوة
وهي داخل الظلمة فصار اليها وعلى مقدمته الخضر فظفر بها الخضر ولم يظفر بها ذو
القرنين وروى عن مكحول عن كعب الاحبار قال اربعة من الانبيا احيا امان
لاهل الارض اثنان في الارض الخضر والياس واثنان في السما ادريس وعيسى
عليهم السلام وحكى ابن عطية والبغوي عن اكثر اهل العلم انه نبي ثم اختلفوا
هل هو رسول ام لا وقال القرطبي هو نبي عند الجمهور وهو الصحيح لان اشيا في قصته
تدل على نبوته وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان نبيا والاية
تشهد بذلك لان النبي لا يتعلم ممن هو دونه ولان الحكم بالباطن لا يطلع
عليه الا الانبيا وقالت طائفة منهم القشيري هو ولي وعن علي رضي الله عنه
انه كان عبدا صالحا وكان الطبري في تاريخه كان الخضر في ايام افريدون في قول
عامة علما اهل الكتاب الاول وكان على مقدمته ذي القرنين الاكبر واخرج النقاش
اخبارا كثيرة تدل على بقائه لا يقوم بشيء منها حجة قاله ابن عطية قال ولو كان
باقيا لكان في ابتداء الاسلام ظهور ولم يثبت شيء من ذلك وقال الثعلبي هو
معمر على جميع الاقوال محجوب عن الابصار قال وقيل انه لا يموت الا في اخر الزمان
حين يرفع القران وقال ابن الصلاح هو حي عند جمهور العلما والعامة معهم في
ذلك وانما شذ بانكاره بعض المحدثين وتبعه النووي وزاد ان ذلك متفق عليه
بين الصوفية واهل الصلاح وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به اكثر من ان
تحصر انتهى وقال العيني الجمهور خصوصا مشايخ الطريقة والحقيقة وارباب

113 المجاهدات والمكاشفات انه حي يرزق الشاهد في الخلوات وراه عمر بن
عبد العزيز بن ابراهيم بن ادهم وبشر الحافي ومعروف الكرخي وسري السقطي
والجنيد وابراهيم الخواص وغيرهم قدس الله اسرارهم وقال البخاري وابراهيم
الحربي وابن الجوزي وابو جعفر بن المنادي وابو يعلى وابن الفراء وابو طاهر
العبادي وابو بكر بن العربي وطائفة انه مات وعمدتهم الحديث المشهور عن ابن
عمر وجابر وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في اخر حيوته لا يبقى على وجه الارض
بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم احد قال ابن عمر اراد بذلك انخرام قرنه
وقد روى احمد في مسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بقليل او بشهر ما من منفوسة او ما منكم
اليوم من نفس منفوسة ياتي عليها مائة سنة وهي يومئذ حية ومن
حججهم ايضا قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد واجاب الجمهور عن
الاية بانا ما ادعينا انه مخلد وانما يبقى الى انقضاء الدنيا فاذا نفخ في الصور مات
لقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت وعن الحديث بترك الظاهر لان
جماعة عاشوا اكثر من مائة سنة منهم سلمان الفارسي فانه عاش ثلاثمائة
سنة وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي ان ابن حرام عاش
مائة وعشرين سنة وقد قيل انه انما اشار صلى الله عليه وسلم الى ذلك الزمان
لا الى ما تقدم كما اشار اليه ابن عمر رضي الله عنهما بقوله اراد بذلك انخرام قرنه
نعم قد عاش بعد ذلك خلق كثير اكثر من مائة سنة لكن المراد كما عرف انخرام
قرنه صلى الله عليه وسلم فليتامل واجاب بعضهم بان الخضر عليه السلام كان
حينئذ على وجه البحر وقيل هو مخصوص من الحديث كما خص منه ابليس بالاتفاق
ومما احتجوا به على انه غير حي ما اخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي
الله عنهما ما بعث الله نبيا الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي
ليؤمنن به ولينصرنه ولم يات في خبر صحيح انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
ولا قاتل معه وقد قال صلى الله عليه وسلم يوم بدر اللهم ان تهلك هذه العصابة
لا تعبد في الارض فلو كان الخضر حيا لم يصح هذا النفي وقال صلى الله عليه وسلم

رحم الله موسى لوددنا لو كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما فلو كان
الخضر موجودا لما حسن هذا التمني ولأحضره بين يديه وأراه العجائب وكان
ادعى لإيمان الكفرة لاسيما أهل الكتاب ثم جاء في اجتماعه بالنبي صلى الله عليه
وسلم حديث ضعيف أخرجه ابن عدي من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو
بن عوف عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع وهو
في المسجد كلاما فقال يا أنس اذهب إلى هذا القائل فقل له يستغفر لي فذهب إليه
فقال قل له إن الله فضلك على الأنبياء بما فضل رمضان على الشهور قال
فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر إسناده ضعيف ومتنه يشهد على ضعفه
وروى ابن عساكر من حديث أنس رضي الله عنه نحوه بإسناد واه بمرة
وروى الدارقطني في الأفراد من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله
عنهما مرفوعا يجتمع الخضر وإلياس كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما
رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات بسم الله ما شاء الله
الحديث وفي إسناده محمد بن أحمد بن زبد المعجمة ثم موحدة ساكنة
وهو ضعيف وروى ابن عساكر من طريق هشام بن خالد عن الحسن
بن يحيى عن ابن أبي رواد نحوه وزاد ويشربان من زمزم شربة تكفيهما
إلى قابل وهذا معضل ورواه أحمد في الزهد بإسناد حسن عن ابن أبي
رواد وزاد أنهما يصومان رمضان ببيت المقدس وروى الطبري
من طريق عبد الله بن شوذب نحوه وروى عن علي رضي الله عنه أنه دخل
الطواف فسمع رجلا يقول يا من لا يشغله سمع عن سمع الحديث فإذا هو
الخضر أخرجه ابن عساكر من وجهين في كل منهما ضعف وهو في المجالسة
من الوجه الثاني وجاء في اجتماعه ببعض الصحابة فمن بعدهم أخبار أكثرها
واهي الإسناد ومنها ما أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي من حديث أنس رضي
الله عنه لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم دخل رجل فتخطاهم فذكر الحديث
في التعزية فقال أبو بكر وعلي رضي الله عنهما هذا الخضر وفي إسناده عباد
بن عبد الصمد وهو واه وروى سيف في الردة نحوه بإسناد آخر مجهول وروى

ابن أبي حاتم من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن علي رضي الله عنه نحوه وروى
ابن وهب من طريق ابن المنكدر أن عمر رضي الله عنه صلى على جنازة فسمع
قائلا يقول لا تسبقنا فذكر القصة فيها أنه دعا للميت فقال عمر خذوا الرجل
فتوارى عنهم فإذا أثر قدمه ذراع فقال عمر رضي الله عنه هذا والله الخضر وفي
إسناده مجهول مع انقطاعه وروى أحمد في الزهد من طريق مسعر عن معن
بن عبد الرحمن عن عون بن عبد الله قال بينا رجل بمصر في فتنة ابن الزبير
مهموما إذ لقيه رجل فعرف له فأخبره بما به مما فيه الناس من الفتن فقال
قل اللهم سلمني وسلم مني قال فقالها فسلم قال مسعر يرون أنه الخضر وروى
يعقوب بن سفيان في تاريخه وأبو عوانة من طريق رياح بالتحتانية
ابن عبيدة قال رأيت رجلا يماشي عمر بن عبد العزيز معتمدا على يديه فلما
انصرف قلت له الرجل قال أرأيته قلت نعم قال أحسبك رجلا صالحا ذاك
أخي الخضر بشرني أني سألي وأعدل لا بأس برجاله قال الحافظ العلائي ولم يقع
لي إلى الآن خبر ولا أثر بسند جيد غيره وهذا لا يعارض الحديث الأول في مائة
سنة فإن ذلك كان قبل المائة وروى ابن عساكر من طريق كرز بن وبرة
قال أتانا أخ لنا من أهل الشام فقال أقبل مني هذه الهدية أن إبراهيم التيمي
حدثني قال كنت جالسا بفناء الكعبة أذكر الله فجاءني رجل فسلم علي فلم أر وجها
أحسن منه ولا أطيب ريحا منه فقلت من أنت قال أنا أخوك الخضر قال فعلمه
شيئا إذا فعله رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وفي إسناده مجهول و
ضعيف وروى ابن عساكر في ترجمة أبي زرعة الرازي بسند صحيح أنه رأى
وهو شاب رجلا نهاه عن غشيان أبواب الأمراء ثم رآه بعد أن صار شيخا
كبيرا على حالته الأولى فنهاه عن ذلك أيضا قال فالتفت لأكلمه فلم أره فوقع
في نفسي أنه الخضر وروى عمر الحجي في فوائده والفاكهي في كتاب مكة فيه مجهول عن
جعفر بن محمد أنه رأى شيخا كبيرا يحدث أباه ثم ذهب فقال له أبوه رده
علي قال فطلبته فلم أقدر عليه فقال له أبوه ذاك الخضر وروى البيهقي من طريق
الحجاج بن فرافصة أن رجلين كانا يتبايعان عند ابن عمر رضي الله عنهما

فقام عليهم رجل فيها بما عن الحلف بالله ووعظهم بموعظة فقال ابن
عمر رضي الله عنهما لاحد بما اكتبها منه فاستعاده حتى حفظها ثم تطلبه
فلم يره فقال فكانوا يرون انه الخضر والله تعالى اعلم ومطابقة الحديث
للترجمة من حيث انه ذكر فيه الخضر وهو صاحب موسى عليه السلام باب
وقع هكذا بغير ترجمة في رواية ابي ذر وغيره وهو كالفصل من الذي قبله
وقد مر نحو هذا غير مرة حدثنا اسحق بن نصر بسكون الصاد المهملة هو
اسحق بن ابراهيم بن نصر السعدي البخاري اخبرنا عبد الرزاق عن معمر
عن همام بن منبه انه سمع ابا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب اراد به باب القرية
التي ذكره الله تعالى في قوله واذ قلنا ادخلوا هذه القرية وعن عكرمة
عن ابن عباس رضي الله عنهما كان الباب قبل الكعبة وعن مجاهد و
السدي وقتادة والضحاك هو باب الحطة من باب ايليا من بيت المقدس
وقال ابن العربي ان القرية في الاية بيت المقدس وقال السهيلي هي اريحا
وقيل مصر وقيل بلقاء وقيل الرملة والباب الذي امروا بدخوله هو الباب
الثامن من جهة القبلة سجدا قال ابن عباس رضي الله عنهما اي منحنين
ركوعا وقيل خضوعا وشكرا لتيسير الدخول وانتصاب سجدا على الحال وليس
المراد منه حقيقة السجدة وانما معناه ما ذكر وقولوا حطة اي مغفرة قاله ابن
عباس رضي الله عنهما او لا اله الا الله قاله عكرمة اي حط عنا ذنوبنا قاله الحسن
او اخطانا فاغفر فا وارتفاعه على انه خبر مبتدا محذوف تقديره امرك حطة
او مسالتك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة فبدلوا فدخلوا يزحفون بالحاء
المهملة على استاههم جمع سته وهو الاست يعني انهم امروا ان يدخلوها بالسجود
عند الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا وتنحنيا ومطامنين لدخولهم
بخشوع واخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوها ودخلوا
متزحفين على استاههم وفي رواية الكشميهني فدخلوا يزحفون على اوراكهم
وقالوا حبة في شعرة بحبة بفتح الحاء والتشديد بموحدة وهذا كلام مهمل وغرضهم

مخالفة ما امروا به من الكلام المستلزم للمغفرة وحط العقوبة عنهم فلما عصوا
عاقبهم الله بالرجز وهو الطاعون هلك منهم في ساعة واحدة اربعة و
عشرون الفا وقيل سبعون الفا ومطابقة الحديث للترجمة من حيث
انه قصة في بني اسرائيل وموسى نبيهم والحديث اخرجه البخاري في التفسير ايضا
واخرجه مسلم في اخر الكتاب والترمذي في التفسير حدثني اسحق بن
ابراهيم هو ابن راهويه قال اخبرنا روح بفتح الراء ابن عبادة بضم العين
هو ابو محمد البصري عن عوف هو المعروف بالاعرابي وليس باعرابي عن
الحسن هو البصري ومحمد هو ابن سيرين وخلاس بكسر الخاء المعجمة و
تخفيف اللام واخره سين مهملة هو ابن عمرو الهجري البصري ثلاثتهم
عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان موسى كان رجلا حييا بفتح المهملة وكسر التحتانية الخفيفة الاخرى مثقلة
بوزن فعيل من الحياء ستيرا على وزن فعيل بالتشديد من الستر كالصديق
من الصدق اي من شانه حب الستر والصون ويروى على وزن فعيل
كبصير لا يرى من جلده شيء استحياء منه بيان الشيء بان اغتسال بني اسرائيل
كان عراة وموسى وحده كان استحياء فآذاه من آذاه بمد الهمزة في موضعين
من بني اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر الا من عيب بجلده اما برص
واما ادرة بضم الهمزة وسكون الدال على المشهور وحكى الطحاوي عن بعض
مشايخه بفتح الهمزة والدال ورجح الاول ووقع في رواية ابن مردويه من طريق
عثمان عن عوف الجزم بانه آدر قال ابن الاثير الادرة بضم الهمزة نفخة في الخصية
يقال رجل آدر بين الادر بفتح الهمزة والدال وهي التي تسميها الناس القيلة
واما آفة هو من باب عطف العام على الخاص وان الله عز وجل اراد ان
يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ
اقبل الى ثيابه ليأخذها وفي رواية الكشميهني ثيابا اي ثيابه والاول هو
المعروف وظاهره انه دخل الماء عريانا وعليه بوب المصنف في الغسل من
اغتسل عريانا ونقل ابن الجوزي عن الحسن بن ابي بكر النيسابوري ان

موسى نزل الى الماء مؤتزرا فلما خرج تتبع الحجر والمئزر مبتل بالماء علموا عند
رؤيته انه غير آدر لان الادرة تبين تحت الثوب المبلول بالماء انتهى وهذا
ان كان الرجل قاله احتمالا فيحتمل لكن المنقول يخالفه لان في رواية علي بن زيد
عن انس رضي الله عنه عند احمد في هذا الحديث ان موسى كان اذا اراد ان يدخل
الماء لم يلق ثوبه حتى يواري عورته بالماء وان الحجر عدا بثوبه بالعين المهملة اي
مضى مسرعا فاخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر اي
اعطني ثوبي او رد ثوبي يا حجر يا حجر بالضم على حذف حرف النداء وقد تقدم في
الغسل بلفظ ثوبي يا حجر حتى انتهى الى ملأ من بني اسرائيل وزاد عريانا احسن
ما خلق الله وابرأه مما يقولون وفي رواية قتادة عن الحسن عن ابي هريرة
رضي الله عنه عند ابن مردويه وابن خزيمة واعدله صورة وفي روايته فقالت
بنو اسرائيل قاتل الله الافاكين فكانت براءته وفي رواية روح بن عبادة
المذكور وزاد فاذا كاحسن الرجال خلقا فبرأه مما قالوا وقام الحجر فاخذ ثوبه وفي
مسند اسحق بن ابراهيم شيخ البخاري فيه وقام الحجر فاخذ ثوبه وكذا اخرجه ابو
نعيم وابن مردويه من طريقه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه اي يضرب
ضربا فوالله ان بالحجر لندبا من اثر ضربه والندب بفتح النون والدال هو
اثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد والظاهر انه بقية الحديث وقد بين في
رواية همام في الغسل انه قول ابي هريرة رضي الله عنه ثلث او اربع او
خمس وفي رواية همام المذكورة ستة او سبعة ووقع عند ابن مردويه من
رواية حبيب بن سالم عن ابي هريرة رضي الله عنه بالجزم بست ضربات
فذلك اي ما ذكر من اذى بني اسرائيل موسى عليه السلام قوله تعالى اي مفاد
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا
اي احذروا ان تكونوا مؤذين للنبي صلى الله عليه وسلم كما آذى بنو اسرائيل
موسى عليه السلام فاظهر الله براءته مما قالوه فيه من انه آدر وقد روى ابن
مردويه من طريق عكرمة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية قال ان

بني اسرائيل كانوا يقولون ان موسى آدر فانطلق موسى الى النهر يغتسل
فذكر الحديث وفي رواية علي بن زيد في آخره وذلك ليس كما قالوا فانزل
الله تعالى لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية وروى احمد بن منيع في مسنده
باسناد حسن والطبري وابن مردويه من حديث علي رضي الله عنه ان
الآية المذكورة نزلت في طعن بني اسرائيل على موسى بسبب هرون عليه
السلام لانه توجه معه الى الطور فمات هرون فدفنه موسى فطعن فيه
بعض بني اسرائيل وقالوا انت قتلته فبرأه الله تعالى بان رفع لهم جسد
هرون وهو ميت فخاطبهم بانه مات وفي الاسناد ضعف ولو ثبت
لم يكن فيه ما يمنع ان يكون في الفريقين لصدق ان كلا منهما اذى موسى
فبرأه الله مما قالوا وروى انه حملته الملائكة ومروا بهم حتى رأوه انه غير
مقتول وقيل احياه فاخبرهم ببراءته وقيل ان قارون حرض امرأة على
على قذفه بنفسها فعصمه الله تعالى كما في القصص والله تعالى اعلم وكان
عند الله وجيها اي ذا جاه ومنزلة وقيل وجيها لم يسأل شيئا الا اعطاه
الله تعالى وفي شاذ وكان عبد الله بالموحدة وفي الحديث جواز المشي
عريانا للضرورة وقال ابن الجوزي لما كان موسى عليه السلام في خلوة
وخرج من الماء فلم يجد ثوبه تبع الحجر بناء ان لا يصادف احدا وهو عريان
فاتفق انه كان هناك قوم فاجتاز بهم كما ان جوانب الانهار وان
خلت غالبا يؤمن وجود قوم قريبا منها فبنى الامر على انه لا يراه احد
لاجل المكان فاتفق رؤية من رآه والذي يظهر انه استمر يتبع الحجر
على ما في الخبر حتى وقف على مجلس لبني اسرائيل كان فيهم من قال فيه
ما قال وبهذا تظهر الفائدة والا فلو كان الوقوف على قوم منهم في الجملة لم
يقع ذلك الموقع وفيه جواز النظر الى العورة عند الضرورة الداعية
الى ذلك من مداواة او براءة من عيب كما لو ادعى احد الزوجين على الآخر
البرص ليفسخ النكاح فانكر وفيه ان الانبياء عليهم السلام في خلقهم وخلقهم
على غاية الكمال وان من نسب نبيا من الانبياء الى نقص في خلقته فقد آذاه ويخشى

عليه الكفر وفيه معجزة ظاهرة لموسى عليه السلام فان الآدمي يغلب عليه
طباع البشر لان موسى عليه السلام مع علمه ان الحجر ما صار بثوبه الا بامر
من الله تعالى ومع ذلك عامله معاملة من يعقل حتى ضربه ويحتمل انه اراد
بيان معجزة اخرى لقومه بتاثير الضرب بالعصا في الحجر وفيه ما كان الانبياء
عليهم السلام عليه من الصبر على الجهال واحتمال اذاهم وجعل الله تعالى
العاقبة لهم على من اذاهم والحديث قد مضى في كتاب الغسل واخرجه البخاري
في التفسير ايضا والترمذي فيه ايضا ومطابقته للترجمة ظاهرة **تنبيه** اعلم
ان سماع محمد بن سيرين من ابي هريرة رضي الله عنه ثابت فقد اخرج احمد
هذا الحديث عن روح عن عوف عن محمد وحده عن ابي هريرة رضي
الله عنه واما خلاس ففي سماعه عن ابي هريرة رضي الله عنه خلاف
فقال ابو داود لم يسمع خلاس من ابي هريرة ويقال انه كان على شرطة
علي رضي الله عنه وحديثه عنه في الترمذي والنسائي جزم يحيى القطان
بان روايته عنه من صحيفة وقال ابن ابي حاتم عن ابي زرعة كان يحيى
القطان يقول روايته عن علي رضي الله عنه من كتاب وقد سمع من عمار
وعائشة وابن عباس رضي الله عنهم وقال الحافظ العسقلاني اذا ثبت
من عمار وكان على شرطة علي رضي الله عنه كيف يمتنع سماعه من علي
رضي الله عنه وقال ابو حاتم يقال وقعت عنده صحيفة علي وليس بقوي
يعني في علي رضي الله عنه وقال صالح بن احمد عن ابيه كان يحيى القطان
يتوقى ان يحدث عن خلاس عن علي رضي الله عنه خاصة ووثقه بقية
الائمة مطلقا وما له في البخاري سوى هذا الحديث وقد اخرجه له مقرونا بغيره
واعاده سندا ومتنا في تفسير الاحزاب وله عنده حديث آخر اخرجه في الايمان
والنذور مقرونا ايضا بمحمد بن سيرين عن ابي هريرة رضي الله عنه ووهم
المزي فنسبه الى الصوم واما الحسن البصري فلم يسمع من ابي هريرة رضي
الله عنه عند حفاظ النقاد وما وقع في بعض الروايات مما يخالف ذلك
فهو محكوم بوهمه عندهم وما له في البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه

سوى هذا مقرونا وله حديث آخر في بدء الخلق مقرون بابن سيرين وثالث
ذكره في اوائل الكتاب في الايمان مقرون بابن سيرين ايضا حدثنا
شقيق بن سلمة ابو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسي قال
اخبرنا شعبة عن الاعمش قال سمعت ابا وائل قال سمعت عبد الله
هو ابن مسعود رضي الله عنه قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما
فقال رجل ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله فاتيت النبي صلى
الله عليه وسلم فاخبرته فغضب حتى رايت الغضب في وجهه ثم
قال يرحم الله موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر والحديث قد مضى
في كتاب الجهاد في باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة
قلوبهم والغرض منه هنا ذكر موسى عليه السلام **باب يعكفون
على اصنام لهم** اشارة الى قوله تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل البحر
ذكر تعالى ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من
الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم مما راى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا
عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم وقد روي ان موسى عليه
السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموا
شكرا فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون
على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل والقوم
كانوا من العمالقة الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم وقيل
قوم من الكنعانيين وقيل كانوا من لخم وقوله يعكفون من
عكف يعكف ويعكف من باب ضرب ونصر وقد قرئ بهما في السبعة
ومنه قيل لمن لازم المسجد واقام على العبادة فيه عاكف ومعتكف
قالوا يا موسى اجعل لنا الها اي مثالا نعبده كما لهم آلهة يعبدونها وما
كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد
ما صدر عنهم بعد ما راوا من الآيات الكبرى عن العقل ان هؤلاء

اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني ان الله يهدم دينهم
الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا
يعملون من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ
في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم عليه بالخبر وانما
فعلوا بالبطلان والتقديم للخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان
للتنبيه على ان الدمار لاحق لهم لما هم عليه لا محالة وان الاحباط الكلي
لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها
اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم
يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله
اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به
اخس شيء من مخلوقاته واعلم ان المؤلف رحمه الله لم يفسر من الايات
الا قوله تعالى ان هؤلاء متبر ما هم فيه فقال **متبر خسران** فسر قوله متبر
بقوله خسران ومتبر اسم مفعول من التتبير وهو الاهلاك يقال
تبره تتبيرا اذا كسره واهلكه ومنه التبار وهو الهلاك وقال الكرماني
قوله متبر اي خاسر وقد فسر مفعول بمعنى الفاعل وهو بعيد وكذلك
تفسير البخاري بالمصدر وتفسيره هو جهة متبر مهلك **وليتبروا يدمروا**
ما علوا غلبوا اشار به الى ما في قوله وليتبروا ما علوا تتبيرا وفسر قوله
ليتبروا بقوله يدمروا من التدمير من الدمار وهو الهلاك يقال
دمره تدميرا ودمر عليه بمعنى وفسر قوله ما علوا بقوله غلبوا وذكره
وذكر هذا بطريق الاستطراد ثم ان هذا التفسير الذي ذكره البخاري
اخرجه الطبري من طريق ابن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال في قوله تعالى ان هؤلاء متبر ما هم قال خسران والخسران
تفسير التتبير الذي اشتق منه متبر واما قوله وليتبروا يدمروا ما علوا
غلبوا فقد اخرجه الطبري من طريق سعيد عن قتادة قال في قوله
وليتبروا ما علوا تتبيرا ليدمروا ما غلبوا عليه تدميرا **حدثنا يحيى بن**

118 **قال اخبرنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن ابي سلمة**
بن عبد الرحمن ان جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجني الكباث وكانت
هذه الكينونة بمر الظهران كما في الروايات ونجني من جنى يجني جنيا
وهو اخذ الثمرة من الشجر والكباث بفتح الكاف وبالموحدة المخففة
وبعد الالف مثلثة هو ثمر الاراك ويقال ذلك للنضيج منه كذا نقله
النووي عن اهل اللغة وقال ابو عبيد هو ثمر الاراك اذا يبس وليس له
عجم وقال القزاز هو الغض من ثمر الاراك والاراك هو الحمض وقال
ابو زياد الكباث يشبه التين ياكله الناس والابل والغنم فيه حرارة وفي
المحكم هو حمل ثمر الاراك اذا كان متفرقا واحده كباثة وقال ابو حنيفة
هو فوق حب الكسبرة وعنقوده يملأ الكفين اذا التقمه البعير فضل
عن لقمته والنضيج منه يقال له المرد وقال صاحب المطالع هو حصرمه
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بالاسود منه فانه ايطيب
قالوا اي الصحابة رضي الله عنهم **اكنت ترعى الغنم** وانما قالوا له ذلك
لان قوله لهم عليكم بالاسود منه يدل على تمييزه بين انواعه والذي يميز
بين انواع ثمر الاراك غالبا من يلازم رعي الغنم على ما الفوه
قال وهل من نبي الا وقد رعاها قال قيل ما الحكمة في ذلك فالجواب انه قال
لحظ بان الله تعالى لم يضع النبوة في ابناء الدنيا ومترفيهم وانما
جعلها في رعاء الشاء واهل التواضع من اصحاب الحرف روي ان ايوب
عليه السلام كان خياطا وزكريا عليه السلام كان نجارا والله اعلم حيث
يجعل رسالاته وقال النووي الحكمة فيه ان ياخذوا انفسهم بالتواضع
وتصفو قلوبهم بالخلوة ويترقوا من سياستها الى سياسة اممهم
والله تعالى اعلم وقد مر بعض الكلام من هذا التفصيل في اول كتاب
الاجارة قال بعض الفضلاء واما حديث جابر في رعي الغنم
فمناسبته للترجمة غير ظاهرة والذي يختلج في خاطري انه كان بين

التفسير المذكور وبين الحديث بياض اخل الحديث يدخل في الترجمة
تصلح لحديث جابر رضي الله عنه ثم وصل ذلك كما في نظائره ومناسبة
حديث جابر رضي الله عنه لقصص موسى عليه السلام من جهة عموم قوله
وهل من نبي الا وقد رعاها فدخل فيه موسى عليه السلام بل وقع في بعض طرق
هذا الحديث ولقد بعث موسى وهو يرعى الغنم وذلك فيما اخرجه النسائي
في التفسير من طريق ابي اسحق عن نصر بن حزن قال افتخر اهل الابل و
الغنم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بعث موسى وهو راعي غنم الحديث
ورجال اسناده ثقات ويؤيد هذا الذي قلته انه وقع في رواية النسفي
باب بغير ترجمة وساق فيه حديث جابر ولم يذكر ما قبله وكأنه حذف
الذي فيه التفاسير الموقوفة كما هو الاغلب من عادته واقتصر على الباب
الذي فيه الحديث المرفوع وقال الكرماني لعل مناسبته من جهة ان بني
اسرائيل كانوا مستضعفين جهالا ففضلهم الله وعلى العالمين و
سياق الاية يدل عليه اي فيما يتعلق ببني اسرائيل فكذلك الانبياء عليهم
السلام كانوا اولا مستضعفين بحيث انهم كانوا يرعون الغنم انتهى
وانت خبير بما فيه من التكلف والتعسف والحديث اخرجه البخاري
في الاطعمة ايضا واخرجه مسلم فيه ايضا والنسائي في الوليمة **باب**
واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة الاية لم يذكر
البخاري في هذا الباب غير بعض تفسير الفاظ تتعلق بقصة موسى
عليه السلام التي وقعت في القرآن من قصصه عليه السلام والاية
في سورة البقرة قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه اي واذكر يا
محمد حين قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة وقصتها
ما اوردها ادم بن ابي اياس في تفسيره قال حدثنا ابو جعفر الرازي
عن الربيع بن انس عن ابي العالية قال كان رجل من بني اسرائيل
غنيا ولم يكن له ولد وكان له قريب وارث فقتله ليرثه ثم القاه
على مجمع الطريق واتى موسى عليه السلام فقال ان قريبي قتل وانا لا

اجد احدا يبين لي قاتله غيرك يا نبي الله ونادى موسى في الناس
من كان عنده علم من هذا فليبينه فلم يكن عندهم علم فاوحى الله
اليه قل لهم فليذبحوا بقرة فعجبوا فقالوا كيف نطلب معرفة من قتل هذا القتيل
فيؤمر بذبح بقرة ما فصل منه قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر يعني
لا هرمة ولا صغيرة عوان بين ذلك اي نصف بين البكر والهرمة قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها
اي صاف تسر الناظرين اي تعجبهم قالوا ادع لنا ربك الاية قال انه يقول
انها بقرة لا ذلول اي لم يذللها العمل تثير الارض يعني ليست بذلول فتثير الارض
ولا تسقي الحرث ولا تعمل في الحرث مسلمة اي من العيوب لا شية فيها
اي لا بياض قالوا الآن جئت بالحق قال ولو ان القوم حين امروا بذبح
بقرة استعرضوا اي بقرة كانت لاجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد عليهم
ولولا انهم استثنوا وقالوا وانا ان شاء الله لمهتدون لما اهتدوا اليها ابدا
فبلغنا انهم لم يجدوها الا عند عجوز فاغلت عليهم في الثمن فقال لهم موسى
عليه السلام انتم شددتم على انفسكم فاعطوها ما سألت فذبحوها فاخذوا
عظما منها فضربوه القتيل فعاش فسمى قاتله وهو قريبه الذي
كان يريد ان يرثه فقتله الله على اسوأ عمله وقد روي انهم اعطوا صاحب
البقرة وزنها عشر مرات ذهبا فضربوه بالبضعة التي بين الكتفين
وروى ابن ابي حاتم قال حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح نا يزيد بن
هرون نا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة بن
عمرو السلماني احد كبار التابعين قال كان رجل من بني اسرائيل عقيما لا
يولد له وكان له مال كثير وكان ابن اخيه وارثه فقتله ثم احتمله ليلا
فوضعه على باب رجل منهم ثم اصبح يدعيه عليهم حتى تسلحوا وركب
بعضهم على بعض فقال ذوو الرأي منهم علام يقتل بعضكم بعضا وهذا
رسول الله فيكم فاتوا موسى عليه السلام فذكروا ذلك له فقال ان
الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون

من الجاهلين قالوا فلو اعترضوا لاجزأت عنهم ادنى بقرة ولكنهم شددوا
فشدد الله عليهم حتى انتهوا الى البقرة التي امروا بذبحها فوجدوها عند
رجل ليس له بقرة غيرها فقال والله لا انقصها من ملء جلدها ذهبا فاخذوها
بملء جلدها ذهبا ويروى ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة
وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بالصفات
المذكورة فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت
البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير فذبحوها فضربوه ببعضها فقام فقالوا من
قتلك قال هذا لابن اخيه ثم مال ميتا فلم يعط من ماله شيئا فلم يورث قاتل
بعده ورواه ابن جرير من حديث ايوب عن محمد بن سيرين عن
عبيدة نحو ذلك ورواه بسند من وجه آخر عن محمد بن كعب القرظي
ومحمد بن قيس ان سبطا من بني اسرائيل لما رأوا كثرة شرور الناس بنوا مدينة
فاعتزلوا شرور الناس فكانوا اذا امسوا لم يتركوا احدا منهم خارج المدينة
الا ادخلوه واذا اصبحوا قام رئيسهم فنظر وتشوف فاذا لم ير شيئا فتح
المدينة فكانوا مع الناس حتى يمسوا قال وكان رجل من بني اسرائيل
له مال كثير ولم له وارث غير اخيه فطالت عليه حياته فقتله ليرثه ثم حمله فوضعه
على باب المدينة ثم كمن هو واصحابه قال فتشوف رئيس المدينة
على باب المدينة فنظر فلم ير شيئا ففتح الباب فلما رأى القتيل رد الباب
فناداه اخو المقتول واصحابه هيهات قتلتموه ثم تردون الباب
وكاد ان يكون بين اخ المقتول وبين اهل المدينة قتال حتى لبسوا
السلاح ثم كف بعضهم عن بعض فاتوا موسى عليه السلام فشكوا شأنهم
فاوحى الله اليه ان يذبحوا البقرة القصة وقال ابن كثير الروايات فيها مختلفة
والظاهر انها ماخوذة من كتب بني اسرائيل وهو مما يجوز نقلها لكن لا نصدق
ولا نكذب فلهذا لا نعتمد عليها الا ما وافق الحق والله تعالى اعلم قالوا اتتخذنا
هزوا اي مكان هزؤ او مهزوا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا
لما قاله واستخفافا به قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في مثل

ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك
في صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي
اي ما حالها وصفاتها وكان حقه ان يقال اي بقرة هي او كيف هي لان
ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء
من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها
بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من
الفرض وهو القطع كأنها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها و
تركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان اي نصف بين
ذلك اي بين ما ذكر من الفارض والبكر فافعلوا ما تؤمرون اي تؤمرونه
بمعنى تؤمرون به من قوله • امرتك الخير فافعل ما امرت به • او امركم
بمعنى مأموركم • قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها
بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به
فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهي
صفة صفراء لملابسته بها فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديدة الصفرة
صفرتها تسر الناظرين تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول
نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال
الاول واستكشاف زائد وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اي ان
البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وانا ان شاء الله
لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت
لهم آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث
اي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول
ولا الثانية مزيدة لتأكيد الاول والفعلان صفتا ذلول كأنه قيل لا ذلول
مثيرة وساقية مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل او
اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف
لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه

لونها اخر قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا
فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا
يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل او لغلاء
ثمنها كما مر واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها
اي اختصمتم في شانها اذ المتخاصمون يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان
طرح كل قتلها عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال
واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل
مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا
اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير
على تاويل الشخص او القتيل ببعضها اي ببعض كان وقيل باصغريها اي
القلب واللسان وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل
بالعجب وهو اصل الذنب وهو اساس البدن واول ما يخلق واخر ما يبلى
كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من
حضر حيوة القتيل او نزول الاية ويريكم آياته دلائله على كمال قدرته لعلكم
تعقلون لكي يكمل عقولكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء
الانفس كلها او تعملون على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط
فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة
التوكل والشفقة على الاولاد كما في بعض الروايات وان من حق الطالب
ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن
عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة اي ناقة كريمة بثلثمائة دينار وان المؤثر في
الحقيقة هو الله والاسباب امارات لا اثر لها **قال ابو العالية** بالعين المهملة
رفيع بن مهران الرياحي بالمثناة التحتية **عوان النصف** بفتح النون
والصاد **بين البكر والهرمة** يعني انه فسر العوان في قوله تعالى لا فارض
ولا بكر عوان بين ذلك بقوله النصف بين البكر والهرمة ورواه الطبراني
عن سلمة عن ابي اسحق عن الزهري عنه قوله لا فارض ولا بكر يعني لا هرمة

ولا صغيرة عوان بين ذلك اي نصف بين البكر والهرمة **فاقع صاف**
121 اشارة الى ما قوله في صفراء فاقع لونها وعن سعيد بن جبير صفراء
فاقع صافية اللون وعن قتادة والحسن نحوه وقال العوفي في تفسيره
عن ابن عباس رضي الله عنهما فاقع لونها شديد الصفرة تكاد صفرتها
تبيض وعن ابن عمر رضي الله عنهما كانت صفراء الظلف وعن سعيد
بن جبير كانت صفراء القرن والظلف وقال ابن ابي حاتم ثنا ابي ثنا نصر بن
علي انا ابو رجاء عن الحسن في قوله صفراء فاقع لونها قال سوداء شديد
السواد وهذا غريب **لا ذلول لم يذللها** ويروى لم يذللها **العمل تثير الارض**
ليست بذلول تثير الارض ولا تعمل في الحرث اشارة الى ما في قوله تعالى
لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي هذه لا ذلول يعني ليست مذللة
بالحرث ولا معدة للسقي في السانية بل هي مكرمة حسنة صبيحة وقوله
لم يذللها بضم الياء من الاذلال ويروى لم يذللها من التذليل والعمل
مرفوع به **مسلمة من العيوب** اشارة الى تفسير قوله تعالى مسلمة
وفسرها بقوله من العيوب وقال عطاء الخراساني مسلمة القوائم والخلق
لا شية بياض فسر الشية التي هي اللون بقوله بياض فيها قال ابو العالية
والربيع والحسن وقتادة ليس فيها بياض وقال عطاء الخراساني لونها
واحد وروي عن عطية ووهب بن منبه نحو ذلك وقال السدي لا شية
فيها من بياض ولا سواد ولا حمرة **صفراء ان شئت او سوداء ويقال**
صفراء كقوله جمالات صفر هذا قول ابي عبيدة قال في قوله تعالى صفراء
فاقع لونها ان شئت سوداء كقوله جمالات صفر اي سود وغرضه من هذا
الكلام ان الصفرة يمكن حملها على معنى المشهور وعلى معنى السواد كما في
قوله تعالى جمالات صفر فانها فسرت بانها صفر تضرب الى سواد وقد روي
عن الحسن يعني فاحمل على ايهما شئت وقد روي عن الحسن انه اخذ انها
سوداء من قوله فاقع لونها حيث قال صفراء فاقع اي سوداء شديد
السواد ولعله استعار من صفة الابل لان سواده يعلوه صفرة قال

العيني وقوله جمالات جمع الجمع لانها جمع جمالة والجمالة جمع جمل وفسرها مجاهد
بسود ويقال للجمل الاسود اصفر لانه لا يوجد جمل اسود الا وهو مشرب
بصفرة فادارأتم اختلفتم اشار به الى تفسير قوله تعالى واذ قتلتم نفسا
فادارأتم فيها وفسر قوله ادارأتم بقوله اختلفتم وهكذا قال مجاهد فيما رواه
ابن حاتم عن ابيه عن ابي حذيفة عن شبل عن ابن ابي نجيح عن مجاهد
انه قال في قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها اختلفتم وقال عطاء
الخراساني والضحاك اختصمتم فيها وقال ابو عبيدة من التدارئ وهو
التدافع وفاة موسى عليه السلام وذكره بعد كذا في رواية ابي ذر باسقاط
باب وفي رواية غيره باثباته وقوله وذكره بعد بضم الدال لانه مبني عليه لكونه
قطع عن الاضافة اي وذكر موسى عليه السلام بعد وفاته حدثنا يحيى بن
موسى اي ابن عبد ربه ابو زكريا السختياني البلخي يقال له خت بفتح الخاء المعجمة
وتشديد المثناة الفوقية قال اخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن ابن
طاوس هو عبد الله بن طاوس عن ابيه طاوس بن كيسان عن ابي
هريرة رضي الله عنه انه قال رواه البخاري اولا هكذا موقوفا من طريق
طاوس عنه ثم اورده عقيبه برواية همام عنه مرفوعا وهو المشهور عن
عبد الرزاق وقد رفع محمد بن يحيى عنه رواية طاوس ايضا اخرجه الاسمعيلي
ارسل ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه اي ضربه على عينه وفي رواية
همام عند احمد ومسلم جاء ملك الموت الى موسى عليه السلام فقال اجب
ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها وفي رواية عمار بن ابي عمار
عن ابي هريرة رضي الله عنه عند احمد والطبري كان ملك الموت ياتي الناس
عيانا فاتى موسى فلطمه ففقأ عينه فرجع الى ربه فقال ارسلتني الى عبد لا يريد
الموت زاد همام وقد فقأ عيني فرد الله عليه عينه وفي رواية عمار فقال يا رب
عبدك موسى فقأ عيني ولولا كرامته عليك لشققت قال ارجع اليه فقل له
اي لموسى عليه السلام يضع يده وفي رواية ابي يونس فقل له الحياة تريد
فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور بفتح الميم وسكون المثناة

الفوقية هو الظهر وقيل مكتنف الصلب بين العصب واللحم وفي رواية عمار
على جلد ثور فله بما غطت يده هكذا رواية الكشميهني وفي رواية غيره
بما غطى بكل شعرة سنة قال اي رب اي يا رب ثم ماذا اي ثم ما يكون
بعد هذا الحيوة او موت قال ثم الموت قال فالآن هو ظرف زمان
الحال الفاصل بين الماضي والمستقبل وفي رواية ابي يونس فالآن يا رب
من قريب وفي رواية عمار رفتاه فقال له ما بعد هذا قال الموت قال
فالآن قال فسأل الله ان يدنيه بضم الياء من الادناء اي يقربه من الارض
المقدسة رمية بحجر اي قدر رمية كائنة بحجر وانما سأل الادناء من
الارض المقدسة لشرفها وفضيلة ما فيها من المدفونين من الانبياء
عليهم السلام وغيرهم فان قيل لم سأل الادناء ولم يسأل نفس بيت
المقدس فالجواب انه خاف ان يكون قبره مشهورا عندهم فيفتتن
به الناس وفيه استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والمواطن
المباركة والقرب من مدافن الصالحين قال ابو هريرة رضي الله
عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم بفتح المثلثة اي
هناك لاريتكم قبره الى جانب الطريق هكذا رواية المستملي والكشميهني
وهي رواية همام وفي رواية غيرهما من جانب الطريق تحت الكثيب
الاحمر الكثيب بالثاء المثلثة وآخره باء موحدة هو الرمل الكثير المجتمع وفي
روايتهما عند الكثيب الاحمر وهي رواية همام ايضا واختلف اهل السير
في موضع قبر موسى عليه السلام فقيل بارض التيه وهرون كذلك ولم
يدخل موسى الارض المقدسة الا رمية بحجر رواه الضحاك عن
ابن عباس رضي الله عنهما وقال لا يعرف قبره ورسول الله صلى
الله عليه وسلم ابهم ذلك بقوله الى جانب الطريق عند الكثيب
الاحمر والمراد بيانه ليس بتصريح وقال ابن عباس رضي الله عنهما
لو علمت اليهود قبر موسى وهرون لاتخذوهما الهين من دون
الله وقيل بباب لد بالبيت المقدس وقيل قبره بين عالية وعويلة

عند كثيب ثوما وقيل بالوادي في ارض ماب بين بصرى والبلقاء
وقيل قبره بدمشق ذكره ابن عساكر عن كعب الاحبار والاصح
انه بالتيه قدر رمية بحجر من الارض المقدسة وزعم ابن حبان
ان قبره بمدين بين المدينة وبين البيت المقدس وتعقب
بان ارض مدين ليست قريبة من المدينة ولا من البيت المقدس
قال اشتهر عن قبر باريحا عنده كثيب احمر انه قبر موسى عليه السلام واريحا
من الارض المقدسة وزاد عمار في روايته فشمه شمة فقبض روحه
وكان يأتي الناس خفية يعني بعد ذلك ويقال اتاه بتفاحة من
الجنة فشمها فمات وذكر السدي في تفسيره ان موسى عليه السلام لما
دنت وفاته مشى هو وفتاه يوشع فجاءت ريح سوداء فظن يوشع
انها الساعة فالتزم موسى فانسل موسى من تحت القميص فاقبل
يوشع بالقميص وعن وهب بن منبه ان الملائكة تولوا دفنه والصلوة
عليه وانه عاش مائة وعشرين سنة وقال ذهب وصلى عليه جبريل
عليه السلام وكان موته بعد موت هرون باحد عشر شهرا وكان
بين وفاة ابرهيم ومولد موسى عليهما السلام مائتان وخمسون
سنة ذكره الحديث في كتاب الجنائز في باب من احب الدفن
في الارض المقدسة ومطابقته للترجمة ظاهرة **قال واخبرنا معمر عن**
همام انه قال اخبرنا ابو هريرة رضي الله عنه بنحوه اي قال عبد الرزاق
اخبرنا معمر بن راشد عن همام بن منبه بنحو الحديث المذكور وقال
الحافظ العسقلاني هو موصول بالاسناد المذكور ووهم من قال انه معلق
فقد اخرجه احمد عن عبد الرزاق عن معمر ومسلم عن محمد بن رافع
عن عبد الرزاق كذلك وتعقبه العيني بان صورته صورة التعليق
وكونه موصولا بالاسناد الاول محتمل ولا يلزم من اخراج غيره اياه
موصولا كونه موصولا هنا ثم قوله بنحوه اي ان رواية معمر عن
همام بمعناه عن ابن طاوس لا بلفظه **تكميل** قال ابن خزيمة انكر

بعض المبتدعة هذا الحديث وقالوا ان كان موسى عرفه فقد
استخف به وان كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فقء عينه
والجواب ان الله تعالى لم يبعث ملك الموت الى موسى عليه السلام
وهو يريد قبض روحه حينئذ وانما بعثه اليه اختبارا وانما لطم موسى
عليه السلام ملك الموت لانه رأى آدميا دخل داره بغير اذنه ولم يعلم
انه ملك الموت وقد اباح الشارع فقء عين الناظر في دار مسلم
بغير اذن وقد جاءت الملائكة الى ابراهيم والى لوط عليهما السلام في صور
آدميين ولم يعرفاهم ابتداء ولو عرفهم ابرهيم عليه السلام لما قدم
لهم المأكول ولو عرفهم لوط عليه السلام لما خاف عليهم من قومه وعلى
تقدير ان يكون عرفه فمن اين لهذا المبتدع مشروعية القصاص
بين الملائكة والبشر ثم من اين له ان ملك الموت طلب القصاص
من موسى عليه السلام فلم يقتص له ولخص الخطابي كلام ابن خزيمة
وزاد فيه ان موسى عليه السلام دفعه عن نفسه لما ركب فيه
من الحدة وان الله رد عين ملك الموت ليعلم موسى انه جاءه
من عند الله فلهذا استسلم حينئذ وقال النووي لا يمتنع ان يأذن الله
لموسى في هذه اللطمة امتحانا للملطوم وقال غيره انما لطمه لانه جاء لقبض
روحه قبل تخييره لما ثبت انه لم يقبض نبي حتى يخير فلهذا لما خيره في المرة
الثانية اذعن قيل وهذا اولى الاقوال بالصواب وفيه نظر لانه يعود
اصل السؤال فيقال لم اقدم ملك الموت على قبض نبي الله واخل
بالشرط فيعود الجواب ان ذلك وقع امتحانا وزعم بعض ان معنى قوله
فقأ عينه اي ابطل حجته وهو مردود بقوله في نفس الحديث فرد الله
عينه وبقوله لطمه وصكه وغير ذلك من قرائن السياق وقال ابن قتيبة
انما فقأ موسى العين التي هي تخييل وتمثيل وليست عينا حقيقة
ومعنى رد الله عينه اي اعاده الى خلقته الحقيقية وقيل هو على ظاهره
ورد الله الى ملك الموت عينه البشرية ليرجع الى موسى على كمال الصورة

فيكون اقوى في اعتباره وهذا هو المعتمد وجوّز ابن عقيل ان يكون
موسى اذن له ان يفعل ذلك بملك الموت وامر ملك الموت بالصبر على
ذلك وفيه ان الملك يتمثل بصورة الانسان وقد جاء ذلك في عدة احاديث
واستدل بقوله فلك بكل شعرة سنة ان الذي بقي من الدنيا كثير جدا
لان الشعر الذي تواريه اليد قدر المدة التي بين موسى وبعثة نبينا
صلى الله عليه وسلم مرتين واكثر واستدل به على جواز الزيادة في العمر وقد
قال به قوم في قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب
انه زيادة ونقص في الحقيقة وقال الجمهور الضمير في قوله من عمره للجنس
لا للعين اي ولا ينقص من عمر اخر وهذا كقولهم عندي ثوب ونصفه
اي ونصف ثوب اخر وقيل المراد بقوله وما ينقص من عمره اي وما يذهب
فالجميع معلوم لله تعالى والجواب ان قصة موسى ان اجله كان قد
قرب حضوره ولم يبق منه الا مقدار ما دار بينه وبين ملك الموت من
المراجعتين فامر بقبض روحه اولا مع سبق علم الله ان ذلك لا يقع الا
بعد المراجعة وان لم يطلع ملك الموت على ذلك اولا والله اعلم حدثنا ابو اليمان
الحكم بن نافع قال اخبرنا شعيب هو ابن ابي حمزة عن الزهري ابن شهاب
قال اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب كذا قال شعيب
عن الزهري وتابعه محمد بن ابي عتيق عن ابن شهاب كما سيأتي في التوحيد
وقال ابراهيم بن سعد عن الزهري عن ابي سلمة والاعرج والحديث محفوظ
للزهري على الوجهين وقد جمع المصنف بين الروايتين في التوحيد اشارة
الى ثبوت ذلك عنه على الوجهين وله اصل من حديث الاعرج من رواية
عبد الله بن الفضل عنه وسيأتي بعد ثلاثة ابواب ومن طريق ابي سلمة عن
ابي هريرة رضي الله عنه اخرجه الترمذي وابن ماجه من طريق محمد بن عمرو
رواه مع ابي هريرة ابو سعيد رضي الله عنهما وقد تقدم في الاشخاص تمامه
في الخصومات وان ابا هريرة رضي الله عنه قال استب رجل من المسلمين
ورجل من اليهود وقع في رواية عبد الله بن الفضل سبب ذلك واول حديثه

بينما يهودي يعرض سلعته اعطي بها شيئا كرهه فقال لا والذي اصطفى
موسى على البشر قال الحافظ العسقلاني ولم اقف على اسم هذا اليهودي في
هذه القصة وزعم ابن بشكوال انه فنحاص وهو بكسر الفاء وسكون النون
وبمهملتين وعزاه لابن اسحق والذي ذكره ابن اسحق لفنحاص مع ابي
بكر الصديق رضي الله عنه في لطمه اياه قصة اخرى في نزول قوله تعالى لقد
سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء الاية واما كون اللاطم
في هذه القصة هو الصديق فهو مصرح به فيما اخرجه سفيان بن عيينة
في جامعه وابن ابي الدنيا في كتاب البعث من طريقه عن عمرو بن دينار
عن عطاء وابن جدعان عن سعيد بن المسيب قال كان بين رجل
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبين رجل من اليهود كلام في
شيء قال عمرو بن دينار هو ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقال اليهودي
والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه المسلم الحديث فقال المسلم والذي
اصطفى محمدا على العالمين في قسم يقسم به فقال اليهودي والذي
اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم اليهودي
اي عند سماعه قول اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين وانما
صنع ذلك لما فهمه من عموم لفظه فدخل فيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد
تقرر عند المسلم ان محمدا افضل وقد جاء ذلك مبينا في حديث ابي سعيد رضي الله
عنه ان الضارب قال لليهودي حين قال ذلك اي خبيث على محمد فدل على
انه لطم اليهودي عقوبة له على كذبه عنده وفي رواية ابراهيم بن سعد فلطم
وجه اليهودي ووقع عند احمد من هذا الوجه فلطم عين اليهودي وفي رواية
عبد الله بن الفضل فسمعه رجل من الانصار فلطم وجهه فقال تقول هذا ورسول
الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا وكذا وقع في حديث ابي سعيد رضي الله
عنه ان الذي ضربه رجل من الانصار وهذا يعكر على قول عمرو بن دينار انه ابو
بكر الصديق رضي الله عنه الا ان كان المراد بالانصار المعنى الاعم فان ابا بكر
الصديق رضي الله عنه من انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعا بل

هو راس من نصره ومقدمهم وسائقهم فذهب اليهودي الى النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبره كان من امره وامر المسلم وزاد في رواية ابراهيم بن سعد
فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فساله عن ذلك فاخبره وفي رواية ابن الفضل
فقال اي اليهودي يا ابا القاسم ان لي ذمة وعهدا فما بال فلان لطم وجهي فقال لم
لطمت وجهه فذكره فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حتى رئي في وجهه وفي حديث
ابي سعيد رضي الله عنه فقال ادعوه اي فجاء فقال لم ضربته قال سمعته بالسوق
فذكر القصة فقال لا تخيروني على موسى وفي رواية ابي الفضل فقال لا تفضلوا
بين انبياء الله وفي حديث ابي سعيد رضي الله عنه لا تفضلوا بين الانبياء
فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق وفي رواية ابراهيم بن سعد
فان الناس يصعقون يوم القيمة فاصعق معهم فاكون اول من يفيق
لم يبين في رواية الزهري من الطريقين محل الافاقة من اي الصعقتين
ووقع في رواية عبد الله بن الفضل فانه ينفخ في الصور فيصعق من في
السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم ينفخ فيه اخرى فاكون اول من
بعث وفي رواية الكشميهني اول من يبعث والمراد بالصعق غشي يلحق من سمع
صوتا او رأى شيئا فيفزع منه وهذه الرواية ظاهرة في الافاقة بعد النفخة الثانية
واصرح من ذلك رواية الشعبي عن ابي هريرة رضي الله عنه في تفسير الزمر
بلفظ انا اول من يرفع راسه بعد النفخة الاخيرة واما ما وقع في حديث
ابي سعيد رضي الله عنه فان الناس يصعقون يوم القيمة فاكون
اول من تنشق عنه الارض فيمكن الجمع بان النفخة الاولى يعقبها الصعق
من جميع الخلق احيائهم وامواتهم وهو الفزع كما وقع في سورة النمل ففزع
من في السموات ومن في الارض ثم يعقب ذلك الفزع للموتى زيادة فيما هم
فيه وللاحياء موتا ثم ينفخ الثانية للبعث فيفيقون اجمعون فمن كان
مقبورا انشقت عنه الارض فخرج من قبره ومن ليس بمقبور لا يحتاج
الى ذلك وقد ثبت ان موسى عليه السلام ممن قبر في الحيوة الدنيا وفي
صحيح مسلم عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مررت

على موسى ليلة اسري بي عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلي في قبره اخرجه
125 عقب حديث ابي هريرة رضي الله عنه وابي سعيد رضي الله عنه المذكورين
ولعله اشار بذلك الى ما قرر وقد استشكل كون جميع الخلق يصعقون مع
ان الموتى لا احساس لهم فقيل المراد ان الذين يصعقون هم الاحياء واما
الموتى فهم في الاستثناء في قوله تعالى الا من شاء الله اي الا من سبق له الموت
قبل ذلك فانه لا يصعق واليه جنح القرطبي ولا يعارضه ما ورد في هذا الحديث
ان موسى عليه السلام ممن استثنى الله لان الانبياء عليهم السلام احياء عند
الله تعالى وان كانوا في صورة الاموات بالنسبة الى اهل الدنيا وقد ثبت
ذلك للشهداء ولا شك ان الانبياء عليهم السلام ارفع رتبة من الشهداء
وقد ورد التصريح بان الشهداء ممن استثنى الله اخرجه اسحق بن راهويه من
طريق زيد بن اسلم عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال القاضي
عياض يحتمل ان يكون المراد صعقة فزع بعد البعث حين تنشق
السموات والارض وتعقبه القرطبي بانه صرح صلى الله عليه وسلم بانه
حين يخرج من قبره يلقى موسى وهو متعلق بالعرش وهذا انما هو عند
نفخة البعث انتهى ويرده قوله صريحا كما تقدم ان الناس يصعقون
فاصعق معهم الى اخر ما تقدم ثم قوله فاكون اول من يفيق لم تختلف
الروايات في الصحيحين في اطلاق الاولية ووقع في رواية ابراهيم بن
سعد عند احمد والنسائي فاكون اول من يفيق اخرجه احمد عن ابي كامل
والنسائي من طريق يونس بن محمد كلاهما عن ابراهيم فعرف ان اطلاق
الاولية في غيرها محمول عليها وسببه التردد في موسى عليه السلام كما سيأتي
وعلى هذا يحمل سائر ما ورد في هذا الباب كحديث انس رضي الله عنه عند
مسلم رفعه انا اول من تنشق عنه الارض وحديث عبد الله بن سلام
عند الطبراني فاذا موسى باطش بجانب العرش اي اخذ بشيء من العرش
بقوة والبطش الاخذ بقوة وفي رواية ابن الفضل فاذا موسى آخذ
بالعرش وفي حديث ابي سعيد رضي الله عنه آخذ بقائمة من قوائم العرش

وكذا في رواية محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه فلا ادري
اكان فيمن ويروى ممن صعق فافاق قبلي او كان ممن استثنى الله عز وجل
اي فلم يكن ممن صعق اي فان كان افاق قبلي فهي فضيلة ظاهرة وان كان
ممن استثنى الله فهي فضيلة ايضا ووقع في حديث ابي سعيد رضي الله عنه
فلا ادري اكان فيمن صعق فافاق قبلي ام حوسب بصعقة الاولى اي التي
صعقها لما سأل الرؤية وبين ذلك ابن الفضل في روايته بلفظ احوسب بصعقة
يوم الطور والجمع بينه وبين قوله او كان ممن استثنى الله ان في رواية ابن
الفضل وحديث ابي سعيد رضي الله عنه بيان السبب في استثنائه وهو انه
حوسب بصعقة يوم الطور فلم يكلف بصعقة اخرى والمراد بقوله ممن استثنى
الله قوله الا من شاء الله واغرب الداودي الشارح فقال معنى قوله استثنى
الله اي جعله ثانيا لي كذا قال وهو غلط شنيع وقد وقع في مرسل الحسن في كتاب
البعث لابن ابي الدنيا في هذا الحديث فلا ادري اكان ممن استثنى الله ان
لا تصيبه النفخة او بعث قبلي ووقع في رواية محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن
ابن مردويه انا اول من تنشق الارض عنه يوم القيمة فانفض التراب
عن راسي فآتي قائمة العرش فاجد موسى قائما عندها فلا ادري انفض
التراب عن راسه قبلي او كان ممن استثنى الله ويحتمل قوله في هذه الرواية انفض
التراب قبلي تجويز سبقه في الخروج من القبر او هو كناية عن الخروج من القبر
وعلى كل تقدير ففيه فضيلة لموسى عليه السلام كما تقدم ومطابقة الحديث
للترجمة ظاهرة وقد مضى الحديث في كتاب الخصومات في باب ما يذكر في الاشخاص
تذييل زعم ابن حزم ان النفخات يوم القيمة اربع الاولى نفخة اماتة يموت
من بقي حيا في الارض والثانية نفخة احياء يقوم بها كل ميت وينشرون من
القبور ويجمعون للحساب والثالثة نفخة فزع وصعق يفيقون منها كالمغشي
عليه لا يموت منها احد والرابعة نفخة افاقة من ذلك الغشي قال الحافظ
العسقلاني وهذا الذي ذكره من كون الثنتين اربعا ليس بواضح بل هما نفختان
ووقع التغاير في كل منهما باعتبار من يسمعهما فالاولى يموت بها من كان

126
حيا ويغشى على من لم يمت ممن استثنى الله والثانية يعيش بها من
مات ويفيق بها من غشي عليه والله اعلم وقال العلماء في نهيه صلى الله عليه
وسلم عن التفضيل بين الانبياء عليهم السلام انما نهى عن ذلك من يقوله
برايه لا من يقوله بدليل او من يقوله بحيث يؤدي الى تنقيص المفضول
او يؤديه الى الخصومة والتنازع او المراد لا تفضلوا بجميع انواع الفضائل
بحيث لا يترك للمفضول فضيلة فالامام مثلا اذا قلنا انه افضل من المؤذن
لا يستلزم نقص فضيلة المؤذن بالنسبة الى الاذان وقيل النهي عن التفضيل
انما هو في حق النبوة نفسها لقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وقال
الحليمي الاخبار الواردة في النهي عن التخيير انما هي في مجادلة اهل الكتاب وتفضيل
بعض الانبياء على بعض بالمخايرة لان المخايرة اذا وقعت بين اهل
دينين لم يؤمن ان يخرج احدهما الى الازراء بالآخر فيفضي الى الكفر فاما اذا
كان التخيير مستندا الى مقابلة الفضائل لتحصيل الرجحان فلا يدخل في النهي والله
تعالى اعلم حدثنا عبد العزيز بن عبد الله اي ابن يحيى القرشي الاويسي
المدني وهو من افراده قال اخبرنا ابراهيم بن سعد اي ابن ابراهيم بن
عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي المدني كان على قضاء بغداد عن ابن
شهاب الزهري عن حميد بن عبد الرحمن ان ابا هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى اي تحاجا اما ان يكون
ذلك بارواحهما او يكون ذلك يوم القيمة والاول اظهر وقال القاضي عياض
ويحتمل ان يحمل على ظاهره وانهما اجتمعا باشخاصهما وقد ثبت في حديث
الاسراء انه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالانبياء عليهم السلام في السموات
وفي البيت المقدس وصلى بهم ولا يبعد ان الله احياهم كما احيى الشهداء
ويحتمل ان يكون جرى ذلك في حيوة موسى عليه السلام سأل الله تعالى ان
يريه آدم عليه السلام فحاجه فقال له موسى انت آدم الذي اخرجتك
خطيئتك من الجنة والمراد بالخطيئة الاكل من الشجرة المنهي عنها بقوله ولا
تقربا هذه الشجرة وجاء في مثله اخرجتك واخرجته بالخطاب والغيبة

ومنه انا الذي سمتني امي حيدره اي سمته قال له ادم انت موسى الذي
اصطفاك برسالته وبكلامه اي جعلك صافيا خالصا عن شائبة ما لا
يليق بك وفيه تلميح الى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما ثم تلومني بكلمة ثم المثلثة
وميم مشددة في رواية الاكثرين وفي رواية الاصيلي وتستلمني بكسر السين
الموحدة وفتح الميم المخففة على امر قدر علي قبل ان اخلق فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحج ادم بالرفع باتفاق الرواة موسى اي غلبه بالحجة وظهر
عليه بها وقال الطيبي اي غلب عليه بالحجة بان الزمه ان ما صدر عنه لم يكن
هو مستقلا به متمكنا من تركه بل امرا مقضيا مرتين اي قال ذلك مرتين و
قال الخطابي انما حجه ادم في رفع اللوم اذ ليس لاحد من الادميين ان يلوم
احدا به واما الحكم الذي تنازعاه فانما هما في ذلك على السواء اذ لا يقدر احد
ان يسقط الاصل الذي هو القدر ولا ان يبطل الكسب الذي هو السبب ومن
فعل واحدا منهما خرج عن القصد الى احد الطرفين مذهب القدر او الجبر
وفي قول ادم عليه السلام استقصار لعلم موسى عليه السلام يعني اذا جعلك
الله بالصفة التي انت عليها من الاصطفاء بالرسالة والكلام فكيف يسعك
ان تلومني على القدر الذي لا مدفع له وحقيقته انه دفع حجة موسى التي
الزمه بها اللوم وذلك ان الاعتراض والابتداء بالمسألة كان من موسى
عليه السلام وعارضه ادم عليه السلام بما دفع به اللوم فكان هو الغالب
وقال النووي معناه انك تعلم انه مقدور وما صدر مني مقدور فلا تلمني و
ايضا اللوم شرعي لا عقلي واذ تاب الله عليه وغفر له زال عنه اللوم فمن لامه
كان محجوجا بالشرع فان قيل فالعاصي لو قال هذه المعصية كانت بتقدير
الله تعالى لم لا تسقط عنه ملامته فالجواب انه باق في دار التكليف جار عليه
احكام المكلفين وفي لومه زجر له ولغيره واما ادم عليه السلام فخارج عن هذه
الدار وعن الحاجة الى الزجر فلم يكن في هذا القول فائدة سوى التخجيل ونحوه وقال
التوربشتي ليس معنى قول ادم عليه السلام كتبه الله علي الزمني اياه واوجبه علي فلم
يكن لي في تناوله الشجرة كسب واختيار وانما معناه اثبته في ام الكتاب قبل كوني

وحكم بان ذلك كائن لا محالة لعلمه السابق فهل يمكن ان يصدر عني خلاف
علم الله تعالى فكيف تغفل عن العلم السابق وتذكر الكسب الذي هو السبب
وتنسى الاصل الذي هو القدر وانت ممن اصطفاك الله من المصطفين
الاخيار الذين يشاهدون اسرار الله من وراء الاستار وفي الحديث ان الجنة
مخلوقة وان المحاجة جائزة وان الكسب حق وان لا جبر ولا قدر ولكن امر بين
امرين ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وقد اخرجه البخاري في التوحيد ايضا
واخرجه مسلم في القدر حدثنا مسدد قال اخبرنا حصين بضم الحاء وفتح الصاد
المهملتين بن نمير مصغر النمر الحيوان المشهور ابو محصن الواسطي عن
حصين بن عبد الرحمن بصيغة التصغير ايضا ابو الهذيل الكوفي الهمداني
بسكون الميم كان يصلي كل يوم الف ركعة ولما كبر كان له وتد يعتمد عليه وعبد
الرحمن هو السلمي المقرئ المشهور عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال خرج علينا رسول الله ويروى النبي صلى الله عليه وسلم
يوما فقال عرضت علي الامم ورايت سوادا كثيرا وهو الذي يعبر به عن الجماعة
الكثيرة سد الافق الافق بضمتين واحد افاق السماء والارض وهي نواحيها
وقال ابن الاثير ويجوز ان يكون الافق واحدا وجمعا كالفلك فقيل هذا في
قومه قال ابن التين يدل هذا الحديث على ان امة موسى عليه السلام اكثر الامم
بعد امة محمد صلى الله عليه وسلم ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وقد
اخرجه البخاري في الطب مطولا وفي الرقاق واخرجه مسلم في الايمان والترمذي
في الزهد والنسائي في الطب باب قول الله عز وجل وضرب الله مثلا للذين
امنوا امراة فرعون الى قوله وكانت من القانتين والاية في اخر سورة
التحريم قال الله تعالى وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون مثل حال
المؤمنين في ان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم و
زلفاهم عند الله بحال امراة فرعون ومنزلتها مع كونها امراة اعدى اعداء
الله الناطق بالكلمة العظمى والمراد بامراة فرعون اسية بنت مزاحم اذ قالت
ظرف للمثل المحذوف رب ابن لي عندك بيتا في الجنة وقيامن رحمتك

او في اعلى درجات المقربين والا فالعندية تحقيقية لا تستقيم كما لا يخفى
ونجني من فرعون وعمله اي من نفسه الخبيثة وعمله السيء ونجني من القوم
الظالمين من القبط التابعين له في الظلم وروي انه لما غلب موسى عليه
السلام سحرة فرعون امنت به فلما تبين ايمانها لفرعون وتد عليها او
يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها في الشمس وامر بصخرة عظيمة لتلقى
عليها فلما اتوا بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فابصرت بيتها
في الجنة من درة وانتزع الله روحها فالقيت الصخرة عليها وليس في
جسدها روح فلم تجد المًا من عذاب فرعون وروي ان فرعون لما علم
بايمانها طلب منها ان ترجع فابت ولم ترجع عن ايمانها فوتد لها باربعة
اوتاد في يديها ورجليها وجعل على صدرها حجر رحى وجعلها في الشمس
فاراها الله بيتها في الجنة فنسيت ما هي فيه من العذاب فضحكت فقالوا
عند ذلك مجنونة تضحك وهي في العذاب وروى ابو عثمان النهدي عن
الفارسي قال كانت امراة فرعون تعذب في الشمس فاذا اوذيت اظلتها الملائكة
باجنحتها ورأت مقعدها من الجنة وعن الحسن وابن كيسان رفع الله امراة
فرعون الى الجنة فهي فيها تاكل وتشرب ومريم امراة عمران عطف على امراة
فرعون اي وضرب الله مثلا للذين امنوا مريم ابنت عمران وما اوتيت
من كرامات الدنيا والاخرة والاصطفاء على نساء العالمين وفيه تسلية
للارامل الصالحات التي احصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه اي في فرجها
والمراد بالفرج هنا الجيب فانما نفخ جبرئيل عليه السلام في جيب درعها ففيه
استخدام وذلك لان كل خرق في الثوب يطلق عليه الفرج ومنه قوله تعالى
وما لها من فروج وقرئ فيها اي في مريم او في الجملة يراد به احياء مريم لان
نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه وليس المراد احياء مريم بل المراد
احياء عيسى عليه السلام في مريم والتقدير نفخنا الروح في عيسى في مريم
اي احييناه فيها من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت
بكلمات ربها الصحف المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتبه وما كتب في اللوح

128 او جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ
بكلمة الله وكتبه اي بعيسى والانجيل وكانت من القانتين من عداد
المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها
لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم او المعنى انها
كانت من نسلهم فتكون من ابتدائية وانما ذكر البخاري الاية المتضمنة
لقصة مريم عليها السلام لكونها مذكورة مع اسية وليست مقصودة
من الترجمة حدثنا يحيى بن جعفر اي ابن اعين ابو زكريا البخاري البيكندي
وهو من افراده مات سنة ثلاث واربعين ومائتين قال اخبرنا وكيع
عن شعبة عن عمرو بن مرة بضم الميم وتشديد الراء المرادي الاعمى الكوفي
وقد مر في كتاب الصلوة عن مرة الهمداني وهو مرة بن شراحيل الكوفي
وهو مخضرم ثقة عابد من كبار التابعين ويقال له مرة الطيب ومرة
الخير كان يصلي كل يوم الف ركعة ولما كبر كان له وتد يعتمد عليه وهو غير
والد عمرو بن مرة فانه مرة بن عبد الله بن طارق الجملي بفتح الجيم والميم
المرادي ثقة عابد من صغار التابعين عن ابي موسى هو عبد الله بن
قيس الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كمل بضم الميم وفتحها وكسرها ثلاث لغات والمراد الكمال التناهي في جميع
الفضائل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اسية امراة فرعون
واسية بالمد وكسر المهملة وتخفيف التحتية وهي بنت مزاحم ابنة عم
فرعون وقيل انها من العمالقة وقيل من بني اسرائيل من سبط موسى
وقال السهيلي هي عمة موسى وكانت لها فراسة حين قالت قرة عين
لي ولك ومريم بنت عمران ام المسيح عليه السلام حملت به ولها ثلث
عشرة سنة وعاشت بعد ما رفع ستا وستين سنة وماتت ولها مائة
اثنتا عشرة سنة وفيه اختلاف واستدل بهذا الحصر على ان اسية
ومريم نبيتان لان اكمل النوع الانسان الانبياء ثم الاولياء والصديقون
والشهداء فلو كانتا غير نبيتين للزم ان لا يكون في النساء ولية

ولا صديقة ولا شهيد والواقع ان هذه الصفات في كثير منهن موجودة
فكانه قال لم تنبأ من النساء الا فلانة ولا فلانة ولو قيل لم تثبت صفة
الصديقية او الولاية او الشهادة الا لفلانة وفلانة لم يصح لوجود ذلك في
غيرهن الا ان يكون مراد بالحديث كمال غير الانبياء فلا يتم الدليل على ذلك
لاجل ذلك وقال القرطبي الصحيح ان مريم نبية لان الله تعالى اوحى اليها بواسطة
الملك واما اسية فلم يرد ما يدل على نبوتها وقال الكرماني لا يلزم من لفظ الكمال
ثبوت نبوتهما لانه يطلق لتمام الشيء وتناهيه في بابه فالمراد تناهيهما في
جميع الفضائل التي للنساء قال وقد نقل الاجماع على عدم نبوة النساء
كذا قال وقد نقل عن الاشعري ان من النساء من نبي وهن ست حوا
وسارة وام موسى وهاجر واسية ومريم والضابط عنده ان من جاءه
الملك عن الله تعالى بحكم او امر ونهي او باعلام شيء وهو نبي وقد ثبت
مجيء الملك لهولاء بامور شتى من ذلك من عند الله عز وجل ووقع التصريح
بالايحاء لبعضهن في القران وقد قال الله تعالى بعد ان ذكر مريم والانبياء
بعدها اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين فدخلت في عمومه وذكر
ابن حزم في الملل والنحل ان هذه مسالة لم يحدث التنازع فيها الا في
عصره بقرطبة وحكى عنهم اقوالا ثالثها الوقف قال وحجة المانعين قوله
تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم قال وهذا لا حجة فيه لان
احدا لم يدع فيهن الرسالة وانما الكلام في النبوة فقط قال اصرح ما ورد
في ذلك قصة مريم وفي قصة ام موسى ما يدل على ثبوت ذلك لها من
مبادرتها بالقاء ولدها في البحر بمجرد الوحي اليها بذلك ثم ان من فضائل
اسية امراة فرعون انها اختارت القتل على ملك والعذاب في الدنيا
على النعيم الذي كانت **وان فضل عائشة على النساء** اي على نساء هذه
الامة **كفضل الثريد على سائر الطعام** فانه افضل طعام العرب قال
الشاعر اذا ما الخبز تادمه بلحم فذاك امانة الله الثريد وقال النووي
الثريد من كل الطعام افضل من خبز في فتريد اللحم افضل من مرقه بلا ثريد

والمراد بالفضيلة نفعه والشبع منه وسهولة مساغه والالتذاذ به
وتيسر تناوله وتمكن الانسان من اخذ كفايته منه بسرعة وكان اجل
اطعمتهم يومئذ وهو من ثردت الخبز ثردا كسرته فهو ثريد ومثرود
والاسم الثردة بالضم والثريد غالبا لا يكون الا باللحم وقال ابن الاثير في قوله
صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء الحديث قيل لم يرد عين
الثريد وانما اراد الطعام المتخذ من اللحم والعرب قلما تجد طبيخا ولاسيما
بلحم وفيه اشارة الى كونها جامعة لحسن الخلق وحلاوة المنطق وجودة
القريحة وفصاحة اللهجة ونحوها من حسن التبعل وغيره وليس في
الحديث تصريح بافضلية عائشة رضي الله عنها على غيرها مطلقا لانه
شبه فضلها بفضل الثريد على غيره من الطعام لما فيه من تيسر مؤنته
وسهولة الاساغة وغير ذلك مما ذكر وكل هذه الخصال لا تستلزم الافضلية
له من كل وجه فقد يكون مفضولا بالنسبة الى غيره من جهات اخرى
وقد ورد من طريق صحيح ما يقتضي افضلية خديجة رضي الله عنها على غيرها
وذلك فيما سيأتي في قصة مريم من حديث علي رضي الله عنه بلفظ خير
نسائها خديجة وجاء في طريق اخرى ما يقتضي افضلية خديجة وفاطمة رضي
الله عنها فيما اخرجه ابن حبان واحمد وابو يعلى والطبراني وابو داود
في كتاب الزهد والحاكم كلهم من طريق موسى بن عقبة عن كريب عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
افضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت
عمران واسية امراة فرعون وله شاهد من حديث ابي هريرة رضي الله
عنه رواه الطبراني في الاوسط واحمد في مسنده من حديث ابي سعيد
رضي الله عنه رفعه فاطمة سيدة نساء اهل الجنة الا ما كان من مريم
بنت عمران واسناده حسن وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين باربع مريم بنت
عمران واسية امراة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد رواه

احمد والترمذي وابن عساكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال خط
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الارض اربعة خطوط فقال اتدرون ما هذا
قالوا الله ورسوله اعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل نساء
اهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران واسية
بنت مزاحم امراة فرعون رواه النسائي وابو يعلى وابن عساكر وروى
الامام احمد من حديث ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاطمة سيدة نساء اهل الجنة الا ما كان لمريم بنت عمران
وهذا يدل على ان فاطمة ومريم افضل هذه الاربع ثم يحتمل الاستثناء ان
يكون مريم افضل من فاطمة ويحتمل ان يكونا على السواء في الفضيلة لكن
ورد حديث ان صح عين الاحتمال الاول وهو ما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء اهل الجنة
مريم بنت عمران ثم فاطمة ثم خديجة ثم اسية امراة فرعون رواه ابن
عساكر فان كان هذا اللفظ محفوظا ثم للترتيب فهو مبين لاحد الاحتمالين ليس
اللذين دل عليهما الاستثناء ويقدم على ما تقدم من الالفاظ التي وردت
بواو العطف التي لا تقتضي الترتيب ولا تنفيه وقد روى هذا الحديث ابو حاتم
الرازي باسناده الى ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا وذكره بواو العطف
لا بثم التي للترتيب فحينئذ يختلف اسنادا ومتنا ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة
وقد اخرجه البخاري في فضل عائشة وفي الاطعمة ايضا واخرجه مسلم في الفضائل
والترمذي في الاطعمة والنسائي في مناقب وفي عشرة النساء وابن ماجه
في الاطعمة **باب ان قارون كان من قوم موسى الاية** والاية في اواخر
سورة القصص قال الله تعالى ان قارون هو اسم اعجمي مثل هرون غير
منصرف للعلمية والعجمة ولو كان وزنه فاعولا لانصرف كان من قوم موسى
اي من عشيرته وفي نسبه الى موسى عليه السلام ثلثة اقوال احدها انه كان
ابن عمه قاله سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما وروى ابن
ابي حاتم باسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان ابن عم

130

موسى يعني انه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي وبه قال قتادة
وابراهيم النخعي وعبد الله بن الحارث وسماك بن حرب وابن جريج
والثاني انه ابن خالته رواه عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما و
الثالث انه عم موسى عليه السلام قاله ابن اسحق والاول اصح وقيل يعني
كونه من قوم موسى انه امن به وكان اقرأ بني اسرائيل للتورية ولكنه
نافق كما نافق السامري قال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان
لهرون ويروى والحبورة لهرون وانا في غير شيء الى متى اصبر فبغى عليهم
اي وطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره وعن قتادة انه تكبر
عليهم وقيل ظلمهم حين ملكه فرعون على بني اسرائيل وقيل حسدهم وقال
الضحاك بغيه عليهم كفره بالله وقال عطاء هو انه زاد في طول ثيابه
شبرا وقال ابن عباس رضي الله عنهما بغيه هو قذفه لموسى عليه السلام
ببغية جعل لها جعلا كما سيجيء قصته واتيناه من الكنوز من الاموال
المدخرة ما ان مفاتحه كلمة ما موصولة والمراد بمفاتحه مفاتيح صناديقه
جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح لتنوء
بالعصبة اولي القوة وهو خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي اتى
واللام للتأكيد وتنوء مضارع ناء ينوء يقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله
والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة وقيل العصبة العشرة وقيل خمسة
عشر وقيل اربعون وقيل من عشرة الى اربعين وعن ابن عباس
رضي الله عنهما العصبة في هذا الموضع اربعون رجلا واعصوصبوا اجتمعوا
والمعنى هنا لتنوء العصبة اي القوة عن حمل مفاتيح الخزائن وقيل معناه
تميل بها العصبة اذا حملتها من ثقلها وقرئ لينوء بالياء على اعطاء
المضاف حكم المضاف اليه وروي ان مفاتيح خزائنه كانت وقر ستين
بغلا الغر المحجلة لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من
جلود الابل ويقال كانت من الحديد فثقلت عليه فجعلها من خشب
فثقلت عليه فجعلها من جلود البقر وكانت خزائنه تحمل معه حيثما ذهب

قال البورزين يكفي الكوفة مفتاح يعني يكفي الكوفة كنز واحد من كنوزه
مع كثرة ابل الكوفة وهو بيان للكثرة وفي رواية اخرى ان قارون حصل
اموالا عظيمة جدا حتى قيل انه كان مفاتيح خزائنه وكانت من جلود تحمل على
اربعين بغلا وكان يمكن بتنيس يحكى ان عبد العزيز يحوي ظفر
بعض كنوز قارون وهو امير على تنيس فلما مات ما امر ابنه يحيى بن عبد
العزيز عن ذلك فيقال ان عليا كتب الى اخيه يحيى اني استنبطت لك من
مال ابيك مائة الف دينار فخذها فقال انا تركت الكثير من ماله لانه لم يطب
لي وكيف اخذ هذا القليل وقد روى البخاري في هذا الصحيح عن يحيى بن عبد
العزيز هذا وقوله اولي القوة صفة العصبة اذ قال قومه ظرف اذ منصوب
المحل بقوله لتنوء لا تفرح اي لا تبطر وهو كقوله تعالى ولا تفرحوا بما اتاكم
وقول القائل ولست بمفراح اذا الدهر سرني ولا بجزوع حين ينكبني الدهر
وذلك انه لا يفرح في الدنيا الا من رضي بها واطمأن اليها واما من قلبه
الى الاخرة ويعلم انه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح والحاصل
ان الفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول
عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب
الترح وما احسن ما قال القائل اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه
صاحبه انتقالا ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما اتاكم وعلل النهي ههنا
بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال ان الله لا يحب الفرحين اي البطرين
بزخارف الدنيا وابتغ فيما اتاك الله من الغنى والثروة الدار الاخرة
بان تفعل فيه افعال الخير من اصناف الواجب والمندوب وتصرفه الى
ما يوجب لك الدار الاخرة وتجعله زادك الى الاخرة فان المقصود منه
ان يكون وصلة اليها ولا تنس اي ولا تترك ترك المنسي نصيبك من
الدنيا وهو ان تحصل بها اخرتك او تاخذ منه ما يكفيك ويصلحك واحسن
عباد الله كما احسن الله اليك فيما انعم عليك او احسن بالشكر والطاعة
له كما احسن الله تعالى اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض بمر

يكون علة للظلم والبغي وهو ما كان عليه من الظلم والبغي ان الله
لا يحب المفسدين لسوء افعالهم وقيل ان القائل هو موسى عليه السلام
قال انما اوتيته على علم عندي اي انما اوتيت التفوق على الناس بالجاه
والمال على استحقاق واستيجاب لما في من العلم الذي فضلت به على الناس
وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل في التورية وعلم علي في موضع الحال وقيل
هو علم الكيمياء وعن سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم
علم الكيمياء فافاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه فخدعهما
قارون حتى اضاف علمهما الى علمه فكان ياخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما
ذهبا وقيل علم الله موسى علم الكيمياء فعلمه موسى اخته فعلمته اخته قارون
وقيل هو تبصره بانواع التجارة والدهقنة وساير المكاسب وقيل علم
بكنوز يوسف عليه السلام وعندي صفة له وقيل متعلق بقوله اوتيته
بمعنى عندي في ظني كما تقول الامر عندي كذا كانه قال انما اوتيته على علم كقوله
تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم ثم زاد عندي اي هو في
ظني ورايي هكذا اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو
اشد منه قوة واكثر جمعا تعجيب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع
علمه بذلك لانه قرا في التورية واخبره موسى عليه السلام وسمعه من
حفاظ التواريخ والايام كانه قيل اولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا
حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته فيكون اثباتا لعلمه وتعجبا من امره وتوبيخا
له ويجوز ان يكون ردا لادعائه العلم ونفيا لعلمه وتعظمه به لانه لما قال
اوتيته على علم عندي فتنفج بالعلم وتعظم به قيل اعنده مثل هذا العلم الذي
ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى
يقي نفسه مصارع الهالكين وقوله تعالى واكثر جمعا اي للمال او جماعة
وعددا ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون اي لا يسالون سوال استعلام
فانه تعالى مطلع عليها او سوال معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كانه
لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد

ذلك ببيان انه لم يكن يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم لا
يحتاج الى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على ان يعاقبهم عليها
كقوله تعالى والله خبير بما تعملون والله بما تعملون عليم واما قوله تعالى
فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون فمعناه سؤال توبيخ و
تقريع كما قال الحسن لا يسألون ليعلم ذلك من قبلهم فخرج على
قومه في زينته قال الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء
عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف على زيه وقيل
عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره
ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم
الثياب المعصفرات وهو اول يوم رئي فيه المعصفر والله اعلم قال الذين
يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم كان
المتمنون قوما من مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار كما هو
عادة البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله وينفقوه في سبيل الخير
وقيل كانوا قوما كفارا الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان
تزول عنه والحاسد هو الذي يتمنى ان يكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة
قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون ومن الحسد قوله تعالى ولا تتمنوا ما
فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر
الغبط فقال لا الا كما يضر العضاه الخبط والحظ الجد وهو البخت والدولة و
صفوه بانه رجل مجدود ومبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ
وما الدنيا الا احاظ وجدود وقال الذين اوتوا العلم باحوال الاخرة
للمتمنين ويلكم وبلك اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث
على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا ابا لك واصله الدعاء بالاقراف والتهمة في
الحث على الفعل ثواب الله في الاخرة خير لمن آمن وعمل صالحا مما اوتي قارون
من الدنيا وما فيها ولا يلقيها الضمير للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب
فانه في معنى المثوبة او الجنة او للسيرة والطريقة وهي الايمان والعمل الصالح

الا الصابرون على الطاعات وعلى ما قسم الله من القليل وعن الشهوات
132 والمعاصي والكثير من الدنيا فخسفنا به وبداره الارض روي ان قارون
كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما
حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد من الدراهم والدنانير
فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى اراد كم
على كل شيء وهو يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا وسيدنا فمر بما
شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو اسرائيل
فجعل لها الف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب
مملوءة ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى خطيبا فقال يا بني اسرائيل
من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه
وان احصن رجمناه فقال قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال
فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالذي
فلق البحر وانزل التورية ان تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل
لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب
ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فانها
مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون
فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير
رجلين ثم قال يا ارض خذيهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط
ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون الى موسى
ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال
خذيهم فانطبقت عليهم واوحى الله الى موسى ما افظك استغاثوا بك
مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي لو اياي دعوا مرة لوجدوني قريبا مجيبا فاصبحت
بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره و
كنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله وكذا روى ابن ابي حاتم
باسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما فما كان له من فئة اي اعوان

مشتقة من فاوت راسه اذا ميلته ينصرونه من دون الله يدفعون
عنه عذابه وما كان من المنتصرين اي الممتنعين منه من قولهم نصره من
عدوه فانتصر اذا منعه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه اي منزلته من
الدنيا بالامس اي منذ زمان قريب فانه قد يذكر الامس ولا يراد به اليوم
الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة يقولون
ويكان الله وي مفصولة عن كان وهي كلمة تنبه على الخطا وتندم ومعناه
ان القوم قد تنبهوا على الخطا في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون
وتندموا ثم قال كان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ومعنى
ما اشبه الامر الم تعلم ان الله يبسط ويقدر بمقتضى مشيته لا لكرامة تقتضي
البسط ولا لهوان يوجب القبض وهو مذهب الخليل وسيبويه قال الشاعر
سالتاني الطلاق اذ رأتاني قل مالي قد جئتماني بنكر وي كان من يكن له
نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر يقول امراتان سالتاني الطلاق في
حين رأتا قلة مالي ما اشبه الامر ان من يكون ذا مال يكون محبوبا ومن
يفتقر يعش في ضر وحكى الفراء ان اعرابية قالت لزوجها اين ابنك فقال
ويكانه وراء البيت يعني اما ترينه وراء البيت وعند الكوفيين ويك بمعنى
ويلك وبمعنى ويك الم تعلم ان الله ويجوز ان يكون الكاف كاف الخطاب
مضمومة الى وي اسم فعل بمعنى اعجب كقوله • ولقد شفى نفسي واذهب
سقمها • قيل الفوارس ويك عنتر اقدم • اصله عنترة فرخم في النداء
اي يا عنترة اقدم يعني قدم نفسك وتقدم الخليل وانه بمعنى لانه اي اعجب
لانه واللام محذوفة لبيان المقول لاجله هذا القول وهو ويك او التقدير
لان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر كان ما كان ومن الناس من
يقف على وي ويبتدي كانه ومنهم من يقف على ويك لولا ان منّ الله
علينا فلم يعطنا ما تمنينا لخسف بنا لتوليده فينا ما ولده فيهم فخسف به لاجله
وعن الاعمش لو لا من الله علينا ويكانه لا يفلح الكافرون اي ما اشبه
الامر ان الكافرين لا ينالون الفلاح او ويلك الم تعلم انه لا يفلح الكافرون

او ويك لانه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون والمراد
الكافرون لنعمة الله او المكذبون برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الاخرة
تلك الدار الاخرة تلك تعظيم لها وتفخيم لشانها كانه قال تلك التي سمعت بذكرها
وبلغك وصفها والدار صفة والخبر قوله نجعلها للذين لا يريدون علوا
في الارض غلبة وقهرا ولا فسادا ظلما على الناس ولم يعلق الموعود بترك
العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا
تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي كرم الله وجهه ان
الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل
تحتها وعن الفضيل انه قراها ثم قال ذهبت الاماني ههنا وعن عمر بن عبد
العزيز انه كان يرددها حتى قبض ومنهم من يجعل من العلو تفرعون والفساد
تقرون لقوله تعالى ان فرعون علا في الارض ولا تبغ الفساد في الارض
ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الاخرة وقال
الزمخشري لم يتدبر من قال ذلك قوله تعالى والعاقبة للمتقين كما تدبره
علي والفضيل وعمر وذلك ان نقول يجوز ان يكون المراد من المتقي من
مثل عمل فرعون وقارون والله تعالى اعلم ثم ان المولف رحمه الله
لم يذكر في قصة قارون الاثار التي سيجي وهي ثابتة في رواية المستملي والكشميهني
فقط **لتنوء لتثقل** اشارة الى ما في قوله تعالى ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة
اولي القوة وفسره بقوله لتثقل وهو تفسير ابن عباس رضي الله عنهما
اورده ابن ابي حاتم من طريق علي بن ابي طلحة عنه في قوله ما ان مفاتحه
لتنوء بالعصبة يقول تثقل وقد ذكرناه سابقا **قال ابن عباس رضي الله
عنهما اولي القوة لا يرفعها العصابة من الرجال** اي قال ابن عباس
رضي الله عنهما في تفسير اولي القوة لا يرفعها العصابة من الرجال وقد مر
هو انفا **يقال الفرحين المرحين** اشارة الى تفسير قوله تعالى ان الله
لا يحب الفرحين بان معناه المرحين وهو تفسير ابن عباس اورده
ابن ابي حاتم من طريق علي بن ابي طلحة عنه ومعناه انهم يبطرون فلا يشكرون

الله على نعمه ويكأن الله مثل ألم تر أن الله هو قول أبي عبيدة واستشهد
بقول الش ع من لم يكن له نشب البيت. ومعنى ألم تعلم أن الله و
تحقيقه قد مر في تفسير الآية فيما قبل وذهب قطرب إلى أن وي كلمة تفجع وكأن
حرف تشبيه استعمل في مقام حرف التحقيق للإيجاب إلى أن الظن كاف في
هذا الباب وقد مر أقوال النحاة في هذه الكلمة فيما مر يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر يوسع عليه ويضيق أشار به إلى ما في قوله تعالى قل إن ربي يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر وذكرها فإن فيهما مثل ما في الآية الأولى وأما في قوله
تعالى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ثم فسر قوله يبسط و
يقدر بقوله يوسع عليه ويضيق فقوله ويوسع تفسير قوله يبسط وقوله
ويضيق تفسير قوله ويقدر قال أبو عبيدة في قوله تعالى قل إن ربي يبسط
الرزق لمن يشاء أي يوسع ويكثر وفي قوله ويقدر هو مثل قوله ومن قدر
عليه رزقه أي ضاق ويقال قدر على عياله قدرا مثل قتر وقدر على
الإنسان رزقه قدرا مثل قتر ايضا باب قول الله تعالى وإلى مدين أخاهم
شعيبا قال الله تعالى وإلى مدين أخاهم شعيبا شعيب اسم عربي قال مقاتل
ذكره الله في القرآن في تسع مواضع وهو شعيب بن يوبب بن رعويل
بن عيفا بن مدين بن إبراهيم عليه السلام وقال وهب بن منبه شعيب
بن عيفا بن أيوب بن مدين وقال الثعلبي هو ابن نجردان بن أيوب
بن مدين وقال ابن إسحاق هو ابن ميكيل بن يشجر بن لاوي بن يعقوب
وقيل شعيب بن نويل بن رعويل بن يوبب بن عيفا بن مدين بن إبراهيم
عليه السلام وقيل شعيب بن ضيفون بن عيفا بن ثابت بن مدين
بن إبراهيم عليه السلام ويقال جدته أو أمه بنت لوط وكان ممن آمن
بإبراهيم عليه السلام وهاجر معه ودخل دمشق وقوله وإلى مدين أي وإلى
أهل مدين كما سيجيء وكانوا قوما عربا يقطعون الطريق ويخيفون المارة
ويبخسون المكاييل والموازين وكانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا
مكسوه وروي أنهم كانوا إذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه

بجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطعا ثم أخذوها بنقصان ظاهر
أو أعطوه بدلها زيوفا فأرسله الله إليهم قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من إله غيره أي وحدوه وقد قص الله قصته في القرآن وقال علماء السير
أقام شعيب مدة بعد هلاك قومه ووصل إليه موسى وزوجه بنته
وقال ابن الجوزي ثم خرج إلى مكة فمات بها وعمره مائة وأربعون سنة
ودفن في المسجد الحرام حيال الحجر الأسود وقال سبط وعند طبرية ساحل
قرية يقال حطين فيها قبر يقال إنه قبر شعيب عليه السلام وقال أبو
المفاخر إبراهيم بن جبريل في تاريخه أن شعيبا كان عمره ستمائة سنة
وخمسين سنة وروى ابن حبان في حديث أبي ذر الطويل أربعة من
من العرب هود وصالح وشعيب ومحمد فعلى هذا هو من العرب
العاربة وقيل إنه من عنزة بن أسد ففي حديث سلمة بن سعيد
أنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فانتسب إلى عنزة فقال نعم الحي
عنزة مبغي عليهم منصورون رهط شعيب وأختان عليه السلام
موسى أخرجه الطبري وفي إسناده مجاهيل إلى أهل مدين لأن مدين
بلد ومثله واسأل القرية واسأل العير يعني أهل القرية وأهل العير وهو
قول أبي عبيدة قاله في تفسير سورة هود وأشار بهذا إلى أن معنى
قوله وإلى مدين وإلى أهل مدين لأن مدين بلد وهي مدينة شعيب
عليه السلام على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو ست مراحل منها وبها
البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب عليه السلام
وهي الآن خراب وأشار بقوله واسأل القرية إلى أن نظير قوله تعالى
وإلى مدين أخاهم هو قوله واسأل القرية فإن المضاف فيهما محذوف
وهو لفظ أهل وكذلك قوله واسأل العير أي أهل العير لأن القرية
والعير لا يصح السؤال منها وراءكم ظهريا لم تلتفتوا إليه يقال إذا لم
تقض حاجته ظهرت حاجتي وجعلتني ظهريا أشار إلى ما في قوله تعالى
واتخذتموه وراءكم ظهريا وفسره بقوله لم تلتفتوا إليه ويقال إذا لم

نقض يعني اذا لم تقض حاجة من سالك بها تقول ظهرت حاجتي
بفتح الهاء وجعلتني ظهريا وهو منسوب الى الظهر وكسر الظاء من تغييرات
النسب كما تقول في امس امسي بكسر الهمزة قال ابو عبيدة في قوله تعالى
وراءكم ظهريا اي القيتموه خلف ظهوركم فلم تلتفتوا اليه وتقول للذي
لا يقضي حاجتك ولا يلتفت اليها ظهرت حاجتي وجعلتها ظهرية اي
خلف ظهرك قال الشاعر وجدنا بني البرصاء من ولد الظهر اي من
الذين يظهرون بهم ولا يلتفتون اليهم قال الظاهر ان القائل هو البخاري
والظهري ان تاخذ معك دابة او وعاء تستظهر به اشارة الى ان
الظهري بصورة النسبة يقال ايضا لمن ياخذ معه دابة او وعاء يستظهر
به اي يتقوى به مكانتهم ومكانهم واحد هكذا وقع وفيه نظر لان
في قصة شعيب هكذا ويا قوم اعملوا على مكانتكم بمعنى مكانكم واما مكانتهم
ففي سورة يس وهو قوله تعالى ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم وانما
وقع هكذا لانه قول ابي عبيدة في تفسير سورة يس في قوله على مكانتهم
قال المكان والمكانة واحد كالمقامة والمقام لكن الظاهر ان هذا
التفسير لا يتعين في قصة شعيب فان معناه لمسخناهم على مكانهم
بحيث يجمدون في ذلك المكان واما في قصة شعيب فمعنى قوله على
مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن
ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان
ومكانة كمقام ومقامة قلت بل يغنوا يعيشوا اشارة الى ما في قوله
تعالى كان لم يغنوا فيها وفسره بقوله يعيشوا ولما ذكر يغنوا بدون لم ذكر
تفسيره ايضا بدونه قال ابو عبيدة في قوله تعالى كان لم يغنوا فيها اي
لم ينزلوا فيها ولم يعيشوا فيها اي ولم يقيموا فيها قال ومعنى الدار وجمع
مغاني بالغين المعجمة تاس تحزن اشارة الى ما في قوله تعالى فلا تاس
على القوم الفاسقين بقوله تحزن ولم يذكر لفظ لا فيهما استطرادا
لقوله آسى احزن وهو اشارة الى قوله تعالى حكاية عن شعيب

عليه السلام فكيف آسى على قوم كافرين اي كيف احزن واتندم والتوجع
والا فلا تعلق لقوله تاس بقصة شعيب عليه السلام وقال الحسن اي
البصري انك لانت الحليم الرشيد يستهزؤن به وصله ابن ابي حاتم من
طريق ابي المليح عن الحسن البصري واراد الحسن انهم قالوا له ذلك على
سبيل الاستعارة التهكمية ومرادهم عكس ذلك اذ غرضهم انت السفيه
الغوي لا الحليم الرشيد وقوله به اي بشعيب عليه السلام وقال مجاهد ليكة
الايكة ليكة الايكة اشار به الى ما في قوله تعالى كذب اصحاب الايكة المرسلين
واشار الى ان ليكة على وزن ليلة هو نفس الايكة فنقل وحذف الالف
وقد قرئ بها في السبعة وقال الشاطبي الايكة كانت منازل قوم شعيب
عليه السلام من ساحل البحر الى مدين وكان شجرهم المقل والايكة عند
اهل اللغة الشجر الملتف وكانوا اصحاب شجر ملتف وقال الايكة الغيضة
وليكة اسم البلد حولها كما قيل في مكة وبكة وقال ابو جعفر النحاس ولا نعلم
ليكة اسم بلد يوم الظلة اظلال العذاب عليهم اشار به الى ما في قوله تعالى
فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة ويروى انهم حبس عنهم الهواء وسلط
عليهم الحر فاخذ بانفاسهم فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة
وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها نارا فاحترقوا واعلم انه لم يذكر البخاري
في قصة شعيب سوى هذه الاثار وهي للكشميهني والمستملي فقط وقد ذكر انه
قصته في الاعراف وهود والشعراء والعنكبوت وغيرها وقد جاء عن قتادة
انه ارسل الى الشيئين اصحاب مدين واصحاب الايكة ورجح بانه وصف
في اصحاب مدين بانه اخوهم بخلاف اصحاب الايكة وقال في اصحاب مدين
اخذتهم الصيحة والرجفة وفي اصحاب الايكة اخذهم عذاب يوم الظلة والجمهور
على ان اصحاب مدين هم اصحاب الايكة واجابوا عن ترك ذكر الاخوة
في اصحاب الايكة بانهم لما كانوا يعبدون الايكة ووقع في صدر الكلام
بانهم اصحاب الايكة ناسب ان لا يذكر الاخوة وعن الثاني بان المغايرة
في انواع العذاب ان كانت تقتضي المغايرة في المعذبين فليكن الذين

عذبوا بالرجفة غير الذين عذبوا بالصيحة والحق انهم اصابهم جميع ذلك
فانهم اصابهم حر شديد فخرجوا من البيوت فاظلتهم سحابة فاجتمعوا
تحتها فرجفت بهم الارض من تحتهم واخذتهم الصيحة من فوقهم وامطرت
السحابة نارا فاحترقوا وهلكوا والله تعالى اعلم **باب قول الله عز وجل وان
يونس لمن المرسلين الى قوله وهو مليم** والاية في اواخر الصافات قال الله
تعالى وان يونس لمن المرسلين وهو يونس بن متى بفتح الميم وتشديد
المثناة الفوقية مقصورا ووقع في تفسير عبد الرزاق ان متى اسم امه وقيل
ولم يشتهر نبي بامه غير يونس والمسيح عليهما السلام ولكن الاصح انه اسم ابيه
وكان رجلا صالحا من اهل بيت النبوة ولم يكن له ولد ذكر فقام الى العين
التي اغتسل فيها ايوب عليه السلام فاغتسل هو وزوجته منها وصليا ودعوا
الله تعالى ان يرزقهما رجلا مباركا يبعثه الله في بني اسرائيل فاستجاب الله دعا
هما ورزقهما يونس وتوفي ويونس في بطن امه وله اربعة اشهر وقد قيل انه من
بني اسرائيل وانه من سبط بنيامين وكان من اهل قرية من قرى الموصل يقال
لها نينوى وكان قومه يعبدون الاصنام فبعثه الله اليهم وقال الحافظ العسقلاني
ولم اقف في شيء من الاخبار على اتصال نسبه وقد قيل انه كان في زمن ملوك
الطوائف من الفرس والله اعلم وقرئ يونس بضم النون وكسرها اذ ابق
اي هرب واصله الهرب من السيد لكن كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن
اطلاقه عليه على طريقة المجاز الى الفلك المشحون اي المملوء فساهم مقارعة
ويقال استهم القوم اذا اقترعوا اي فقارع اهله فكان من المدحضين
اي فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر والغلبة
روي انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يامره الله به كما سيجيء
فركب السفينة فوقفت فقالوا هاهنا عبد ابق من سيده وفيما يزعم البحارون
الذين في اكثر اوقاتهم واعمارهم يكونون في البحر للتجارة وغيرها ان السفينة
اذا كان فيها ابق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال انا الابق و
زج اي رمى بنفسه في الماء فالتقمه الحوت اي فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل

في ملامة يقال رب لائم مليم اي يلوم غيره وهو احق منه باللوم او اتى بما
يلام عليه او مليم نفسه على ان الهمزة للتعدية وقرئ بفتح الميم من ليم فهو مليم
كما جاء مشيب في مشوب مبنيا على شيب ونحوه مدعي بناء على دعي فلولا
انه كان من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس مدة عمره
وقيل هو قوله في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل
من المصلين وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل تسبيح في القران فهو صلوة
وعن قتادة كان كثير الصلوة في الرخاء قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع
صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد متكئا وهذا ترغيب من الله تعالى في اكثار
المؤمن ذكره بما هو اهله واقباله على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر
في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده في المضايق والشدائد للبث
في بطنه الى يوم يبعثون الظاهر لبثه فيه حيا الى يوم البعث وعن قتادة
لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيمة وروي انه حين ابتلعه اوحى الله الى
الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما واختلف في مقدار
فعن الكلبي اربعون يوما وعن الضحاك عشرون وعن عطا سبعة وعن
بعضهم ثلثة وعن الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي
التقم فيه فنبذناه اي فقذفناه وطرحناه بان حملنا الحوت على لفظه بالعراء
بالمكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه من النبات وغيره وروي ان الحوت
صار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا
الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء واسلموا وروي ان الحوت قذفه بساحل
قرية من الموصل وهو سقيم اعتل مما حل به ونا له وروي انه عاد بدنه كبدن
الصبي حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين مما
ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء
والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انها كانت
الدباء غطته باوراقها من الذباب فان الذباب لا يجتمع عنده ولا يقع عليه
ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل

هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل
باغصانها وافطر على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف
اليه فيشرب من لبنها وروى انه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فاوحى
اليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة الف فريد الكافر وهم القوم الذين اسلموا
بعده روى ان يونس عليه السلام كان قد بعث الى اهل نينوى من الموصل
فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى اربعين فخرج
من بينهم قبل ان يامره الله به فوقع فيما وقع فلما دنا الموعد غامت السماء
غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي بلدتهم فهابوا فطلبوا يونس
فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم
ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضهم
الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان
وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشورا يوم الجمعة
فذلك قوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس
الاية وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى
والمراد ما سبق من ارساله اليهم وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه
الى الاولين او الى غيرهم وقيل اسلموا فسالوه ان يرجع اليهم فابى لان النبي
اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله باعث اليكم
نبيا او يزيدون في راي الناظر اي اذا نظر اليهم الناظر قال هم مائة الف
او اكثر والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا فصدقوه او فجددوا
الايمان به بحضره فمتعناهم الى حين الى اجل مسمى قال مجاهد مذنب هو
تفسير قوله تعالى مليم هكذا روى الطبري من طريق مجاهد من الام اذا اتى
بما يلام عليه وفي تفسير النسفي وهو مليم داخل في الملامة وعن الطبري المليم هو
المكتسب اللوم المشحون هو الموقر اشار به الى تفسير قوله تعالى الى الفلك المشحون
روى ابن ابي حاتم من طريق ابن ابي نجيح عن مجاهد قال المشحون المملوء و
من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما المشحون هو ق

وهو ق بضم الميم وفتح القاف مملوء ومعناه المجهز المشحون فلولا انه كان
من المسبحين الاية يعني اتم الاية او اقرا الاية وهو قوله تعالى للبث في
بطنه الى يوم يبعثون وقد سبق تفسيره فنبذناه بالعراء بوجه الارض
وهو سقيم فسر العراء بوجه الارض وهكذا فسره الكلبي وقال مقاتل بن سليمان
هو البراز من الارض وقال الاخفش هو الفضا وقال السدي هو ارض حل
ويقال العراء الارض الخالية من الشجر والنبات ومنه قيل للمتجرد عريان
وانبتنا عليه شجرة من يقطين من غير ذات اصل الدباء ونحوه وصله عبد
بن حميد من طريق مجاهد وزاد وليس لها ساق وكذا ابو عبيدة كل شجرة لا
تقوم على ساق فهي يقطين نحو الدباء والحنظل والبطيخ وعن ابن عباس
والحسن ومقاتل كل نبت يمتد وينبسط على وجه الارض وليس له ساق نحو
القثاء والبطيخ والقرع والحنظل وقال سعيد بن جبير هو كل نبت ينبت ثم يموت
في عامه قيل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به اقامة زائل لا اقامة
ثابت وقوله من غير ذات اصل صفة يقطين اي من يقطين كائن من غير
ذات اصل وقوله الدباء بالجر بدل من يقطين او بيان وليس هو مضافا اليه
كما توهم وقوله ونحوه اي ونحو اليقطين كالقثاء والبطيخ وارسلناه اي وارسلنا
يونس الى مائة الف او يزيدون في تفسير النسفي يجوز ان يكون قبل حبسه
في بطن الحوت وهو ما سبق من ارساله الى قومه من اهل نينوى وقيل هو ارسال
ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين والمراد من قوله الى مائة الف او يزيدون الكثرة
كما تقدم وقال مقاتل معناه بل يزيدون وعن ابن عباس رضي الله عنهما معناه
ويزيدون وقد قرئ بذلك وعنه مبلغ الزيادة على مائة الف عشرون الفا
وعن الحسن والربيع بضع وثلثون الفا وعن ابن حبان سبعون الفا والله
تعالى اعلم فآمنوا فمتعناهم الى حين يعني فآمن قوم يونس عند معاينة
العذاب وقوله الى حين اي الى اجل مسمى الى حين انقضاء اجالهم ولا تكن
كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم كظيم وهو مغموم الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم اي لا تكن يا محمد كصاحب الحوت وهو يونس عليه السلام في الضجر

والغضب والعجلة حين دعا ربه في بطن الحوت وهو مكظوم اي مملوء غيظا
من كظم السقاء اذا ملاه ومعنى لا يوجد منك ما وجد منه فتبتلى واشار بقوله
كظم الى ان مكظوم على وزن مفعول ولكنه بمعنى كظيم على وزن فعيل وفسره
بقوله وهو مغموم وقيل المحبوس عن التصرف وقال ابو عبيدة في قوله تعالى
اذ نادى وهو مكظوم اي من الغم مثل كظيم حدثنا مسدد قال اخبرنا يحيى هو
ابن سعيد القطان عن سفيان اي الثوري انه قال حدثني الاعمش
سليمان بن مهران عن ابي وائل شقيق بن سلمة عن عبد الله اي ابن مسعود
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقولن احدكم اني خير من
زاد مسدد يونس بن متى ومطابقته للترجمة ظاهرة وقد اخرجه البخاري في
التفسير ايضا واخرجه النسائي فيه ايضا حدثنا حفص بن عمر قال اخبرنا شعبة
عن قتادة عن ابي العالية رفيع بن مهران عن ابن عباس رضي الله
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير
من يونس بن متى ونسبه الى ابيه ومطابقته للترجمة ظاهرة وقد مضى في
باب قول الله تعالى وهل اتاك حديث موسى حدثنا يحيى بن بكير عن الليث
وفي نسخة قال اخبرنا الليث عن عبد العزيز بن ابي سلمة عن عبد الله بن الفضل
عن الاعرج عبد الرحمن بن هرمز عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال بينما يهودي
يعرض سلعته اي يبرزها عرضه للناس ليرغبوا في شرائه اعطي بها شيئا كرهه
اي اعطي له بها ثمنا بخسا لم يرض به فقال لا اي لا اعطيها به والذي
اصطفى موسى على البشر فسمعه رجل من الانصار فقام فلطم وجهه وقال
تقول والذي اصطفى موسى على البشر والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا
لفظ اظهر مقحم وقد يوجه عدم اقحامه وهو انه جمع ظهر ومعناه انه بينهم على
سبيل الاستظهار كان ظهرا منهم قدامه وظهرا وراءه فهو مكنوف من جانبيه
اذا قيل بين ظهرانيهم ومن جوانبه اذا قيل بين اظهرهم فذهب اليه فقال
ابا القاسم ويروى يا ابا القاسم ان لي ذمة وعهدا اي مع مسلمين فما بال
فلان لطم وجهي اي فلم اخفر ذمتي ونقض عهدي بذلك اللطم فقال لم لطمت

وجهه فذكره فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حتى رئي في وجهه ثم قال
لا تفضلوا بين انبياء الله اي لا تفضلوا بعضا بحيث يؤدي الى نقص المفضول
او الى الخصومة والنزاع او لا تفضلوا بجميع انواع الفضائل بحيث لا يبقى للمفضول
فضيلة وان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل منهم مطلقا اذا
الامام افضل من المؤذن مطلقا وان كان فضيلة الاذان غير موجودة
فيه او لا تفضلوا من تلقاء انفسكم واهوائكم فقد قال الله تعالى تلك
الرسل فضلنا بعضهم على بعض فان قيل كيف نهى صلى الله عليه وسلم
وقد فضل هو بنفسه موسى عليه السلام فالجواب انه لم يفضل اذ معناه
وانا لا ادري ان هذا البعث فضيلة له ام لا وقد جاز له ما لم يجز لغيره فان
قيل السياق يقتضي تفضيل موسى على سيدنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فالجواب انه لم سلمنا ذلك لا يقتضي الا تفضيله بهذا الوجه وهذا
لا ينافي في كونه افضل مطلقا من موسى عليه السلام فانه ينفخ في الصور
فيصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم ينفخ فيه اخرى
فاكون اول من بعث فاذا موسى اخذ بالعرش فلا ادري احوسب بصعقة
يوم الطور قال الله تعالى وخر موسى صعقا ام بعث قبلي وقد مر ما يتعلق
به قبل الابواب ولا اقول اي من عند نفسي ان احدا افضل من يونس بن
متى او قاله تواضعا وهضما لنفسه او المراد التفضيل في نفس النبوة قال الله
الله تعالى لا نفرق بين احد من رسله او كان هذا قبل الوحي بانه افضل
ومطابقته الحديث للترجمة ظاهرة حدثنا ابو الوليد هشام بن عبد
الملك الطيالسي قال اخبرنا شعبة عن سعد بن ابراهيم انه قال سمعت
حميد بن عبد الرحمن عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وقد وقع في حديث
ابن جعفر لا ينبغي ان يقول الى اخره وهو يؤيد ان المراد بقوله انا في الطرق
المذكورة هو النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية للطبراني في حديث ابن
عباس رضي الله عنهما ما ينبغي لاحد ان يقول انا عند الله خير من يونس

وفي رواية الطبري انه سبح الله في الظلمات قال العلماء انما قال صلى الله
عليه وسلم ذلك تواضعا ان كان قاله بعد ان علم انه افضل الخلق وان كان
قاله قبل علمه بذلك فلا اشكال وقد ذكرناه قريبا وقيل خص يونس بالذكر لما يخشى
على من سمع قصته ان يقع في نفسه تنقيص له فبالغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة
وقد روى قصته السدي في تفسيره باسانيده عن ابن مسعود وغيره ان
الله بعث يونس الى اهل نينوى وهي من ارض الموصل فكذبوه فوعدهم نزول
العذاب في وقت معين فخرج عنهم مغاضبا لهم فلما راوا اثار ذلك خضعوا
وتضرعوا وآمنوا فرحمهم الله فكشف عنهم العذاب وذهب يونس عليه
السلام فركب سفينة فلججت به فاقترعوا فيمن يطرحونه منهم فوقعت القرعة
عليه ثلاثا فالتقمه الحوت وروى ابن ابي حاتم من طريق عمرو بن ميمون عن
ابن مسعود رضي الله عنه باسناد صحيح اليه نحو ذلك وفيه فاصبح يونس
فاشرف على القرية فلم ير العذاب وقع عليهم وكان في شرعهم من كذب
قتل فانطلق مغاضبا حتى ركب سفينة وقال فيه فقال لهم يونس ان معكم
عبدا ابق من ربه وانها لا تسير حتى تلقوه فقالوا لا نلقيك يا نبي الله ابدا
قال فاقترعوا فخرج عليه ثلاث مرات فالقوه فالتقمه الحوت فبلغ به قرار الارض
فسمع تسبيح الحصى فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت الاية وروى البزار
وابن جرير من طريق عبد الله بن نافع عن ابي هريرة رضي الله عنه رفعه لما
اراد الله حبس يونس في بطن الحوت امر الله الحوت ان لا يكسر له عظما ولا
يخدش له لحما فلما انتهى به الى قعر البحر سبح الله فقالت الملائكة يا ربنا انا
نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة قال ذاك عبدي يونس فشفعوا له فامر
الحوت فقذفه في الساحل قال ابن مسعود رضي الله عنه كهيئة الفرخ ليس عليه
ريش وروى ابن ابي حاتم من طريق السدي عن ابي مالك قال لبث في بطن
الحوت اربعين يوما ومن طريق جعفر الصادق قال سبعة ايام ومن
طريق قتادة قال ثلاثا ومن طريق الشعبي قال التقمه ضحى ولفظه عشية والله
تعالى اعلم باب واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر والاية في سورة

الاعراف قال الله تعالى واسألهم اي اسأل يا محمد هؤلاء اليهود التي بحضرتك
والتقرير والتقريع بتقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم
التي لا تعلم الا بالتعليم او بالوحي فاذا اعلمتهم به من لم يقرأ كتابهم علم انه من
جهة الوحي فتكون معجزة عليهم عن القرية اي عن قصة اصحاب
القرية الذين خالفوا امر الله ففاجأتهم نقمته على صنيعهم واعتدائهم و
احتيالهم في المخالفة وحذر هؤلاء من كتمان صفتك يجدونها في كتبهم لئلا
يحل بهم ما حل باخوانهم وسلفهم التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة
وهي على شاطئ بحر القلزم وهي على طريق الحاج الذاهب الى مكة من مصر
بين مدين والطور وحكى ابن التين عن الزهري انها طبرية وقيل مدين
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال ابن زيد هي قرية يقال لها
مقنا بين مدين وعينونا اذ يعدون في السبت يعتدون ويتجاوزون
حدود الله ويخالفون فيه امر الله وهو اصطيادهم يوم السبت وقد
نهوا عنه وامروا بان يشتغلوا بالعبادة ويتجردوا لها واذ ظرف لكانت
او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تأتيهم حيتانهم
ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدون واصله يعتدون وقرئ
يعدون من الاعداد اي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد
نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا تعظيمهم امر السبت
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والتجرد للعبادة و
قيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول قراءة يوم
اسباتهم وقوله تعالى ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وقرئ يسبتون من
اسبت وقوله شرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء قاله
ابن عباس رضي الله عنهما وعن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش
البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف وشرعت على فلان في
بيته فرأيته يفعل كذا كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون اي مثل ذلك
البلاء الشديد وهو اظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم الذي حرم عليهم

صيده نبلوهم ونختبرهم بسبب فسقهم ويجوز ان يكون كذلك متصلا
بما قبله اى لا يأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت واذ قالت امة منهم عطف
على اذ يعدون وحكمه فى الاعراب وقوله منهم امة اى جماعة من اصحاب
السبت او من اهل القرية وهم صلحاء وهم الذين اجتهدوا وركبوا الصعب
والذلول فى موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم لآخرين وهم الذين نهوا عن
ذلك وانكروا وكانوا لا يقلعون عن وعظهم فانهم كانوا ثلاث فرق فرقة
ارتكبوا المنهى واحتالوا على صيد السمك يوم السبت حيث حفروا حياضا
واجروا اليها بحرا وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها
يوم الاحد وفرقة نهوا عن ذلك وانكروا ووعظوهم حتى ايسوا من قبولهم
واتعاظهم وفرقة نهوا وانكروا وكانوا لا يقلعون عن وعظهم فقالت
الفرقة الثانية للفرقة الثالثة لم تعظون قوما هم مرتكبون محتالون
الله مهلكهم ومخترمهم ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا فى
الآخرة لتماديهم فى الشر وانما قالوا ذلك مبالغة فى ان الوعظ لا ينفع
فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وقيل المراد من الفرقة الهالكة
اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب
للسؤال اى موعظتنا ابلاء عذر الى الله تعالى حتى لا ننسب الى التفريط فى
النهى عن المنكر وقد اخذ علينا العهد فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اى اعتذرنا به معذرة
او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اى لعلهم بهذا الانكار يتقون ما هم
فيه ويتركونه ويرجعون الى الله تعالى تائبين فاذا تابوا تاب الله عليهم
اذ الياس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا اى تركوا ترك الناسى ما ذكروا
به اى ما ذكرهم به صلحاؤهم ولم يقبلوا النصيحة انجينا الذين ينهون عن
السوء واخذنا الذين ظلموا اعتدوا وخالفوا امر الله وارتكبوا المنكر بعذاب
بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا

عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة جمع قرد كما ان ديكة جمع ديك
خاسئين اى ذليلين حقيرين مهانين وروى جرير من طريق العوفى
عن ابن عباس رضى الله عنهما صار شبانهم قردة وشيوخهم خنازير
قال الزمخشرى فان قلت الامة الذين قالوا لم تعظون من اى الفريقين
هم أمن فريق الناجين ام المعذبين قلت من فريق الناجين لانهم
من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سائلين عن علة الوعظ
والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم
الناهى حال المنهى وان النهى لا يؤثر فيه سقط عنه النهى وربما وجب
الترك لدخوله فى باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى المكاسين
القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم
فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهى بك واما الآخرون فانما
لم يعرضوا عنهم اما لان يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس الاولين ولم يخبروهم
كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم فى امرهم كما وصف الله رسوله فى قوله
فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا
للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم
وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ليت شعرى ما فعل بهؤلاء
الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم قال عكرمة فقلت جعلنى الله
فداك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون
قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا وزاد محيى السنة
فى روايته بعد قوله جعلنى الله فداك وان لم يقل الله انجيتهم لم يقل
اهلكتهم فاعجبه قولى وامر لى ببردين فقال نجت الساكتة وعن الحسن
نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان وروى ان اليهود
امروا باليوم الذى امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت
فابتلوا وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم
يوم السبت شرعا بيضا سمانا كانها مخاض لا يرى الماء من كثرتها ولم

لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك برهة من الزمان ثم جاءهم ابليس
فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون
الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتأخذونها يوم الاحد
فاخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه
يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال اني ارى الله
سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا ان
العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين
الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر الفا
وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم اصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال
المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين
باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم
ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس شأنا فعلوا الجدار
فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود انسابها
من الانس والانس لا يعرفون انسابهم من القرود فجعل القرد يأتي
نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول الم ننهكم فيقول برأسه بلى وقد سيق
الى انه صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن اكلوا والله
اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة
هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم
ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر انتهى قال العارف الرومي
مثنوی نقض میثاق و شکست توبها ❁ موجب لعنت بود در انتها ❁
نقض توبه و عهد آن اصحاب سبت ❁ موجب مسخ آمد و اهلاک و مقت ❁
پس خدا آن قوم را بوزینه کرد ❁ چونکه عهد حق شکستند از نبرد ❁
اندرین امت نبد مسخ بدن ❁ لیک مسخ دل بود ای ذو الفطن ❁
مسخ ظاهر بود اهل سبت را ❁ تا به بیند اهل ظاهر کبت را ❁
از ره سر صد هزاران دگر ❁ کشته از توبه شکستن خوک خر ❁

توبه کن مردانه و چون ابلهان ❁ توبه را مشکن بترس از مسخ هان
سخرهٔ ابلیس گردد ور زمن ❁ از ضعیفی رای آن توبه شکن
تنبيه لم يذكر المصنف في هذه القصة حديثا مسندا بل اقتصر على تفسير
بعض الالفاظ الواقعة في هذه القصة فقال يعدون في السبت يتعدون
يجاوزون فسر قوله اذ يعدون بقوله يتعدون يجاوزون وقد فسرنا
الفاظ اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا شوارع فسر قوله شرعا بقوله
شوارع قال العيني وفيه نظر لان الشرع جمع شارع والشوارع جمع
شارعة ومادته تدل على الظهور ومنه شرع الدين اذا بينه واظهره و
يوم لا يسبتون الى قوله خاسئين اي اقرأ الآيات الى قوله خاسئين
وقد ذكرناها وفسرناها بئيس شديد وقال ابو عبيدة في قوله تعالى بئيس
اي شديد قال الشاعر حنقا علي وما ترى لي فيهم اثرا بئيسا وقد روى
عبد الرزاق من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بسند فيه مبهم
وحكاه مالك عن يزيد بن رومان معضلا وكذا قال قتادة ان اصحاب
السبت كانوا من اهل ايلة وانهم لما تحيلوا على صيد السمك بان نصبوا
الشبك يوم السبت ثم صادوها يوم الاحد فانكر عليهم قوم ونهوهم
فاغلظوا لهم القول فقالت طائفة اخرى دعوهم واعتزلوا عنهم
فاصبحوا يوما فلم يروا الذين اعتدوا ففتحوا ابوابهم فامروا رجلا ان
يصعد على سلم فاشرف عليهم فجعلوا يلوذون بهم فيقول الذين نهوهم
الم نقل لكم الم ننهكم فيشيرون وروى ابن ابي حاتم من طريق مجاهد عن
ابن عباس رضي الله عنهما عنهم لما يعيشوا الا قليلا وهلكوا والله تعالى
اعلم باب قول الله عز وجل وآتينا داود زبورا قبله انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده هذا جواب لاهل الكتاب عن
اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شأنه في الوحي
كسائر الانبياء واوحينا الى ابراهيم واسحق واسمعيل ويعقوب
والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر

مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم اول اولي العزم منهم
وعيسى آخرهم والباقين اشرف الانبياء وبث هم **واتينا داود
زبورا** داود اسم اعجمي وعن ابن عباس رضي الله عنهما بالعبرانية يقصر
العمر ويقال سمي به لانه داوى جراحات القلوب وقال مقاتل ذكره الله
في القرآن في اثني عشر موضعا وهو داود بن ايشا بكسر الهمزة وسكون
التحتية وبالشين المعجمة ابن عويد بوزن جعفر بمهملة وموحدة ابن باعز
بموحدة ومهملة مفتوحة ابن سلمون ابن يارب بتحتانية وآخره موحدة
ابن رام وقيل ابن ارم بن حصرون بحاء مهملة ثم ضاد معجمة ابن
فارص بفاء وآخره صاد مهملة ابن يهوذا ابن يعقوب عليه السلام
والزبور هو اسم الكتاب الذي انزله الله على داود عليه السلام وروى
ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال انزل الله الزبور على داود
عليه السلام مائة وخمسين سورة بالعبرانية في خمسين منها ما يلقونه
من بخت نصر وفي خمسين ما يلقونه من الروم وفي خمسين مواعظ
وحكم ولم يكن فيه حلال ولا حرام ولا حدود ولا احكام وروى انه نزل
عليه في شهر رمضان **الزبر الكتب واحدها زبور كتبت زبرت** الزبر بضم
الزاي والموحدة جمع زبور قال الكسائي يعني مزبور يعني مكتوب يقال
زبرت الورق فهو مزبور مثل كتبته فهو مكتوب وقرأ حمزة بضم اوله وقال
ابو عبيدة في قوله تعالى في زبر الاولين اي كتب الاولين **ولقد اتينا
داود منا فضلا** اي على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد او على سائر الناس
فيندرج فيه النبوة والكتاب والصوت الحسن البديع والملك والقوة
وتسخير الجبال والطير **يا جبال اوبي معه** وهو بدل من قوله فضلا بتقدير
قولنا يا جبال او بدل من قوله اتينا بتقدير قلنا يا جبال **قال مجاهد سبحي
معه** تفسير قوله اوبي معه يعني يا جبال سبحي مع داود ووصله الفريابي
من طريق مجاهد مثله وعن الضحاك هو بلغة الحبشة وقيل هو امر
من التأويب اي رجعي معه التسبيح او ارجعي معه في التسبيح كلما رجع

فيه لانه اذا رجعه فقد رجع فيه وقد قرئ اوبي من الاوب ومعنى تسبيح
الجبال ان الله تعالى يخلق تسبيحا وصوتا مثل تسبيحه وصوته فيها كما
خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود عليه
السلام او معناه انها تحملها اياه على التسبيح اذا تامل ما فيها وقيل نوحي معه
والطير تسعدك على ذلك فانه روي انه كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين
وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها عاكفة عليه
من فوقه فصدى الجبال الذي يسمعه الناس من ذلك اليوم وقال قتادة
معنى اوبي سيري معه حيث سار **والطير** هو منصوب بالعطف على محل
الجبال وقيل منصوب على انه مفعول معه وقيل منصوب بالعطف على
فضلا بمعنى وسخرنا له الطير وقرئ بالرفع ايضا عطفا على لفظ الجبال
والنا له الحديد اي الن لداود الحديد اي جعلناه لينا فصار في يده
مثل الشمع والعجين والطين يصرفه بيده كيف يشاء من غير احماء بنار
ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما اوتي من شدة القوة **ان
اعمل سابغات** كلمة ان هذه مفسرة بمنزلة اي كما في قوله تعالى فاوحينا
اليه ان اصنع الفلك اي امرناه اي اعمل ويجوز ان تكون مصدرية
وسابغات منصوب بقوله اعمل وفسره بقوله **الدروع** وكذا فسره ابو عبيدة
بالدروع الواسعة الضافية الكاملة وهو اول من اتخذها وكانت
قبل صفائح وقرئ صابغات بالصاد المهملة وقيل كان يبيع الدرع باربعة
الاف درهم فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان
يخرج حين ملك بني اسرائيل متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما
تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله ملكا في صورة آدمي فسأله
على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله فقال لولا انه
يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه ان يسبب له ما يستغني به عن
بيت المال فعلمه صنعة الدروع **وقدر في السرد** السرد النسج اي قدر في
نسجها بحيث يتناسب حلقها وفسره البخاري بقوله **المسامير والحلق**

لا تدق المسمار فيتسلسل ولا تغلظ فيفصم ويروى فينفصم وبذلك فسره
بعض المفسرين بقولهم اي لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم
الحلق فقوله لا تدق بالدال المهملة من الدقة ويدل عليه ما روى ابراهيم الحربي
في غريب الحديث من طريق مجاهد في قوله تعالى وقدر في السرد لا تدق المسامير
فيتسلسل ولا تغلظها وقيل ولا ترق بالراء من الرقة وهو ايضا يؤدي ذلك
المعنى وقوله فيتسلسل ويروى فيتسلل ويروى فيسلس والكل يرجع الى معنى
واحد يقال شيء سلس اي سهل ورجل سلس اي لين الجانب منقاد وبين
السلس والسلاسة ويقال تسلسل الماء في الحوض اي جرى وماء سلسال
سهل الدخول في الحلق وقوله لا تعظم اي المسمار فينفصم من الفصم وهو القطع قال
ابو عبيدة درع مسرودة اي مسمورة الحلق قال ابو ذويب شعر وعليهما
مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع افرغ انزل اشار به
الى ما في قوله تعالى ربنا افرغ علينا صبرا وفسر قوله افرغ بقوله انزل من الانزال
قال المفسرون معنى قوله افرغ علينا صبرا انزل علينا صبرا من عندك وهذا
في قصة طالوت وفيها قصة داود عليه السلام فكانه ذكرها هنا لان قصتهما
واحدة واغرب الحافظ العسقلاني حيث قال لم اعرف المراد من هذه الكلمة
هنا واستغربت فقصة داود عليه السلام في مواضع التي ذكرت فيها ولم اجدها
بسطة زيادة وفضلا اشار به الى ما في قوله تعالى ان الله اصطفاه عليكم
وزاده بسطة في العلم والجسم وفسر البخاري قوله بسطة بقوله زيادة وفضلا
اي زيادة في القوة والجسامة وفضلا في العلم بالحروب وذلك ايضا في
قصة طالوت وذلك انهم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه حيث قالوا
انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال
رد الله عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم
وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من
معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب
واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما

وكان الرجل القائم بيده فيصل راسه وثالثها بانه تعالى مالك الملك على
الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء كما قال تعالى والله يؤتي ملكه من يشاء
ورابعها بانه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك
من النسيب وغيره كما قال تعالى والله واسع عليم وهذه الكلمة والتي قبلها
لم تقع الا في رواية الكشميهني وحده واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير
اي فاجازيكم عليه احسن جزاء واتمه وهذا ايضا غير ثابت في اكثر الاصول وعلى
تقدير ثبوته محله بعد قوله تعالى وقدر في السرد حدثنا عبد الله بن محمد قال
اخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن همام عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خففت على البناء للمفعول على داود
القرآن وفي رواية الكشميهني القراءة وقال الكرماني اي التورية او الزبور وقال
التوربشتي وانما اطلق القرآن لانه قصد به اعجازه من طريق القراءة
وقال صاحب النهاية الاصل في هذه اللفظة الجمع وكل شيء جمعته فقد قراته
وسمي القرآن قرآنا لانه جمع الامر والنهي وغيرهما وقد يطلق القرآن على القراءة
وقرآن كل نبي يطلق على كتابه الذي اوحي اليه قال الحافظ العسقلاني وانما تردد
بين الزبور والتورية لان الزبور كله مواعظ وثناء وكانوا يتلقون الاحكام
من التورية وقال قتادة كنا نتحدث ان الزبور مائة وخمسون سورة كلها مواعظ
وثناء ليس فيها حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود بل كان اعتماده على التورية
اخرجه ابن ابي حاتم وغيره فكان يامر بدوابه وفي رواية موسى بن عقبة
بدابته بالافراد وكذا هو في التفسير ويحمل الافراد على الجنس او المراد بها ما يختص
بركوبه وبالجمع ما يضاف اليه مما يركبه اتباعه فتسرج فيقرأ القرآن قبل
ان تسرج دوابه وفي رواية موسى فلا تسرج حتى يقرأ القرآن والاول ابلغ وفيه
الدلالة على ان الله تعالى يطوي الزمان لمن يشاء على عباده حتى يقع في
الزمن اليسير العمل الكثير وهذا لا سبيل الى ادراكه الا بالفيض الرباني وجاء في الحديث
ان البركة قد تقع في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير وقال النووي اكثر
ما بلغنا من ذلك من كان يقرأ اربع ختمات بالليل واربعا بالنهار وقال

العيني وقد رأيت رجلا حافظا قرأ ثلث ختمات في الوتر في كل ركعة ختمة
في ليلة القدر وقال الحافظ العسقلاني وقد بلغ بعض الصوفية في ذلك
فادعى شيئا مفرطا والعلم عند الله ولا يأكل الا من عمل يده والذي يظهر
ان الذي كان يعمله داود عليه السلام بيده هو نسج الدروع من الحديد
بلا احماء نار ولا ضرب بمطرقة ولا سندان ويبيعها ولا يأكل الا من ثمن ذلك
مع كونه كان من كبار الملوك قال الله تعالى وشددنا ملكه وفي الحديث ايضا
ما يدل على ذلك وانه مع سعته بحيث انه كان له دواب تسرج اذا اراد ان يركب
ويتولى خدمتها غيره ومع ذلك كان يتورع ولا يأكل الا مما يعمل بيده وفي الحديث
ايضا انه افضل المكاسب وقد استدل به على مشروعية الاجارة من جهة ان
عمل اليد اعم من ان يكون للغير او للنفس ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة
وقد اخرجه البخاري ايضا رواه موسى بن عقبة عن صفوان بن سليم
عن عطاء بن يسار عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
وصله المصنف في كتاب خلق افعال العباد عن احمد بن ابي عمرو عن ابيه
وهو حفص بن عبد الله عن ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة و
وصله الاسمعيلي ايضا من حديث ابراهيم بن طهمان عن موسى بن
عقبة حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب
ان سعيد بن المسيب اخبره وابا سلمة بن عبد الرحمن ان عبد الله بن عمرو
اي ابن العاص رضي الله عنهما قال اخبر على البناء للمفعول رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني اقول والله لاصومن النهار ولاقومن الليل ما
عشت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الذي تقول والله لاصومن
النهار ولاقومن الليل ما عشت قلت قد قلته قال انك لا تستطيع ذلك فصم
وافطر وقم ونم وصم من الشهر ثلثة ايام فان الحسنة بعشر امثالها وذلك
مثل صيام الدهر فقلت اني اطيق افضل من ذلك يا رسول الله قال فصم يوما
وافطر يومين فقلت اني اطيق افضل من ذلك قال فصم يوما وافطر يوما وذلك
صيام داود وهو اعدل الصيام قلت اني اطيق افضل من ذلك يا رسول الله

قال لا افضل من ذلك وقد مر الحديث في كتاب الصوم في باب صوم الدهر
ومر الكلام فيه هناك ومطابقته للترجمة ظاهرة حدثنا خلاد بن يحيى قال
اخبرنا مسعر بكسر الميم وسكون السين المهملة وفتح العين المهملة وآخره راء
هو ابن كدام قال اخبرنا حبيب بن ابي ثابت عن ابي العباس بالموحدة
واسمه السائب من السيب بالمهملة وبالتحتية والموحدة هو مشهور شاعر
عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما انه قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم الم انبأ على البناء للمفعول اي الم اخبر انك تقوم الليل
وتصوم النهار فقلت نعم قال فانك اذا فعلت ذلك هجمت العين اي
غارت قال الاصمعي هجمت ما في الضرع اذا حلبت كل ما فيه ونفهت النفس
بكسر القاف اي ضعفت وتعبت صم من كل شهر ثلثة ايام فذلك ويروى
فذاك صوم الدهر او كصوم الدهر شك من الراوي قلت اني اجد قال
مسعر يعني قوة قال فصم صوم داود وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر
اذا لاقى وجه اتصال قوله ولا يفر اذا لاقى بما قبله هو بيان ان صومه ما كان
يضعفه عن الحرب والحديث قد مضى في كتاب التهجد في باب مجرد من الترجمة
وفي كتاب الصوم ايضا ومطابقته للترجمة كالاول باب بالتنوين احب
الصلوة الى الله صلوة داود عليه السلام واحب الصيام الى الله صيام
داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما
ويفطر يوما قال علي الظاهر انه علي بن المديني احد مشايخه وهو قول عائشة
رضي الله عنها اي قوله وينام سدسه اي السدس الاخير موافق لقول عائشة
رضي الله عنها ما الفاه السحر عندي الا نائما ما الفاه بالفاء اي ما وجده السحر
عندي الا نائما اي الا حال كونه نائما والسحر مرفوع على انه فاعل الفاه والضمير
منصوب للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا اللفظ اثر قد مر في كتاب التهجد في باب
من نام عند السحر قال حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا ابراهيم بن سعد قال
ذكر ابي عن ابي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما الفاه السحر عندي
الا نائما تعني النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان هذه الترجمة اشارة الى الحديث

مذكور بعد وهي هكذا وقعت في رواية المستملي والكشميهني واما عند غيرهما
فذكر الطريق الثالثة مضمومة الى ما قبله من غير ذكر باب ولا ترجمة حدثنا
قتيبة بن سعيد قال حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عمرو بن اوس
بفتح الهمزة وبالمهملة الثقفي بفتح المثلثة والقاف والفاء انه سمع عبد الله
بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الصيام الى الله صيام
داود وكان يصوم يوما ويفطر يوما واحب الصلوة الى الله صلوة داود كان
ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه قد عرفت ان الحديث و
الترجمة شيء واحد غير ان فيهما تقديما وتاخيرا وقد مضى الحديث في كتاب التهجد
في باب من نام عند السحر واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب الى
وفصل الخطاب اراد به قوله تعالى في سورة ص واذكر عبدنا داود عطف
على قوله اصبر على ما يقولون اي الكفار واذكر عبدنا داود في صبره على العبادة
والطاعة او بمعنى واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية في اعينهم فانه مع شانه
واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما اتى بزلة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة
بالتمثيل والتعريض حتى تفطن واستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل
الطغيان او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من
المعاتبة على اهماله عنان نفسه اولما اهمل ذا الايد ذا القوة يقال فلان ايد
اي قوي وزوايده داود ايادا بمعنى انه اواب رجاع عن كل ما يكره الله الى
مرضات الله وهو تعليل للايد دليل على ان المراد به القوة في الدين وكان يصوم
يوما ويفطر يوما ويقوم ثلث الليل كما في الحديث انا سخرنا الجبال معه يسبحن قد
مر تفسيره في الباب السابق ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار
الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال بالعشي اي اخر النهار
والاشراق اي اوله ووقت الاشراق حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو
شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق
وعن ام هانئ انه صلى الله عليه وسلم صلى صلوة الضحى وقال هذه صلوة الاشراق
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية والطير

اي وسخرنا له الطير محشورة اي مجموعة اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة
بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة منه مدرجا كل له اواب كل واحد
من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح وهذا على انه اواب عليها
او كل منهما لداود مرجع له التسبيح او كل مطيع منقاد وشددنا ملكه وقويناه
بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان داود اشد
ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ثلثة وثلثون الف رجل
وعنه ستة وثلثون الف رجل فاذا اصبحوا قيل ارجعوا فقد رضي الله عنكم
وقيل ثلثة وثلثون من بني اسرائيل ثم ياتي عوضهم وفي الكشاف قيل كان
يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم يحرسونه قال قتادة فكان حملة
حرسه مائتين وثلثين الف حرس قوي وشددناه بالتشديد للمبالغة
وقيل ان رجلا ادعى بقرة على اخر وعجز عن البيان فاوحى اليه ان اقتل
المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت اني قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت
بذلك هيبته واتيناه الحكمة النبوة وكمال العلم الشرايع والاصابة والاتقان
العمل وفصل الخطاب الفصل التمييز بين الشيئين والمراد فصل الخصام بتمييز
الحق عن الباطل والكلام الملخص الذي يتبينه المخاطب على مقصوده من غير
التباس فعلى الاول يكون الفصل بمعنى الفاصل وعلى الثاني بمعنى المفصول
وقيل هو قوله اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلوة
قيل هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء
وصف كلام الرسول صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر قال مجاهد الفهم
في القضاء اي قال مجاهد فصل الخطاب هو الفهم في القضاء وروى ابن ابي حاتم
من طريق ابي بشر عن مجاهد قال الحكمة الصواب ومن طريق ليث عن مجاهد
فصل الخطاب اصابة القضاء وفهمه ومن طريق ابن جريج عن مجاهد قال
فصل الخطاب قوله اما بعد وفي ذلك حديث مسند من طريق بلال بن ابي
بردة عن ابيه عن جده قال اول من قال اما بعد داود عليه السلام وهو
فصل الخطاب رواه ابن ابي حاتم وذكر عن ابن جرير باسناد صحيح عن الشعبي

اما بعد فانه اول من قاله
وانا نسخ ح صح
وقال الشعبي فصل الخطاب اما بعد وكذا قال من تكلم [illegible] صح

مثله وروى ابن ابي حاتم من طريق شريح قال فصل الخطاب الشهود والايمان
ومن طريق ابي عبد الرحمن السلمي نحوه **وهل اتاك نبؤ الخصم الى ولا تشطط لا تشرف**
اراد به قوله نعجة وهل اتاك نبؤ الخصم هو استفهام معناه التعجب والتشويق
الى استماعه والخصم في الاصل مصدر ولذلك اطلق للجمع اذ تسوروا المحراب اذ
تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام واذ متعلق
بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او النبأ على ان المراد به الواقع في عهد
داود عليه السلام وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اي قصة نبأ الخصم
او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتاك لان اتيانه الرسول لم يكن حينئذ واذ
الثانية في قوله اذ دخلوا على داود بدل من الاولى او ظرف لتسوروا ففزع منهم
لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من
يدخل عليه فانه كان عليه السلام جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما
للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صور الانسان في يوم
خلوته قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب
الخصم خصما بغى بعضنا على بعض وهو على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة
وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط اي ولا تجر في الحكومة قاله الفراء
وقد فسره المصنف بقوله **لا تشرف** وقرئ ولا تشطط ولا تبعد عن الحق
يقال شطت الدار واشطت اذا بعدت والاشطاط والكل من معنى الشطط
وهو مجاوزة الحد وروى ابن جرير من طريق قتادة في قوله ولا تشطط اي لا
تمل ومن طريق السدي لا تحف واهدنا الى سواء الصراط اي الى وسطه وهو
العدل ضرب مثل لعين الحق ومحضه ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة تمام الاية
ان هذا اخي بالدين او بالصحبة له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى
من الضان وقد يكنى بها عن المراة والكناية والتمثيل بقوله **يقال للمراة نعجة**
ويقال لها ايضا شاة هذا كثير فاش في اشعارهم قال ابو عبيدة في قوله نعجة
ولي نعجة واحدة اي امراة قال الاعشى فرميت غفلة عينه عن شاته فاصبت
حبة قلبها وطحالها وقال الحسين بن الفضل هذا تعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن

146

هناك نعاج وانما هذا مثل قول الناس ضرب زيد عمرا وما كان هناك ضرب
فقال اكفلنيها **مثل وكفلها زكريا ضمها** اي ضم زكريا عليه السلام مريم بنت عمران
الى نفسه وعن ابي العالية اكفلنيها ضمها الي حتى اكفلها وقال ابن كيسان
اجعلها كفلي اي نصيبي وقال القاضي ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل
ما تحت يدي وعزني **غلبني صار اعز مني اعززته جعلته عزيزا** في الخطاب **يقال**
المحاورة قال ابو عبيدة في قوله وعزني في الخطاب اي صار اعز مني فيه وروى
الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان دعا ودعوت
كان اكثر مني وان بطشت وبطش كان اشد مني ومن طريق قتادة قال
معناه قهرني وظلمني وفسر المصنف الخطاب بالمحاورة بالحاء المهملة وقال
القاضي وغلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر على رده او في
مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المراة وخطبها هو فخاطبني خطابا حيث
زوجها دوني وقرئ وعازني اي غالبني وعزني على تخفيف غريب والبعد بهذه
الاية قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد
به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه
فقد روي انه قال اريد ان آخذها منه واكمل نعاجي مائة فقال داود
ان اردت ذلك ضربنا منك هذا وهذا واشار الى طرف الانف
والجبهة فقال يا داود انت احق ان يضرب منك هذا وهذا وانت فعلت
كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير احدا فعرف ما وقع فيه او على تقدير صدق
المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى المفعول الآخر
بالى لتضمنه معنى الاضافة وان كثيرا من الخلطاء **الشركاء** فسر الخلطاء
بالشركاء وهكذا فسره المفسرون قال القاضي الشركاء الذين خلطوا اموالهم
جمع خليط وحكى هذا التفسير ابن جرير ايضا ليبغي اي ليتعدى وقرئ
ليبغ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك
الهموم طارقها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة للابهام

والنجب من قتلهم وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب او امتحناه
بتلك الحكومة هل يتنبه بها فتناه قال ابن عباس رضي الله عنهما اختبرناه
وصله ابن جرير وابن ابي حاتم من طريق علي بن ابي طلحة عنه وقرا عمر رضي الله
عنه فتناه بتشديد التاء هذه القراءة من الشواذ ولم يذكرها ابو عبيد
في القراءات المشهورة ونقل التشديد ايضا عن ابي رجاء العطاردي
والحسن البصري فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا حال كونه راكعا اي ساجدا
وعبر عن الركوع بالسجود لانهما بمعنى الانحناء او لانه مبدؤه فهو مجاز عنه
بعلاقة السببية لانه يفضي اليه او خر للسجود راكعا اي مصليا وفي القاموس
ركع اي صلى كانه احرم بركعتي الاستغفار واناب اي رجع الى الله بالتوبة
من الانابة وهو الرجوع الى الله بالتوبة يقول اناب ينيب انابة فهو
منيب اذا اقبل ورجع وفي الكشاف روي انه بقي ساجدا اربعين يوما
وليلة لا يرفع راسه الا لصلوة مكتوبة او ما لا بد منه ولا يرقا دمعه
حتى نبت العشب من دمعه على راسه ولم يشرب ماء الا ثلثاه دمع
وجهد نفسه راغبا الى الله في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك
عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع
اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروي انه نقش خطيئته
في كفه حتى لا ينساها قال القاضي واقصى ما في هذه القصة الاشعار
بانه عليه السلام ود ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله بهذه
القصة فاستغفر واناب عنه وما روي ان بصره وقع على امراة فعشقها
وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان عليه السلام ان صح فلعله خطب
مخطوبته او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى
الانصار المهاجرين بهذا المعنى الهراء كغراب الكلام الفاسد وما قيل انه
ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامر ان يتقدم حتى قتل هراء وافتراء و
لذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص
جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء عليهم

السلام وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا
عليه فوجدوا عنده قوما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان
ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله فاستغفر ربه مما هم به واناب
فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة
وحسن مآب مرجع في الجنة ثم ان المصنف رحمه الله حديث ابن عباس
رضي الله عنهما فقال حدثنا محمد هو اما ابن سلام واما ابن المثنى واما
ابن بشار وعلى ما اختلفوا فيه كذا قال الكرماني وجزم الحافظ العسقلاني
بانه ابن سلام وقيل يقال انه ابو موسى الزمن وهو محمد بن المثنى
البصري قال حدثنا سهل بن يوسف ابو عبد الله الانماطي البصري
قال سمعت العوام بفتح العين المهملة وتشديد الواو وهو ابن حوشب
بفتح المهملة والمعجمة وسكون الواو بينهما وبالموحدة وقد مر في البيع عن
مجاهد قال قلت لابن عباس رضي الله عنهما السجدة بهمزة الاستفهام
وبنون المتكلم وحده في ص فقال اي ابن عباس رضي الله عنهما قوله
تعالى ومن ذريته داود وسليمان حتى اتى فبهداهم اقتده اي ومن
ذرية نوح عليه السلام لان قبله ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا
ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود والضمير لاقرب المذكورين وهو
اختيار ابن جرير الطبري وقيل ان الضمير يرجع الى ابراهيم عليه السلام
لانه الذي لاجله الكلام لكن يشكل على هذا ذكر لوط عليه السلام فانه
ليس من ذرية ابراهيم عليه السلام بل هو ابن اخيه هاران بن آزر
الا ان يقال انه دخل في الذرية تغليبا وفي ذكر عيسى عليه السلام في ذرية
ابراهيم او نوح عليهم السلام دلالة على دخول ولد البنات في ذرية
الرجل لان عيسى عليه السلام ينتسب الى ابراهيم عليه السلام بامه
مريم عليها السلام فانه لا اب له ثم قوله حتى اتى فبهداهم اي قرا ابن عباس
رضي الله عنهما الايات الست حتى قرا اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده فقال ابن عباس رضي الله عنهما وفي رواية فقال بدون ذكر

ابن عباس والاكتفاء بضميره نبيكم صلى الله عليه وسلم ممن امر على البناء
للمفعول ان تقتدى بهم اى بهؤلاء الرسل المذكورين فى هذه الايات
المذكورة وهم سبعة عشر نبيا وقال الكرمانى وفى هذا الاستدلال مناقشة اذ
الرسول صلى الله عليه وسلم مامور بالاقتداء بهم فى اصول الدين لا فروعه
لانها هى المتفق عليها بين الانبياء اذ فى المختلفات لا يمكن اقتداء الرسول
بكلهم والا لزم التناقض ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وقد اخرج البخارى
فى التفسير ايضا حدثنا موسى بن اسمعيل التبوذكى قال اخبرنا وهيب مصغر
وهب هو ابن خالد البصرى قال حدثنا ايوب هو السختيانى عن عكرمة عن
ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ليس ص من عزائم السجود اى السجدات
المامور بها ورايت النبى صلى الله عليه وسلم يسجد فيها يعنى موافقة
لداود عليه السلام شكرا لقبول توبته فانه روى انه صلى الله عليه وسلم
قال سجدها اخى داود توبة ونحن نسجدها شكرا والحديث قد مضى فى ابواب
سجود التلاوة فى باب سجدة ص ومضى الكلام فيه باب قول الله عز وجل
وليس فى بعض النسخ لفظ باب بل المذكور فيه قول الله تعالى ووهبنا لداود
سليمان نعم العبد المخصوص بالمدح محذوف اى سليمان اذ ما بعده تعليل
للمدح وهو من حاله انه اواب اى رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح ورجح
له وفسره البخارى بقوله الاواب الراجع المنيب اى الراجع عن الذنوب المنيب
الى الله تعالى بالطاعة وقوله بالجر عطف على قول الله فى قوله باب قول الله
عز وجل وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى اى اعطنى ملكا لا ينبغى لاحد
من بعدى يعنى من دونه وقال ابن كيسان لا يكون لاحد من بعدى وقال
يزيد بن وهب هب لى ملكا لا اسلبه فى باقى عمرى كما سلبته فى ماضى عمرى
وقال مقاتل بن حيان كان سليمان عليه السلام ملكا ولكنه اراد بقوله
لا ينبغى لاحد من بعدى تسخير الرياح والطير وقيل انما سال ذلك ليكون له
علما على المغفرة وقبول التوبة حيث اجاب الله دعاءه ورد عليه ملكه وزاد
فيه وهذا اشارة الى قوله تعالى قال اى سليمان عليه السلام رب اغفر لى وهب لى

ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى قال القاضى اى لا يتسهل له ولا يكون ليكون
معجزة مناسبة لحاله او لا ينبغى لاحد ان يسلبه منى بعد هذه السلبة او لا
يصح لاحد من بعدى لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال
على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة
وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم
ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة انك انت الوهاب المعطى ما تشاء لمن تشاء
وقوله تعالى بالجر ايضا عطف على ما قبله واتبعوا ما تتلو الشياطين
على ملك سليمان قال الله تعالى واتبعوا عطف على ما قبله وهو نبذ فريق
من الذين اوتوا الكتاب وهم اليهود ما تتلو الشياطين اى ما ترويه وتخبره
وتحدثه الشياطين يعنى نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التى تقرؤها
او تتبعها الشياطين من الجن او الانس او منهما على ملك سليمان اى
عهده وعداه بعلى لانه ضمن تتلو معنى تكذب وقال ابن جرير على هنا
بمعنى فى اى فى ملك سليمان ونقله عن ابن جريج وابن اسحق والتضمين
اولى واحسن كما لا يخفى وقال السدى ما ملخصه ان الشياطين كانوا يصعدون
الى السماء فيسمعون من الملائكة ما يكون فى الارض فياتون الكهنة فيخبرون
به فتحدثه الكهنة للناس فيجدونه كما قالوا ودخلت الكهنة فيه غيره فزادوا
مع كل كلمة سبعين كلمة فاكتتب الناس ذلك ودونوه وكانوا يعلمون الناس
وفشا فى بنى اسرائيل ان الجن يعلمون الغيب وان ملك سليمان عليه السلام
تم بهذا العلم وانه يسخر به الانس والجن والريح فبعث سليمان عليه السلام
فى الناس فجمع تلك الكتب وجعلها فى صندوق ثم دفنها تحت كرسيه ولم
يكن احد من الشياطين يستطيع ان يدنو من الكرسى الا احترق فلما مات
سليمان عليه السلام تمثل شيطان فى صورة آدمى واتى نفرا من بنى اسرائيل
فدلهم على تلك الكتب فاخرجوها فقال لهم الشيطان ان سليمان عليه السلام
كان يضبط الانس والجن والطير بهذا السحر ثم طار وذهب وفشا فى الناس
ان سليمان عليه السلام كان ساحرا فاتخذت بنو اسرائيل تلك الكتب فلما

جاء النبي صلى الله عليه وسلم خاصموه بها فانزل الله تعالى هذه الآية
وما كفر سليمان تكذيبا لهم وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان
من كان نبيا كان معصوما عنه قاله القاضي وسيأتي ما يتعلق بذلك
ان شاء الله تعالى ولكن الشياطين كفروا باستعماله يعلمون الناس
السحر اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في
تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب
الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام و
التعاون وبهذا يميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله
اصحاب الحيل بمعونة الالات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم
وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه قاله القاضي
وتعقبه السيوطي في قوله فغير مذموم بانه مردود فقد نص النووي في الروضة
وغيره على تحريمه وقال ابن الكمال السحر مزاولة النفوس الخبيثة لافعال واقوال
يترتب عليها امور خارقة للعادة ولا يروى خلاف في كون العمل به كفرا
وعده نوعا من الكبائر مغايرا للاشراك لا ينافي ذلك لان الكفر اعم والاشراك
نوع منه وهو في اصل اللغة الصرف حكاه الازهري عن الفراء ويونس
فاطلاقه على ما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الالات والادوية ويريه صاحب
خفة اليد باعتبار ما فيه من صرف الشيء عن جهته حقيقة لغوية انتهى
وقال المولى ابن الشيخ قال الامام ابو منصور الاصح ان يقال ان القول بان
السحر على الاطلاق كفر او لا خطأ بل السحر على نوعين نوع هو كفر وهو ما
يتضمن انكار ركن من اركان الاسلام ورده ونوع ليس بكفر وهو ما يتحقق
بدون ارتكاب شيء من الكفر ثم السحر الذي هو كفر يقتل به الذكور دون الاناث
لان كفر المسلم ارتداد وهم تدينتا فان اصر قتل وارتداد الانثى لا يوجب
القتل ويقتل به الذكور والاناث اذا قتل بالسحر لانه حينئذ يصير ساعيا في
الارض بالفساد فيقتل كقطاع الطريق انتهى وقوله تعالى بالنصب
ولسليمان الريح اي وسخرنا لسليمان الريح وفي قراءة اخرى فسخرنا له الريح تجري

بامره رخاء اي لينة حيث اصاب اي حيث اراد غدوها شهر ورواحها
شهر اي غدو الريح شهرا اي جريها ومسيرها في غدوته شهر وفي روحته شهر
وقرئ غدوتها وروحتها وقال مجاهد كان سليمان عليه السلام يغدو
من دمشق فيقيل باصطخر ويروح من اصطخر فيقيل بكابل وكان بين
اصطخر وكابل مسيرة شهر وما بين دمشق واصطخر مسيرة شهر واسلنا له
اذبنا له فسر قوله اسلنا بقوله اذبنا له من الاذابة وفسر قوله عين القطر
بقوله عين القطر الحديد وقال القاضي واسلنا له عين القطر النحاس المذاب
اساله من معدنه فنبع منه نبع الماء ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن
وقال قتادة عين من نحاس كانت باليمن وقال الاعمش سالت له سيلان
الماء وقيل لم يذب النحاس لاحد قبله ومن الجن من يعمل بين يديه
عطف على الريح اي وسخرنا له من الجن من يعمل بين يديه ومن الجن حال
متقدمة او جملة مبتدأ وخبر باذن ربه بامره ومن يزغ منهم عن امرنا اي
ومن يعدل منهم عما امرنا من طاعة سليمان وقرئ يزغ من ازاغه نذقه
من عذاب السعير عذاب الآخرة وقيل عذاب الدنيا وذلك ان الله تعالى
وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن امره ضربه ضربة احرقته يعملون
له ما يشاء من محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت بها لانها يذب
عنها ويحارب عليها قال مجاهد بنيان ما دون القصور فسر مجاهد محاريب
بقوله بنيان ما دون القصور وصله عبد بن حميد عنه كذلك وقال ابو عبيدة
المحاريب جمع محراب وهو مقدم كل بيت وهو ايضا المسجد والمصلى وتماثيل
جمع تمثال وهي الصورة وكان عمل الصورة في الجدران وغيرها سائغا في
شرعهم وقال القاضي وصورا وتماثيل للملائكة والانبياء على ما اعتادوا
من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع
مجدد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان
يصعد بسط الاسدان ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان
كالجواب كالحياض الابل الجفان جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة شبهت

بالجوابي وشبهت الجوابي بالحياض التي يجبى فيها الماء للإبل اي يجمع واحدها
جابية وقيل كان يقعد على جفنة واحدة من جفان سليمان عليه السلام
الف رجل ياكلون بين يديه وهذا التفسير لمجاهد وصله عنه عبد بن حميد وقال
القاضي وجفان وصحاف كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية
وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقال ابن عباس رضي الله عنهما كالجوبة
من الارض الجوبة موضع ينكشف في الحرة وينقطع عنها وفي القاموس
الجوبة الفجوة وقدور راسيات اي ثابتات من الاثافي لا تنزل عنها ولا تحول
ولا تحرك من اماكنهن لعظمهن وفي تفسير النسفي كانت باليمن ومنه قيل للجبال
رواسي وقوله آل داود شكرا يعني اقرأ الآية تمامها وهو قوله تعالى اعملوا آل
داود شكرا حكاية عما قيل لهم اي قلنا اعملوا آل داود وشكرا بمعنى اعملوا لطاعة
الله يا آل داود شكرا على نعمه وشكرا نصب على انه مفعول له اي اعملوا له واعبدوه
شكر النعمائه وفيه دليل على ان العبادة يجب ان تؤدى على طريق الشكر او على
المصدرية لان اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث ان العمل للمنعم شكر له او على
الحالية اي شاكرين ويجوز ان ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه انا سخرنا لكم
الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا على طريق المشاكلة وقليل من عبادي
الشكور اي المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه بان شغل به قلبه ولسانه و
جوارحه اعتقادا واعترافا وعملا اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان توفيقه
للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن
الشكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما الشكور من يشكر على احواله كلها وقال
السدي هو من يشكر على الشكر وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول اللهم
اجعلني من القليل فقال عمر رضي الله عنه ما هذا الدعاء فقال الرجل اني سمعت
الله يقول وقليل من عبادي الشكور فانا ادعوه ان يجعلني من ذلك القليل
فقال عمر رضي الله عنه كل الناس اعلم من عمر الا دابة الارض الا الارضة ويقال
لها السرفة تاكل منساته عصاه اشار به الى قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت
اي حكمنا على سليمان الموت ما دلهم اي ما دل الجن على موته الا دابة الارض

وفسرها بقوله الارضة وهي دويبة تاكل الخشب اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح
الراء وهو تاثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت
ارضا مثل اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا تاكل منساته وفسر
المنساة بقوله عصاه من نسات البعير اذا طردته لانها تطرد بها وهو
تفسير ابن عباس رضي الله عنهما وصله ابن ابي حاتم من طريق علي بن ابي
طلحة عنه وقال ابو عبيدة المنساة العصا ثم ذكر تفسيرها وهي مفعلة من
نسات اذا زجرت الابل اي ضربتها بالمنساة وقرئ منساته على وزن
مفعالة فلما خر الى في العذاب المهين اي اقرأ الآية تمامها وهو قوله تعالى فلما
خر اي سقط سليمان ميتا تبينت الجن جواب لما اي علمت الجن بعد التباس
الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين انهم لو كانوا
يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده في العذاب
الذي يهين المعذب يعني ما عملوا مسخرين وهو ميت وهم يظنونه حيا
حولا كاملا الى ان خر او بمعنى علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على
ضعفتهم وتوهمهم ان كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب او بمعنى بمدعو
علم الغيب منهم عجزهم وانهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك
بحالهم وانما اريد التهكم بهم كالتهكم بمدعي الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله
بقولك هل تبينت انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل لذلك متبينا او بمعنى ظهرت
الجن وان ما في حيزه بدل منه اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا
في العذاب وقرأ ابن مسعود تبينت الانس ان الجن لو كانوا وذلك ان
داود عليه السلام اسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام
فمات قبل تمامه فوصى بها الى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله فاعلم
به فاراد ان يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا له صرحا من قوارير ليس له
باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك
حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا
الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه

وقد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة
سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه **حب الخير عن ذكر
ربي** اشار به الى ما في قوله تعالى فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي وقبله اذ
عرض عليه ظرف لما قبله اعني اواب او نعم والضمير لسليمان عند الجمهور بالعشي
بعد الظهر الصافنات الصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك
يد او رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل لانها لا تكون الا في العراب الخلص
وسيجي تفسيره من المصنف الجياد جمع جواد او جود وهو الذي يسرع في
جريه وقيل الذي يجود في الركض وقيل جمع جيد روي انه عليه السلام غزا دمشق
ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها
منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن
ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا به فقال اني احببت حب
الخير عن ذكر ربي اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب
مناب انبت بتضمين معناه عدي تعديته وقيل بمعنى تقاعدت من قوله
مثل بعير السوء اذا احبا اي برك وحب الخير مفعول له والخير هو المال الكثير والمراد
به الخيل التي شغلته قال الفراء الخيل والخير في كلام العرب بمعنى والنبي صلى الله عليه
وسلم سمى زيد الخيل زيد الخير والخيل انما سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه السلام
الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة وقوله عن ذكر ربي قال قتادة عن
صلوة العصر حتى توارت بالحجاب اي غربت الشمس شبه غروبها بتواري
المخبأة بحجابها وقيل اي غابت بالحجاب وهو جبل دون قاف بمسيرة سنة
تغرب الشمس من ورائه وقيل معناه حتى استترت الشمس بما يحجبها عن الابصار
واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها فانه ما بعد الزوال ردوها علي الضمير
للصافنات وقد مر انفا ان سليمان عليه السلام غزا دمشق ونصيبين فاصاب
منها الف فرس وقال مقاتل ورث من ابيه داود عليه السلام الف فرس وكان
ابوه اصابها من العمالقة وكان صلى الصلوة الاولى ثم قعد على الكرسي
وهي تعرض عليه فعرضت عليه منها تسعمائة وقال الحسن بلغني انها كانت خيلا

خرجت من البحر لها اجنحة وقيل ان الخيل العرض غربت الشمس ففاتته صلوة
العصر ولم يعلم بذلك فاغتم لذلك فقال ردوها علي فطفق يمسح بالسوق
والاعناق اي فاخذ وقيل يمسح بسوقها واعناقها بالسيف يقطع وينحرها
تقربا الى الله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته من قولهم
مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها
حبا لها وهذا هو مختار الامام ولكنه خلاف المشهور قال المصنف **فطفق
مسحا يمسح اعراف الخيل وعراقيبها** وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما اخرجه
ابن جرير من طريق علي بن ابي طلحة عنه وزاد في آخره حبا لها وروى من
طريق الحسن قال كشف عن عراقيبها وضرب اعناقها قال لا تشغليني
عن عبادة ربي مرة اخرى قال ابن جرير وقول ابن عباس رضي الله عنهما
اقرب الى الصواب وقوله يمسح اعراف الخيل وعراقيبها تفسير لما قبله والاعراف
جمع العرف بضم العين وهو شعر عنق الخيل والعراقيب جمع عرقوب وهو
العصب الغليظ عند عقب الانسان **الاصفاد الوثاق** اشار به الى ما في قوله
تعالى وآخرين مقرنين في الاصفاد وفسره بالوثاق يقال صفده اي شده
او ثقه روى ابن جرير من طريق السدي قال مقرنين في الاصفاد اي يجمع
اليدان الى العنق بالاغلال وقال ابو عبيدة الاصفاد الاغلال واحدها صفد
ويقال للعطاء ايضا صفد وسيجي تفسير الآية مشتملة على ذلك ان شاء الله تعالى
**وقال مجاهد الصافنات صفن الفرس رفع احدى رجليه حتى يكون على
طرف الحافر** اي قال مجاهد في قوله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات
الجياد انه من صفن الفرس الى آخره ووصله الفريابي من طريقه قال صفن
الفرس الى آخره لكن قال يديه ووقع في اصل البخاري رجليه وصوب القاضي
عياض ما عند الفريابي وهي اصل انه ما قال مجاهد جمع صافنة مشتق من صفن
الفرس الى آخره وقال ابو عبيدة الصافن الذي يجمع بين يديه ويثني مقدم
حافر احدى رجليه وقال النسفي الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم
وقد اقام الرابعة على طرف الحافر والصفون لا يكاد يكون في الهجن وانما هو

في الجواب بالخلص **والجياد السراع** وصله الفريابي من طريق مجاهد الصفا والسراع
بكسر السين المهملة جمع سريع وهو جمع جواد او جود وهو الذي يسرع في جريه
وقيل جمع جيد كما تقدم جمع لها بين وصفين محمودين وروى ابن جرير
من طريق ابراهيم التيمي انها كانت عشرين فرسا ذوات اجنحة **جسدا شيطانا**
اشارة الى ما في قوله تعالى ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا
ثم اناب وفسر قوله جسدا بقوله شيطانا قال الفريابي حدثنا ورقاء عن ابن
ابي نجيح عن مجاهد في قوله والقينا على كرسيه جسدا قال شيطانا يقال له آصف
قال له سليمان عليه السلام كيف تفتن الناس قال ارني خاتمك اخبرك
فاعطاه فنبذه آصف في البحر فساخ فذهب ملك سليمان عليه السلام وقعد
آصف على كرسيه ومنعه الله نساء سليمان فلم يقربهن فانكرته ام سليمان
وكان سليمان عليه السلام يستطعم ويعرفهم بنفسه فيكذبونه حتى اعطته امراة
حوتا فطيب بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرد الله اليه ملكه وفر آصف فدخل البحر
ورواه ابن جرير من وجه آخر عن مجاهد ان اسمه آصر آخره راء ومن طريق
علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اسم الجني صخر ومن طريق
السدي كذلك واخرج القصة من طريقه مطولة والمشهور ان آصف اسم الرجل
الذي كان عنده علم من الكتاب قال العيني انه يبعد من سليمان ان يناول خاتمه
لغيره لا سيما مع علمه ان ملكه قائم به وانه لا يليق ان يقعد شيطان على كرسي
نبي مرسل اعطي ما لم يعط غيره من الملك العظيم وان آصف بالفاء في آخره هو
معلم سليمان وكاتبه في ايام ملكه وقال القاضي في تفسيره واظهر ما قيل فيه ما
روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امراة تاتي كل واحدة بفارس
يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة جاءت
بشق رجل فوالذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل
انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها فاصاب ابنته جرادة واصطفاها
فاحبها وكان لا يرقا دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة
ابيها وكان سليمان اذا خرج من بيتها كانت هي وجواريها يعبدونه

الصورة ويسجدون لها كعادتهن في ملكه حتى اتى على ذلك اربعون يوما وبلغ
ذلك آصف بن برخيا فعتب على سليمان بسبب ذلك فعند ذلك سقط
الخاتم من يده وكان كلما اعاده يسقط فقال له آصف انك مفتون
ففر الى الله تائبا من ذلك وانا اقوم مقامك واسير في عيالك واهل
بيتك بسيرك الى ان يتوب الله عليك ويردك الى ملكك ففر سليمان عليه
السلام هاربا الى الله تعالى ويروى انه كسر الصورة وضرب المراة وخرج الى
الفلاة باكيا متضرعا واخذ آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت وغاب
سليمان عليه السلام مدة اربعين يوما ثم ان الله تعالى لما قبل توبته رجع
الى منزله فرد الله اليه ملكه واعاد الخاتم في يده ويروى انه كانت له ام ولد
اسمها امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما
فتمثل لها بصورة شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه
فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عليه السلام
عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان
يدور على البيوت يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة
في بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في
يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا
الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك و
الخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود
الصورة بغير علمه لا يضره وقيل المراد من الجسد ابنه وذلك انه لما ولد له و
لد قالت الشياطين نقتله والا نعيش معه بعده لانه لا ينفك من التسخير نا
لقيا ولما علم سليمان بذلك امر السحاب حتى حمل ابنه وغذي في السحاب
خوفا من مضرة الشيطان فعاتبه الله لذلك اذ لم يتوكل على الله ومات
الولد فالقي ميتا على كرسيه فهو الجسد الذي قال الله تعالى والقينا على كرسيه
جسدا قال العيني وهذا هو الانسب والاليق **فائدة** وكان الخاتم من ياقوتة
خضراء اتاه بها جبرئيل عليه السلام من الجنة مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول

الله وهو الخاتم الذي ألبسه الله تعالى آدم عليه السلام في الجنة قال رب
اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب قد
مر تفسيره فيما سبق رخاء لينة حيث أصاب حيث شاء أشار إلى ما في قوله
تعالى فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب وفسر قوله رخاء بقوله
لينة ويروى طيبا بالنصب وهي رواية الكشميهني وفسر قوله حيث أصاب
بقوله حيث شاء وهي لغة حمير وقد وصل الفريابي التفسيرين المذكورين
من طريق مجاهد المذكور في قال الله تعالى فسخرنا له الريح أي فذللناها لطاعته
إجابة لدعوته حيث قال وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي تجري
بأمره رخاء لينة من الرخاوة لا تزعزع أي لا تحرك أو لا تخالف إرادته
كالمأمور المنقاد فقد يعبر عن الانقياد باللين يقال فلان لين الجانب
وفي آية أخرى ولسليمان الريح عاصفة أي شديدة الهبوب من حيث
أنها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها شهر وكانت
رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة أخرى بحسب إرادته
حيث أصاب أراد من قولهم أصاب الصواب فأخطأ الجواب والشياطين
عطف على الريح كل بناء وغواص بدل منه قال تعالى في آية أخرى ومن الشياطين
من يغوصون له أي في البحار ويخرجون من نفائسه ويعملون عملا دون
ذلك ويتجاوزون ذلك إلى أعمال أخر كبناء المدن والقصور واختراع
الصنائع الغريبة من المحاريب والتماثيل وآخرين مقرنين في الأصفاد
عطف على كل كأنه فصل الشياطين إلى عملة استعملهم في الأعمال الشاقة
كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن
الشر ولعل أجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والأقرب
أن المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالإقران في الصفد وهو القيد وسمي به
العطاء لأنه ارتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده
قيده وأصفده أعطاه عكس وعد وأوعد وفي ذلك نكتة لطيفة وهي
أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى وقلته على قلته ففي تقليل حروف

الوعد إشارة إلى أنه ينبغي تقليل زمنه لأن إنجاز البر عاجله بخلاف
153 الإيعاد فإن الذي ينبغي فيه وهو التنفيس وإن أخر بل قيل الخلف عن
الوعيد كرم ويمكن مثل ذلك الاعتبار في الصفد والإصفاد فإن
المناسب لجانب المضرة هو التقليل بخلاف النفع والله أعلم فامنن
أعط بغير حساب بغير حرج أشار إلى ما في قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن
أو أمسك بغير حساب وفسر قوله فامنن بقوله أعط والعرب تقول
من علي برغيف أي أعطنيه وقوله بغير حساب بقوله بغير حرج
وقد وصله الفريابي من طريق مجاهد كذلك وقال أبو عبيدة في قوله
بغير حساب أي بغير ثواب ولا جزاء أو بغير منة ولا قلة قال الله تعالى
هذا عطاؤنا أي هذا الذي أعطيناك من الملك والبسطة والتسلط
على ما لم يسلط به غيرك عطاؤنا فامنن أو أمسك فأعط من شئت
وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الأمر أي غير محاسب
على منه وإمساكه لتفويض التصرف فيه إليك أو من العطاء أو صلة
له وما بينهما اعتراض والمعنى عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل الإشارة
إلى تسخير الشياطين والمراد بالمن والإمساك إطلاقهم والإبقاء بهم في القيد
وقال الحسن البصري إن الله لم يعط أحدا ما أعطاه إلا جعل فيه حسابا إلا
سليمان عليه السلام فإن الله تعالى أعطاه عطاء هنيئا فقال
هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب قال إن أعطى أجر وإن لم
يعط لم يكن عليه تبعة وقال مقاتل هو في أمر الشياطين أي خل من شئت
منهم وأوثق من شئت في وثاقك ولا تبعة عليك فيما تتعاطاه وإن له
عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب
في الجنة حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا شعبة عن
محمد بن زياد بكسر الزاي وتخفيف التحتية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم إن عفريتا من الجن يجيء تفسيره من المصنف
تفلت علي بتشديد اللام أي تعرض لي فلتة من الفلتة بمعنى البغتة

البارحة اي الليلة الخالية الزائلة والبارح الزائل ويقال من بعد
الزوال الى اخر النهار البارحة ليقطع علي صلوتي فامكنني الله منه فاخذته
فاردت ان اربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم
فذكرت دعوة اخي سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرددته
خاسئا اي ذليلا مطرودا متحيرا وفي هذا اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم
كان يقدر على ذلك الا انه تركه رعاية لسليمان عليه السلام ويحتمل ان
يكون خصوصية سليمان عليه السلام استخدام الجن في جميع ما يريده
لا في هذا القدر فقط واستدل الخطابي بهذا الحديث على ان اصحاب
سليمان عليه السلام كانوا يرون الجن في اشكالهم وهيئتهم حال
تصرفهم قال واما قوله انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فالمراد الاكثر
الاغلب من احوال بني ادم وتعقب بان نفي رؤية الانس للجن على
هيئتهم ليس بقاطع من الاية بل ظاهرها انه ممكن فان رؤيتنا اياهم
مقيدة بحال رؤيتهم لنا ولا ينفي امكان رؤيتنا لهم في غير تلك الحالة
ويحتمل العموم وهذا الذي فهمه اكثر العلماء حتى قال الشافعي من زعم انه
يرى الجن ابطلنا شهادته واستدل بهذه الاية والله تعالى اعلم والحديث
قد مضى في كتاب الصلوة في باب الاسير يربط في المسجد ومطابقته للترجمة
ظاهرة عفريت متمرد من انس او جان فسر عفريتا بقوله متمرد سواء
كان من انس او من جان واشتقاقه من العفر وقال الزمخشري العفر
والعفرية والعفارية والعفريت القوي المتشيطن الذي يعفر اقرانه
والتاء في العفرية والعفارية للالحاق بشرذمة وعذافرة والتاء فيهما
للمبالغة والتاء في عفريت للالحاق بقنديل وفي الحديث ان الله تعالى
يبغض العفرية النفرية قال ابن الاثير هو الداهي الخبيث الشرير ومنه
العفريت مثل زبنية جماعتها الزبانية الزبنية بكسر الزاي وسكون
الموحدة وكسر النون وفتح التحتية واخرها هاء تانيث ويجمع على زبانية
وفي قوله عفريت مثل زبنية نظر لان مثل الزبنية العفرية لا العفريت

وقال الحافظ العسقلاني مراد المصنف بقوله مثل زبنية انه قيل في عفريت
عفرية وهي قراءة رويت في الشواذ عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وابي
رجاء العطاردي وابي السمال بالسين المهملة وباللام وقال ذو الرمة كانه
كوكب في اثر عفرية مصوت في ظلام الليل منتصب ثم الزبانية في الاصل
اسم اصحاب الشرطة مشتق من الزبن وهو الدفع واطلق ذلك على ملائكة
النار لانهم يدفعون الكفار في النار وواحد الزبانية زبنية وقيل
زابن وقيل زباني وقال قوم لا واحد له من لفظه وهو الذي تعرفه
العرب وقيل واحدها زبنيت وزن عفريت وقيل واحدها زاني كانه
نسب الى الزبن ثم غير للنسبة كقولهم انسي بكسر الهمزة حدثنا خالد بن
مخلد بفتح الميم البجلي الكوفي قال حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن الحزامي وليس
بالمخزومي واسم جد الحزامي عبد الله بن خالد بن حزام واسم جد المخزومي
الحارث بن عبد الله عن ابي الزناد بكسر الزاي وتخفيف النون عبد الله
بن ذكوان عن الاعرج عبد الرحمن بن هرمز عن ابي هريرة رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال سليمان بن داود عليهما
السلام لاطوفن وفي رواية الحموي والمستملي لاطيفن وهما لغتان يقال
طاف بالشيء واطاف به اذا دار حوله وتكرر عليه وهو كناية عن الجماع
واللام فيه جواب قسم محذوف اي والله لاطوفن ويؤيده قوله في اخره
لم يحنث لان الحنث لا يكون الا عن قسم والقسم لا بد له من مقسم به
الليلة نصب على الظرفية على سبعين امراة كذا هنا من رواية مغيرة
وفي رواية شعيب كما سياتي في الايمان والنذور فقال تسعين وقد
ذكر المصنف ذلك عقب هذا الحديث ورجح تسعين بتقديم المثناة
على سبعين وذكر ان ابا الزناد رواه كذلك وقد رواه سفيان بن
عيينة عن ابي الزناد فقال سبعين بتقديم السين وكذا هو
في مسند الحميدي عن سفيان وكذا اخرجه مسلم من رواية ورقاء عن
ابي الزناد واخرجه الاسمعيلي والنسائي وابن حبان من طريق

هشام بن عروة عن ابي الزناد فقال مائة امرأة وكذا قال طاوس عن
ابي هريرة رضي الله عنه كما سيأتي في الايمان والنذور من رواية معمر وكذا
قال احمد عن عبد الرزاق من رواية هشام بن حجير عن طاوس
تسعين وسيأتي في كفارة الايمان ورواه مسلم عن عبد بن حميد عن
عبد الرزاق فقال سبعين وسيأتي في التوحيد من رواية ايوب عن
ابن سيرين عن ابي هريرة رضي الله عنه كان لسليمان ستون امرأة
ورواه احمد وابو عوانة من طريق هشام عن ابن سيرين فقال مائة امرأة
وكذا قال عمران بن خالد عن ابن سيرين عند ابن مردويه وتقدم في الجهاد
من طريق جعفر بن ربيعة عن الاعرج فقال مائة امرأة او تسع وتسعين
على الشك فتحصل من الروايات ستون وسبعون وتسعون وتسع وتسعون
ومائة والجمع بينها ان الستين كن حرائر وما زاد عليهن كن سراري او
بالعكس واما السبعون فللمبالغة واما التسعون والمائة فكن دون
المائة وفوق التسعين فمن قال تسعون الغى الكسر ومن قال مائة جبره
ومن ثم وقع التردد في رواية جعفر واما قول بعض الشراح ليس في ذكر القليل
نفي الكثير وهو من مفهوم العدد وليس بحجة عند الجمهور فليس بكاف في هذا
المقام وقد حكى وهب بن منبه في المبتدا انه كان لسليمان عليه السلام
الف امرأة ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية ونحوه ما روى الحاكم في المستدرك
من طريق ابي معشر عن محمد بن كعب قال بلغنا انه كان لسليمان عليه
السلام الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة صريحة وسبعمائة
سرية **تحمل كل امرأة فارسا يجاهد في سبيل الله** قاله على سبيل التمني للخير وانما
جزم به لانه غلب عليه الرجاء لكونه قصد به الخير وامر الآخرة لا لغرض الدنيا قال بعض
السلف نبه صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على آفة التمني والاعراض
عن التفويض قال ولذلك نسي الاستثناء ليمضي فيه القدر **فقال له صاحبه**
ان شاء الله وفي رواية قل ان شاء الله وفي رواية معمر عن طاوس على ما سيأتي
فقال له الملك وفي رواية هشام بن حجير فقال له صاحبه قال سفيان يعني

الملك وهذا يدل على ان تفسير صاحبه بالملك ليس بمرفوع ووقع في مسند
الحميدي عن سفيان فقال له صاحبه او الملك بالشك ومثلها لمسلم وفي
الجملة ففيه رد على من فسر صاحبه بانه الذي عنده علم من الكتاب
وهو آصف بالمد وكسر المهملة وبالفاء ابن برخيا بفتح الموحدة وسكون
الراء وكسر المعجمة بعدها تحتانية وقال القرطبي في قوله فقال له صاحبه او
الملك ان كان صاحبه فيعني به وزيره من الانس او الجن وان كان
الملك فهو الذي يأتيه بالوحي قال وقد ابعد من قال المراد به خاطره وقال
النووي قيل المراد بصاحبه الملك وهو الظاهر من لفظه وقيل القرين وصاحب
له آدمي وقال الحافظ العسقلاني ليس بين قوله صاحبه والملك منافاة الا ان
لفظ صاحبه اعم فمن ثمة نشأ لهم الاحتمال ولكن الشك لا يؤثر في الجزم فمن
جزم بانه الملك حجة على من لم يجزم **فلم يقل** قال القاضي عياض وفي رواية
فنسي قال الحافظ العسقلاني وهي رواية ابن عيينة عن شيخه وفي رواية
معمر قال ونسي ان يقول ان شاء الله ومعنى قوله فلم يقل اي بلسانه لا انه
ابى ان يفوض الى الله بل كان ذلك ثابتا في قلبه لكنه نسي ان يجريه على لسانه
فلم تحمل وزاد في رواية فطاف بهن وفي رواية ابن عيينة فاطاف بهن
شيئا الا واحدا ساقطا شقه ويروى احدى شقيه وفي رواية شعيب
فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وفي رواية ايوب عن ابن
سيرين ولدت شق غلام وفي رواية هشام عنه نصف انسان وفي رواية
معمر حكى النقاش في تفسيره ان الشق المذكور هو الجسد الذي القي على كرسيه
وقد تقدم قول غير واحد من المفسرين ان المراد بالجسد المذكور شيطان
قال الحافظ العسقلاني وهو المعتمد **فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو قالها**
اي لو قال سليمان عليه السلام ان شاء الله وزاد في آخره فرسانا اجمعون
وفي رواية ابن سيرين لو استثنى لحملت كل امرأة منهن فولدت فارسا
يقاتل في سبيل الله وفي رواية طاوس لو قال ان شاء الله لم يحنث وكان
دركا لحاجته كذا عند المصنف من رواية هشام بن حجير وعند مسلم

مثله من رواية مسعر وعند المصنف من طريق مسعر وكان ارجى لحاجته
وقوله دركا بفتحتين من الادراك وهو كقوله تعالى لا تخاف دركا
اي لحاقا والمراد انه كان يحصل له ما طلب ولا يلزم من اخباره صلى
الله عليه وسلم بذلك في حق سليمان عليه السلام في هذه القصة ان
يقع ذلك لكل من استثنى في امنيته بل في الاستثناء رجاء الوقوع وفي ترك
الاستثناء خشية عدم الوقوع والله تعالى اعلم وفي الحديث فضل فعل
الخير وتعاطي اسبابه وان كثيرا من المباح والملاذ يصير مستحبا بالنية والقصد
وفيه استحباب الاستثناء لمن قال سافعل كذا وان اتباع المشية اليمين
يرفع حكمها وهو متفق عليه بشرط الاتصال وسياتي بيان ذلك في الايمان
والنذور ان شاء الله تعالى وقد استدل بهذا الحديث من قال ان الاستثناء
اذا عقب اليمين ولو تخلل بينهما شيء يسير لا يضر فان الحديث دل على ان سليمان
عليه السلام لو قال ان شاء الله عقب قول الملك له قل ان شاء الله لافاد مع التخلل
بين كلاميه بمقدار كلام الملك واجاب القرطبي باحتمال ان يكون الملك قال
ذلك في اثناء كلام سليمان عليه السلام وهو احتمال ممكن وان كان يبعد ان ينضبط
به الاستدلال المذكور وفيه ان الاستثناء لا يكون الا باللفظ ولا يكفي فيه
النية وهو اتفاق الا ما حكي عن بعض المالكية وفيه ما خص به الانبياء من القوة
على الجماع الدال على صحة البنية وقوة الفحولية وكمال الرجولية مع ما هم فيه
من الاشتغال بالعبادة والعلوم وقد وقع للنبي صلى الله عليه وسلم من
ذلك ابلغ المعجزة لانه مع اشتغاله بعبادة ربه وعلومه ومعالجة الخلق وكان
متقللا من الماكل والمشارب وهو مقتض لضعف البدن على كثرة الجماع مع
ذلك كان يطوف على نسائه في ليلة بغسل واحد وهن احدى عشرة امراة
وقد تقدم في كتاب الغسل ويقال ان كل من كان اتقى لله فشهوته اشد
لان الذي لا يتقي يتفرج بالنظر ونحوه وفيه جواز الاخبار عن الشيء ووقوعه
في المستقبل بناء على غلبة الظن فان سليمان عليه السلام جزم بما قال ولم يكن
ذلك عن وحي والا لوقع كذا قيل وقال القرطبي لا يظن بسليمان عليه السلام

انه قطع بذلك على ربه الا من جهل حال الانبياء عليهم السلام وادبهم
مع الله تعالى وقال ابن الجوزي فان قيل من اين لسليمان عليه السلام
ان يخلق من مائه هذا العدد في ليلة لا جائز ان يكون بوحي لانه ما وقع
ولا جائز ان يكون الامر في ذلك اليه لان الارادة لله تعالى قال والجواب
انه من جنس التمني على الله والسؤال له ان يفعل والقسم عليه كقول
انس بن النضر والله لا تكسر ثنيتها وقال بعض العلماء يحتمل ان يكون
اوحي اليه بذلك مقيدا بشرط الاستثناء فنسي الاستثناء فلم يقع ذلك لفقدان
الشرط ومن ثمه ساغ له اولا ان يحلف وابعد من استدل به على جواز الحلف
على غلبة الظن وفيه جواز السهو على الانبياء عليهم السلام وان ذلك لا يقدح
في علو منصبهم وفيه جواز اضمار المقسم به في اليمين لقوله لاطوفن مع قوله
عليه السلام لم يحنث فدل على ان اسم الله فيه مقدر فان قال احد بجواز
ذلك فالحديث حجة له بناء على ان شرع من قبلنا شرع لنا اذا ورد تقريره
على لسان الشارع وان وقع الاتفاق على عدم الجواز فيحتاج الى تاويله
كان يقال التلفظ باسم الله وقع في الاصل وان لم يقع في الحكاية وذلك
ليس بممتنع فان من قال والله لاطوفن قال لاطوفن لان اللافظ
بالمركب لافظ بالمفرد وفيه حجة لمن قال لا يشترط التصريح بمقسم به معين
فمن احلف قال او اشهد او نحو ذلك فهو يمين وهو قول الحنفية وقيده
المالكية بالنية وقالت الشافعية ليست بيمين مطلقا وفيه جواز استعمال
لو ولولا وسياتي الكلام عليه في باب مفرد عقده له المصنف في اواخر كتاب
التمني ان شاء الله تعالى وفيه استعمال الكناية في اللفظ الذي يستقبح ذكره لقوله
لاطوفن بدل قوله لاجامعن ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة قال
شعيب هو شعيب بن ابي حمزة الحمصي وابن ابي الزناد هو ابن عبد الرحمن
بن عبد الله بن ذكوان قال كلاهما في روايتهما تسعين بدل سبعين
على نسائه في الايمان والنذور وهو اصح قال البخاري وهو اصح اي ما رواه
من تسعين اصح من رواية سبعين حدثنا عمر بن حفص قال اخبرنا ابي قال

اخبرنا الاعمش عن ابراهيم التيمي عن ابيه هو يزيد بن شريك عن ابي
ذر الغفاري رضي الله عنه انه قال قلت يا رسول الله اي مسجد وضع اول
قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال ثم المسجد الاقصى قلت كم كان بينهما قال
اربعون اي سنة كما وقع كذلك في باب قول الله تعالى واتخذ الله ابراهيم
خليلا والمطلق محمول على المقيد ثم قال حيثما ادركتك الصلوة فصل والارض
لك مسجد وفيه اشارة الى المحافظة على الصلوة في اول وقتها ويتضمن ذلك
الندب الى اول [illegible] الاوقات وفيه اشارة الى ان افضل مكان العبادة
اذا لم يحصل لا يترك المامور به لفواته بل يفعل المامور به في المفضول لانه
صلى الله عليه وسلم كانه فهم من ابي ذر تخصيصه السؤال عن اول مسجد وضع
انه يريد تخصيص صلوته فيه فنبه على ان ايقاع الصلوة اذا حضرت لا يتوقف
على المكان الافضل وفيه فضيلة الامة المحمدية لما ذكر ان الامم قبلهم كانوا لا يصلون
الا في مكان مخصوص وقد تقدم التنبيه عليه في كتاب التيمم وفيه الزيادة
على السؤال في الجواب لا سيما اذا كان للسائل في ذلك مزيد فائدة والحديث
قد مضى في باب قول الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومطابقته للترجمة
من حيث ان الذي بنى المسجد الاقصى هو سليمان عليه السلام حدثنا ابو
اليمان الحكم بن نافع قال اخبرنا شعيب قال اخبرنا ابو الزناد عبد الله بن
ذكوان عن عبد الرحمن الاعرج هو ابن هرمز انه سمع ابا هريرة رضي الله
عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثلي ومثل الناس بفتح
الميم اي صفتي وحالي في ارشادي ودعائي اياهم الى الاسلام المنقذ لهم من النار
ومثل ما زين لهم انفسهم من التمادي على الباطل كمثل رجل الى اخره والمراد
تمثيل الجملة بالجملة لا تمثيل فرد بفرد والمراد من ضرب المثل الزيادة في الكشف
والتنبيه لبيان استوقد نارا اي اوقد نارا [illegible] وما وقع في رواية مسلم
واحمد في حديث جابر رضي الله عنه مثلي ومثلكم كمثل رجل اوقد نارا وزاد احمد
ومسلم من رواية همام عن ابي هريرة رضي الله عنه فلما اضاءت ما حوله
وقال [illegible] وزيادة السين والتاء للاشارة الى انه عالج ايقادها

وسعى في تحصيل آلاتها هذا والنار جوهر لطيف مضيء محرق حار والنور ضوءها
جعل الفراش بفتح الفاء وتخفيف الراء وبالشين المعجمة جمع الفراشة وهي التي
تطير وتتهافت في السراج وقال الخليل الطير كالبعوض وقيل هو كصغار البق
وقال الفراء هو غوغاء الجراد الذي ينفرش ويكثر ويتراكم ويتهافت في النار وقال في
المحكم الفراش دواب مثل البعوض واحدتها فراشة وقد شبه الله تعالى الناس
في الحشر بالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والاسراع الى الداعي وهذه
الدواب عطف على الفراش وهو جمع دابة واراد بها مثل البرغش والبعوض
والجندب ووقع في حديث جابر رضي الله عنه فجعل الجنادب والفراش والجنادب
جمع جندب وهو على الثعلب وهو في جمع جندب بفتح الدال وضمها والجيم
مضمومة وقد تكسر وهو على خلقة الجرادة يصر في الليل صرا شديدا وقيل ان
ذكر الجراد يسمى ايضا الجندب تقع في النار وتمام الحديث على ما اورده الحميدي
في الجمع يقعن في النار فجعل الرجل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها فذلك مثلي ومثلكم
انا اخذ بحجزكم عن النار فتغلبوني وتقتحمون فيها وقوله تقع في النار كذا في
هذه الرواية وانما هو في نسخة شعيب كما اخرجه ابو نعيم في المستخرج وهذه الدواب
التي يقعن في النار يقعن فيها ثم قوله تقع في النار خبر جعل لانه من افعال
المقاربة وقال النووي مقصود الحديث انه صلى الله عليه وسلم شبه
المخالفين له بالفراش وتساقطهم في نار الاخرة بتساقط الفراش
في نار الدنيا مع حرصهم على الوقوع في ذلك ومنعه اياهم والجامع بينهما اتباع
الهوى وضعف التمييز وحرص كل من الطائفتين على هلاك نفسه وقال
القاضي ابو بكر ابن العربي هذا مثل كثير المعاني والمقصود ان الخلق لا يأتون
ما يجرهم الى النار على قصد الهلكة وانما يأتونه على قصد المنفعة واتباع
الشهوة كما ان الفراش يقتحم النار لا ليهلك فيها بل لما يعجبه من الضياء وقد
قيل انها لا تبصر بحال وهو بعيد وانما قيل انها تكون في ظلمة فاذا رأت الضياء
اعتقدت انه كوة يظهر منها النور فتقصده لاجل ذلك فتحترق وهي
لا تشعر وقيل ان ذلك لضعف بصرها فتظن انها في بيت مظلم وان

السراج مثل كوة فترمي بنفسها اليه وهي من شدة طيرانها تجاوزه فتقع
في الظلمة فترجع الى ان تحترق وقيل انها تتضرر بشدة النور فتقصد اطفاءه
فلشدة جهلها تورط بنفسها فيما لا قدرة لها عليه ذكر مغلطاي انه سمع
بعض مشايخ الطب يقوله وقال الغزالي التمثيل وقع على صورة الاكباب على
الشهوات من الانسان باكباب الفراش على التهافت في النار ولكن جهل
الآدمي اشد من جهل الفراش لانها باغترارها بظاهر الضوء اذا احترقت
تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار مدة طويلة او ابدا والله المستعان
تنبيه قال الحافظ العسقلاني لم ار هذا الحديث تاما في صحيح البخاري وقد اورده
الحميدي في الجمع من طريق شعيب هذه وساق بمتن تمامه وقال انه لفظ
البخاري وان مسلما اخرجه من طريق مغيرة وسفيان عن ابي الزناد به
ومن طريق همام عن ابي هريرة رضي الله عنه وكذلك اطلق المزي ان البخاري
اخرجه في احاديث الانبياء فان كان عنى هذا الموضع فليس هو فيه بتمامه
وان كان عنى موضعا آخر فلم اره فيه انتهى فان قيل ما وجه تعلق هذا
الحديث بقصة داود عليه السلام فالجواب ان المقصود ما بعده وكأنه
ذكر ما قبله لكونه سمع شيخه يقدمه على الآخر وسمع الاسناد في الباب بدون
الذي يليه فاحتاج ان يذكر شيئا من لفظ الحديث الاول لاجل الاسناد وقد
تقدم في الطهارة للمصنف مثل هذا الصنيع وكذا في الجهاد وغيره حيث
ذكر في هذه المواضع احاديث وذكر قبلها طرفا من حديث آخر لاجل الاسناد
وفي بعض المواضع لم يفعل هذا الصنيع فلم يطرد للمصنف في ذلك عمل وكأنه
حيث ضم اليه شيئا اراد الاحتياط وحيث لم يضم نبه على الجواز والله تعالى اعلم
وقال كانت امرأتان معهما ابناهما ليس فيه تصريح برفعه وهو مرفوع في
شعيب عند الطبراني وغيره وفي رواية النسائي من طريق علي بن عياش
عن شعيب حدثني ابو الزناد مما حدثه عبد الرحمن الاعرج مما ذكر انه سمع ابا
هريرة رضي الله عنه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما امرأتان
معهما ابناهما قال الحافظ العسقلاني لم اقف على اسم واحدة من هاتين

158

المرأتين ولا على اسم واحد من ابنيهما في شيء من الطرق فجاء الذئب
فذهب بابن احديهما فقالت صاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى
انما ذهب بابنك فتحاكما وفي رواية الكشميهني فتحاكمتا وفي نسخة شعيب
فاختصمتا الى داود عليه السلام فقضى به للكبرى اي للمرأة الكبرى فخرجتا
على سليمان بن داود عليهما السلام فاخبرتاه فقال ائتوني بالسكين اشقه
بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله ووقع في رواية مسلم والاسماعيلي
من طريق ورقاء عن ابي الزناد لا يرحمك قال القرطبي ينبغي على هذه الرواية
ان يقف على لا وقفة لطيفة حتى يتبين للسامع ان ما بعده كلام
مستأنف لانه اذا وصل بما بعده يتوهم السامع انه دعا عليه مع انه
دعا له ويزول الايهام في مثل هذا بزيادة واو وكان يقول لا ويرحمك الله
قيل وهذه الواو احسن من واوات الاصداغ هو ابنها فقضى به للصغرى
قيل كان ذلك على سبيل الفتيا منهما لا الحكم ولذلك ساغ لسليمان عليه السلام
ان ينقضه وتعقبه القرطبي بانه في لفظ الحديث انه قضى وبانهما تحاكمتا
وبان فتيا النبي وحكمه سواء في وجوب تنفيذ ذلك وقال الداودي انما كان
منهما على سبيل المشاورة فوضح لداود صحة رأي سليمان فامضاه وقال ابن
الجوزي استويا عند داود في اليد فقدم الكبرى للسن وتعقبه القرطبي وحكى انه
قيل كان من شرع داود عليه السلام ان يحكم للكبرى قال وهو فاسد لان
الكبر والصغر وصف طردي محض لا يوجب شيئا من ذلك ترجيحا لاحد
المتداعيين حتى يحكم له او عليه وكذلك الطول والقصر والسواد والبياض
قال وهذا مما يكاد يقطع بفساده قال والذي ينبغي ان يقال ان داود عليه
السلام قضى به للكبرى لسبب اقتضى عنده ترجيح قولها اذ لا بينة لواحدة
منهما وكونه لم يعين في الحديث اختصارا لا يلزم منه عدم وقوعه فيحتمل ان
يقال ان الولد الباقي في يد الكبرى وعجزت الاخرى عن اقامة البينة قال
وهذا تأويل حسن جار على القواعد الشرعية وليس في السياق ما يأباه
ولا ما يمنعه فان قيل كيف ساغ لسليمان عليه السلام نقض حكمه فالجواب

انه لم يعد الى نقض الحكم وانما احتال بالحيلة اللطيفة التي اظهرت ما في نفس الامر وذلك انهما لما اخبرتا سليمان بالقصة فدعا بالسكين ليشقه بينهما ولم يعزم على ذلك في الباطن وانما قصد استكشاف الامر فحصل مقصوده بذلك لجزع الصغرى الدال على عظم الشفقة ولم يلتفت الى اقرارها بقولها انه ابن الكبرى لانها علم انها آثرت حياته فظهر له من قرينة شفقة الصغرى وعدمها في الكبرى مع ما انضاف الى ذلك من القرينة الدالة على صدقها ما حكم به على الحكم للصغرى ويحتمل ان يكون سليمان عليه السلام ممن سوغ له ان يحكم بعلمه او يكون الكبرى في تلك الحالة اعترفت بالحق لما رات من سليمان الجد والعزم في ذلك ونظير هذه القصة ما لو حكم حاكم على مدعٍ منكر بيمين فلما مضى ليحلف حضر من استخرج من المنكر ما اقتضى اقراره بما اراد ان يحلف على جحده فانه والحالة هذه يحكم عليه باقراره سواء كان ذلك قبل اليمين او بعدها ولا يكون ذلك من نقض الحكم الاول ولكن من باب تبدل الاحكام بتبدل الاسباب وقال ابن الجوزي استنبط سليمان عليه السلام لما راى الامر محتملا فاجاد وكلاهما حكم بالاجتهاد لانه لو كان حكم بالنص لما ساغ لسليمان عليه السلام ان يحكم بخلافه ودلت هذه القصة على ان الفطنة والفهم موهبة من الله تعالى لا تتعلق بكبر سن ولا صغره وفيه ان الحق في جهة واحدة وان الانبيا عليهم السلام يسوغ لهم الحكم بالاجتهاد وان كان وجود النص ممكنا لديهم بالوحي لكن في ذلك زيادة في اجورهم ولعصمتهم من الخطا في ذلك لا يقرون على الباطل وفيه استعمال الحيل في الاحكام لاستخراج الحقوق ولا يتاتى ذلك الا بمزيد الفطنة وممارسة الاحوال والله اعلم بحقيقة الحال قال ابو هريرة رضي الله عنه صورته صورة تعليق وقال الحافظ العسقلاني انه موصول بالاسناد السابق ووصله الاسمعيلي من طريق ورقاء عن ابي الزناد والله ان سمعت بكسر الهمزة وسكون النون للنفي اي والله ما سمعت بالسكين اي بلفظ السكين الا يومئذ وما كنا نقول الا المدية بضم الميم وقيل الميم مثلثة قيل للسكين ذلك

لانه يقطع مدى حيوة الحيوان والسكين يذكر ويؤنث وقيل له ذلك لانه يسكن حركة الحيوان باب قول الله تعالى ولقد آتينا لقمن الحكمة الى قوله عظيم يا بني انها ان تك مثقال حبة الخردل ولا تصعر الاعراض بالوجه وهذه ست ايات في سورة لقمن قال الله تعالى ولقد آتينا لقمن اختلف في لقمن فقيل كان حبشيا وقيل كان نوبيا والنوب بالضم جيل من السودان والنوبة بالضم بلاد واسعة للسودان بجنوب الصعيد منها بلال الحبشي واختلف ايضا هل كان نبيا قال السهيلي كان نوبيا من اهل ايلة واسم ابيه عنقا بن سدون روى ذلك عن مقاتل ويقال ابن باران بالموحدة وبالرا حكاه السهيلي ايضا عن ابن جرير والقعنبي والصحيح انه اسم ابنه لا اسم ابيه وقال ابن اسحق هو ابن باعور بن ناخر بن تارخ هو آزر اب ابرهيم عليه السلام فهو ابن ابن اخي ابرهيم عليه السلام وقال وهب بن منبه في المبتدا هو لقمن بن عنقا بن مرثد بن صادق من النوبة من اهل ايلة ولد على عشر سنين خلت من ايام داود عليه السلام وقال مقاتل انه كان ابن اخت ايوب عليه السلام وقيل ابن خالته وقال ابن اسحق عاش الف سنة وادرك داود عليه السلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال الا اكتفي اذ كفيت وقد اخرج الطبري وغيره عن مجاهد انه كان قاضيا على بني اسرائيل زمن داود عليه السلام وفي مستدرك باسناد صحيح عن انس رضي الله عنه كان لقمن عند داود وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين فجعل لقمن يتعجب ويريد ان يسأله عن فائدته فتمنعه حكمته ان يسال فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم اي حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام بحق ما سميت حكيما وهذا صريح في انه عاصر داود عليه السلام وقد ذكره ابن الجوزي في التلقيح بعد ابرهيم قبل اسمعيل واسحق عليهم السلام والصحيح انه كان زمن داود عليه السلام ورده الحافظ العسقلاني

قول من قال انه عاش الف سنة بانه غلط ممن قاله وكانه اختلط
عليه بلقمن بن عاد واغرب الواقدي فزعم انه كان بين عيسى عليه السلام
ونبينا صلى الله عليه وسلم وروى الثوري في تفسيره عن اشعث عن
عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان لقمن عبدا حبشيا نجارا
وفي مصنف ابن ابي شيبة عن خالد بن ثابت الربعي احد التابعين
مثله وحكى ابو عبيد البكري في شرح الامالي انه كان مولى لقوم من الازد
وروى الطبري من طريق يحيى بن سعيد الانصاري عن سعيد
بن المسيب كان لقمن من سودان مصر ذا مشافر واعطاه الله الحكمة ومنعه
النبوة وحكى الثعلبي عن ابن المسيب ايضا انه كان عبدا اسود عظيم
الشفتين مشقق القدمين من سودان مصر ذا مشافر وكان
خياطا وفي الكشاف وعن مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين
مشقق القدمين وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني غليظ
الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت تراني اسود فقلبي
ابيض وهذا قال وهب بن منبه وكان رجلا صالحا ابيض القلب وليس
يصطفي الله عباده على الحسن والجمال وانما يصطفيهم على ما يعلم من غائب
امرهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان عبدا حبشيا نجارا وقيل كان
خياطا وقيل كان راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه حزمة وروي انه كان
عبد القصاب وقال الواقدي كان قاضيا لبني اسرائيل وكان يسكن
بلدة ايلة ومدين وقال مقاتل كان اسم امه تارات وروي ان رجلا
وقف عليه في مجلسه فقال الست الذي ترعى معي في مكان كذا قال بلى
قال ما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني وقال
ابن وهب بن منبه بينما كان لقمن يعظ الناس يوما وهم مجتمعون عليه
اذ مر به عظيم من عظماء بني اسرائيل فقال ما هذه الجماعة قيل له هذه جماعة
اجتمعت على لقمن الحكيم فاقبل اليه فقال له الست عبد بني فلان فقال
نعم فقال ما الذي بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث واداء الامانة وتركي ما

لا يع

لا يعنيني فانصرف عنه متعجبا والاكثر الاقاويل انه كان صالحا حكيما لم يكن
نبيا قال شعبة عن الحكم عن مجاهد كان صالحا ولم يكن نبيا وعن ابن
عباس رضي الله عنهما لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود فرزقه
الله العتق ورضي قوله ووصيته فقص امره في القران ليتمسكوا بوصيته و
قيل كان نبيا اخرجه ابن ابي حاتم وابن جرير من طريق اسرائيل عن جابر
عن عكرمة وجابر هذا هو الجعفي وهو ضعيف وقيل كان لرجل من بني اسرائيل
فاعتقه واعطاه مالا يتجر فيه وروى ابن ابي حاتم من طريق سعيد بن
بشير عن قتادة ان لقمن خير بين الحكمة والنبوة فاختار الحكمة فسئل
عن ذلك فقال خفت ان اضعف عن حمل اعباء النبوة وفي سعيد
بن بشير ضعف وقد روى سعيد بن ابي عروبة عن قتادة في قوله
ولقد اتينا لقمن الحكمة قال التفقه في الدين ولم يكن نبيا وعن سعيد
بن المسيب انه قال لاسود لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلثة من
السودان بلال ومهجع مولى عمر رضي الله عنه ولقمن قال الواقدي والسدي
مات بايلة وقال قتادة بالرملة والله تعالى اعلم الحكمة والحكمة في عرف العلماء
استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة
على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها وقيل هي العقل والعلم والعمل به والاصابة
في الامور وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما زهد عبد في الدنيا
الا انبت الله تعالى الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا
وعيوب نفسه واذا رايتم اخاكم قد زهد في الدنيا فاقتربوا اليه واستمعوا
منه فانه يلقن الحكمة ومن حكمته ان داود عليه السلام قال له يوما كيف
اصبحت فقال اصبحت في يدي غيري وروي انه امر مولاه بان يذبح
شاة ويأتيه باطيب مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب ثم بعد ايام
امره بان يأتيه باخبث مضغتين منها فاتاه بهما ايضا فساله عن ذلك فقال
هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ان اشكر لله ان هي مفسرة
اي اشكر لله لان ايتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله سبحانه على ان الحكمة

الأصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر إيتاء
الحكمة بالبعث على الشكر أو بمعنى لأن اشكر وقيل هو بدل من الحكمة ومن يشكر
فإنما يشكر لنفسه لأن نفعه عائد إليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها
ومن كفر فإن الله غني لا يحتاج إلى الشكر حميد حقيق بأن يحمد وإن لم يحمد أو
محمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال وإذ قال لقمن لابنه قيل كان
اسم ابنه أنعم وقال الكلبي أشكم وقيل ماثان وقال السهيلي باران بموحدة
وراء مهملة وقيل بالزاي أوله وهو يعظه يا بني بالتصغير إشفاق لا تشرك
بالله قيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما حتى أسلما وفي تفسير الليث
ذكر القاسم بن عباد بإسناده عن عبد الله بن دينار أن لقمن قدم
من سفر فلقيه غلامه فقال ما فعل أبي قال قد مات قال قد ملكت أمري قال
وما فعلت أمي قال قد ماتت قال ذهب همي قال ما فعلت أختي قال قد ماتت
قال سترت عورتي قال ما فعلت امرأتي قال قد ماتت قال جدد فراشي قال
ما فعل أخي قال مات قال انقطع ظهري ويروى قال انكسر جناحي ثم قال
ما فعل ابني قال مات قال انصدع قلبي ومن وقف على لا تشرك جعل بالله
قسما إن الشرك لظلم عظيم لأن التسوية بين من لا نعمة إلا منه ومن لا
نعمة منه البتة ظلم لا يكتنه كنهه ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا
على وهن أي ذات وهن أو تهن وهنا على وهن أي تضعف ضعفا
فوق ضعف فإنه لا يزال يتضاعف ضعفها ويتزايد لأن الحمل كلما ازداد
وعظم ازدادت ثقلا وضعفا والجملة في موضع الحال وهو كقولك رجع عودا
على بدء بمعنى يعود عودا على بدء وفصاله في عامين أي وفطامه في انقضاء
عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقال صاحب الكشاف فإن قلت
ما معنى توقيت الفصال بالعامين قلت المعنى في توقيته بهذه المدة أنها
الغاية التي لا تتجاوز والأمر فيما دون العامين موكول إلى اجتهاد الأم
إن علمت أنه يقوى على الطعام فلها أن تفطمه ويدل عليه قوله تعالى والوالدات
يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وبه استشهد

الشافعي على أن مدة الرضاع سنتان لا يثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما
161 وهو مذهب أبي يوسف ومحمد وأما عند أبي حنيفة فمدة الرضاع ثلثون شهرا
وعن أبي حنيفة إن فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم أرضعته
لم يكن رضاعا وإن أكل أكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع فهو حرام أن
اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا أو علة له أو بدل من والديه بدل الاشتمال
فإن قيل قوله حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين كيف اعترض
بين المفسر والمفسر فالجواب أنه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الأم و
تعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة إيجابا
للتوصية بالوالدة وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثمة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لمن قال له من أبر أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك وعن بعض
العرب أنه حمل أمه إلى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه احمل أمي وهي الحماله
ترضعني الدرة والعلالة ولا يجازى والد فعاله إلي المصير فحاسبك
على شكرك وكفرك وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاقه
الإشراك تقليدا لهما وقال الزمخشري أراد بنفي العلم به نفيه أي لا تشرك بي ما
ليس بشيء يريد الأصنام كقوله تعالى ما يدعون من دونه من شيء فلا تطعهما
في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا معروفا ومصاحبا معروفا حسنا
بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة مما يقتضيه الشرع ويقتضيه الكرم والمروءة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم حسن مصاحبتهما أن تطعمهما إذا جاعا وتكسوهما
إذا عريا واتبع في الدين سبيل من أناب إلي بالتوحيد والإخلاص في الطاعة
يعني واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وإن كنت مأمورا
بحسن مصاحبتهما في الدنيا ثم إلي مرجعكم مرجعك ومرجعهما فأنبئكم بما
كنتم تعملون بأن أجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما علم بذلك
حكم الدنيا وما يجب على الإنسان في صحبتهما ومعاشرتهما في مراعاة حق الأبوة
وتعظيمه وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الإخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما
في الآخرة وروي أنهما نزلتا في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأمه

وفي القصة انها مكثت لا سلامه ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها
بعود وروي انه قال لو كان لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت قال
القاضي والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمن تاكيدا لما فيهما
من النهي عن الاشراك كانه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين
للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة
لا يجوز ان يستحق في الاشراك فما ظنك بغيرهما يا بني انها ان تك مثقال
حبة من خردل اي ان الخصلة والهنة من الاساءة او من الاحسان او
تكن مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة
وكان تامة وتانيثها لاضافة مثقال الى الحبة كقوله كما شرقت صدر
القناة من الدم او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في
السموات او في الارض اي كانت مع صغرها في اخفى مكان واحرزه كجوف
صخرة او حيث كانت في العالم العلوي كمحدب السموات او السفلي كمقعر الارض
وفي تخطط في ذكر الصخرة اشارة الى معنى الخفا وفي السما والارض اشارة الى
معنى السعة يات بها الله يوم القيمة اي يحضرها فيحاسب بها عاملها ان
الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها
خبير بمستقرها وروي ان ابن لقمن قال له ارايت الحبة تكون في مقل البحر
اي في مغاصه يعلمها الله وفي رواية انه قال لابيه يا ابت ان عملت الخطيئة
حيث لا يراني احد كيف يعلمها الله فقال ان الله يعلم اصغر الاشياء في اخفى
الامكنة لان الحبة في الصخرة اخفى منها في الما وقيل الصخرة هي التي تحت
الارض وهي السجين يكتب فيها اعمال الكفار وقال الثعلبي السجين الصخرة
التي عليها الارضون ويقال ان تلك الصخرة اعظم من الارضين وهي
مجوفة فيها اعمال الكفار وارواحهم فلا يفتح لهم ابواب السما كما ان ارواح
المومنين في عليين وهو فوق السما السابعة ووقع في الشواذ فتكن بكسر
الكاف من وكن الطائر يكن اذا استقر في وكنته وهي مقره ليلا يا بني اقم
الصلوة تكميلا لنفسك وامر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك

واصبر على ما اصابك يجوز ان يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن وان
يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
من اذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ففيه تنبيه على ان من امر
بالمعروف ونهى عن المنكر ينبغي ان يصبر على ما يصيبه في ذلك ان كان
امره ونهيه لوجه الله تعالى لانه قد اصابه ذلك في ذات الله تعالى ان
ذلك اشارة الى الصبر او الى كل ما امر به من عزم الامور مما عزمه الله من
الامور اي قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم
الصيام من الليل اي لم يقطعه بالنية الا ترى الى قوله لمن لم يبيت الصيام
ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقوله عزمة
من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض من
تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من
فعله ولا مندوحة في تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله من
معزومات الامور اي مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز ان يكون مصدرا
في معنى الفاعل اصله من عازمات الامور وصدق القتال وناهيك بهذه
الاية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وانها كانت مامورا بها في سائر الامم وان
الصلوة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها موصى بها في الاديان
كلها ولا تصعر خدك للناس اي لا تمله ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون
بل اقبل على الناس بوجهك تواضعا من الصعر وهو الصيد داء يعتري البعير
فيلوي عنقه وقد فسره البخاري بقوله الاعراض بالوجه يعني ان التصعير مستفاد
من تصعر وهو بمعنى الاعراض بالوجه وقرا نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي ولا
تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد يقال اصعر خده وصعره وصاعره كقولك
اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع
الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر والاشر والكل بمعنى واحد وهو شدة
البجح والنشاط ان يعجب بنفسه اي لا يكن غرضك في المشي البطالة والاشر
كما يمشي كثير من الناس كذلك لا لكفاية مهم ديني او دنيوي ونحوه قوله تعالى

ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ان الله لا يحب كل مختال فخور علة
للنهي وتأخير الفخور وهو مقابل للمصوحده والمختال المتماشي مرحا لتوافق
رؤوس الآي واقصد في مشيك واعدل وتوسط فيه حتى يكون مشيا بين مشيين
لا تدب دبيب التماوت الذي يرى انه ميت ولا تثب وثيب الشطار قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن واما قول عائشة رضي الله
عنها كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت
ويجوز ان يقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية اي سدد في مشيك
واغضض من صوتك وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض عن فلان
اذا وضع عنه ويقال واخفض صوتك من صوتك يعني لا تكن صيّاحا شديد الكلام
ورفع الصوت في غير الاذان غير مندوب فان المندوب في غيره هو الاقتصاد
كما قال تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا و
قد روي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي
وعمر رضي الله عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما
نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه ان يرفع قليلا و
عمر رضي الله عنه ان يخفض قليلا ان انكر الاصوات اي اوحشها من قولك شيء
نكر اذا انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت لصوت الحمير والحمار مثل في
الذم البليغ والشتيمة لا سيما نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم
من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح فيقولون الطويل الاذنين
كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عُدّ في مساوي الآداب ان يجري ذكر
الحمار في مجلس قوم من اولي المروءة ففي تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل
اصواتهم بالنهيق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة
وان جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين والافراط
في التثبيط ومنع عن رفع الصوت وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان فان
لم وحد صوت ولم يجمع فالجواب انه ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من
آحاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل جنس من الحيوان الناطق له صوت

وانكر اصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده او لانه
163 مصدر في الاصل واما جمع الحمير فقد قيل انه للتعميم والمبالغة للتنكير فان الصوت
اذا توافقت عليه الحمير كان اشد في التنكير وقد يمنع كونه جمعا لنا على ان
الزمخشري وغيره من المحققين لم يذهبوا الا انه جمع وقالوا هو بمنزلة اسماء
الاجناس ويجوز ان يقال الجمع المعرف باللام قد يزول عنه معنى الجمعية ويراد
به الجنس وفي اختياره على الحمار رعاية الفواصل والله تعالى اعلم حدثنا
ابو الوليد هشام بن عبد الملك قال اخبرنا شعبة عن الاعمش عن ابراهيم
النخعي عن علقمة عن عبد الله اي ابن مسعود رضي الله عنه انه قال لما نزلت
آية الذين آمنوا ولم يلبسوا اولم يخلطوا ايمانهم بظلم وتمام الآية اولئك
لهم الامن وهم مهتدون قال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اينا لم يلبس
ايمانه بظلم فنزلت آية لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم يعني ان الظلم المذكور
في الآية المذكورة هو الشرك وان كان الظلم لفظا عاما للشرك وغيره بقرينة
قوله تعالى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم والحديث قد مضى في كتاب الايمان
في باب ظلم دون ظلم ومر الكلام فيه هناك حدثنا اسحق هو ابن راهويه قال
اخبرنا عيسى بن يونس قال اخبرنا الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله
اي ابن مسعود رضي الله عنه انه قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله فاينا لا يظلم نفسه فقال
صلى الله عليه وسلم ذلك اي الظلم المذكور في تلك الآية انما هو الشرك الم تسمعوا
ما قال لقمن لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ومعنى
اختلاط الايمان بالشرك هو ان الايمان التصديق بالله وهو لا ينافي جعل
الاصنام آلهة قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون ويقال المراد
بالظلم في الآية الفسق والله اعلم ومطابقة الحديثين للترجمة ظاهرة باب
واضرب لهم مثلا اصحاب القرية يعني الآية بتمامه قوله فعززنا وقوله طائركم
كما سيأتي قال الله تعالى في سورة يس واضرب لهم اي ومثّل لهم هذه الاشياء
على ضرب واحد اي مثال واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل

وهما مثلا اصحاب القرية على حذف مضاف اى اجعل لهم مثلا مثل اصحاب القرية
اى اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية والمثل الثانى بيان للاول ويجوز
ان يقتصر على مفعول واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له و
القرية انطاكية على ما ذكره ابن اسحق ووهب المنبه ولعلها كانت مدينة
بالقرب من هذه الموجودة الآن لان الله تعالى اخبر انه اهلك اهلها وليس
لذلك اثر في هذه المدينة الموجودة الآن قاله الحافظ العسقلانى اذ جاءها
المرسلون بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى عليه السلام
الى اهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة اوثان واضافته الى نفسه في
قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين لانه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس
قاله وهب وقال مقاتل تومان وبالوس وقال كعب صادق وصدوق
وقال ابن اسحق قاروص ماروص والاول هو المشهور فكذبوهما فعززنا
فقوينا يقال المطر يعزز الارض اذا لبدها وشدها وتعزز لحم الناقة اذا
سمن وقوى وقراه ابو بكر مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة
ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به بثالث هو شمعون راس الحواريين
وهو قول ابن كثير وقال كعب اسمه شلوم وقال مقاتل سمعان وقيل بولس
فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم
عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رايا شيخا يرعى غنيمات وهو حبيب
النجار صاحب يس اى صاحب هذه السورة فسالهما فاخبراه فقال
امعكما اية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض
بسنتين فمسحاه فبرأ فقام فامن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق
وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله سوى الهتنا قالا نعم من اوجدك
والهتك فقال لا ادمن حتى انظر في امركما فتبعهما الناس فضربوهما
وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر
حاشية الملك واصحابه حتى انسوا به ورفعوا خبره الى الملك واوصلوه
اليه فانس به فقال له ذات يوم بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما

يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون
من ارسلكما قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه
واوجز قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما تتمنى الملك
فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له البصر واخذ بندقتين
فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارايت
لو سالت الهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف فقال
ليس لى عنك سر الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون
يدخل معهم على الصنم فيصلى ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر
الهك على احياء ميت امنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فدعوا
فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم
فيه فامنوا وقال فتحت ابواب السماء فرايت شابا حسن الوجه يشفع لهولاء
الثلثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما راى شمعون
ان قوله قد اثر فيه نصحه فامن وامن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبرئيل
فهلكوا قالوا ما انتم الا بشر مثلنا لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما
تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي اعمال ما بالا وما انزل الرحمن
من شئ وحى رسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا
يعلم انا اليكم لمرسلون استشهد والعلم الله وهو يجرى مجرى القسم وكذلك
قولهم شهد الله وعلم الله وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم
وما علينا الا البلاغ المبين الظاهر البين المكشوف بالايات الشاهدة
لصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا ببينة والا فلو قال المدعى
الله يعلم انى لصادق فيما ادعى ولم يحضر البينة كان قبيحا قالوا انا تطيرنا بكم
تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه
اذ من عادة الجهال ان يتيمنوا بكل شئ مالوا اليه واشتهوه وآثروه
وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان اصابهم نعمة
او بلاء قالوا ببركة هذا وبشوم هذا كما حكى الله عن القبط وان تصبهم

شئته يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك
وعن قتادة ان اصابنا شيء كان من اجلكم لئن لم تنتهوا عن مقالتكم
هذه لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم سبب شومكم معكم
وهو كفرهم او اسباب شومكم معكم وهو سوء عقيدتهم واعمالهم وقرئ طيركم
ائن ذكرتم اي وعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم او توعدتم بالرجم و
التعذيب وقد قرئ بالف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم لان
ذكرتم وقرئ ان وان بغير استفهام بمعنى الاخبار اي طائركم معكم حيث
جرى ذكركم وهو ابلغ لانه اذا شئم مكان ذكرهم كان بحلولهم فيه
اشأم بل انتم قوم مسرفون اي قوم عادتكم الاسراف في العصيان فمن
ثمه جاءكم الشوم لا من قبل رسول الله وتذكيره او بل انتم قوم مسرفون
في الضلال متمادون في غيكم حيث تتشامون بمن يجب التبرك به ويجب
الاكرام له وجاء من اقصا المدينة رجل يسعى هو حبيب بن اسرائيل النجار
وكان ينحت الاصنام وهو ممن امن برسول الله صلى الله عليه وسلم و
بينهما ستمائه سنة كما امن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم
يؤمن بنبي احد الا بعد ظهوره وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر
الرسل اتاهم واظهر دينه وقال الكفرة فقالوا وانت تخالف ديننا
فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطئوه بارجلهم حتى خرج قصبه اي امعاؤه
من دبره وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق انطاكية
فلما قتل غضب الله عليهم فاهلكوا بالصيحة صيحة جبرئيل عليه السلام وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم سباق الامة ثلثة لم يكفروا بالله طرفة عين
علي بن ابي طالب وصاحب يس ومؤمن ال فرعون قال اي حبيب النجار
يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم اجرا على النصح وتبليغ الر[illegible]
وهم مهتدون الى خير الدارين وهذه كلمة جامعة في الترغيب اي لا تخسرون
معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا والاخرة
ثم ابرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم

ويداريهم لانه ادخل في محاض النصح حيث لا يريد الا ما يريد لروحه
ولقد وضع قوله وما لي لا اعبد الذي فطرني مكان قوله ما لكم لا تعبدون
الذي فطركم اذ المراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره
ولذلك قال واليه ترجعون مبالغة في التهديد ولم يقل واليه ارجع ثم عاد
الى المساق الاول فقال ءاتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر
لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون بالنصر والمظاهرة اني اذا لفي
ضلال مبين فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق
المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال مبين لا يخفى على عاقل
اني امنت بربكم فاسمعون اي فاسمعوا قولي واطيعوني فقد نبهتكم على
الصحيح الذي لا معدل عنه وهو على ما اشير اليه ان العبادة لا تصح الا لمن
منه مبداكم واليه مرجعكم وما ادفع العقول وانكرها لان تستحبوا و
تؤثروا على عبادته عبادة اشياء ان ارادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء
لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من ان يكونوا شفعاء عنده ولم تقدروا
على انقاذكم منه بوجه من الوجوه انكم في هذا الاستحباب لواقعون في
ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز وقيل الخطاب للرسل
فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال
اني امنت بربكم فاسمعون اي فاسمعوا ايماني تشهدوا لي به قيل ادخل الجنة قيل
له ذلك لما قتل بشرى بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا في دخولها كسائر
الشهداء قال قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق اراد قوله تعالى
بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين وعن الحسن لما هموا بقتله
رفعه الله الى الجنة وقوله تعالى قيل ادخل الجنة خارج مخرج الاستئناف
لان هذا من مظان السؤال عن حاله عند لقاء ربه كان قائلا قال كيف
كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه
فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول
وعظمه لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك قوله قال يا ليت قومي

يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين جواب مرتب على تقدير
سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك القول العظيم له وانما تمنى علم
قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا في اكتساب مثلها لانفسهم بالتوبة
عن الكفر والدخول في الايمان والعمل الصالح المفضيين باهلهما الى الجنة
وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ و
الحلم عن اهل الجهل والترؤف على من ادخل نفسه في غمار الاشرار واهل البغي
والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة والدعاء
عليه الا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة
اصنام وهذا هو داب اولياء الله تعالى ويجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا
على خطا عظيم في امره وانه كان على صواب ونصيحة وشفقة وان عداوتهم
لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف
لذة وسرور والاول اوجه وما خبرية او مصدرية والباء صلة يعلمون او
استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر اي باي شيء غفر لي يريد به
المهاجرة عن دينهم والمصابرة لاعزاز الدين حتى قتل الا ان قوله بم
غفر لي بطرح الالف اجود وان كان اثباتها جائزا وما انزلنا على قومه من بعده
من بعد اهلاكه على راي الجمهور او رفعه على قول الحسن من جند من السماء لاهلاكهم
كما ارسلنا يوم بدر والخندق والمعنى ان الله كفى امرهم بصيحة ملك ولم ينزل
لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق وفيه استحقار لاهلاكهم
وايماء بتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وما كنا منزلين وما صح في حكمنا ان
ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شيء سببا وجعلنا ذلك اي انزال الجند
من السماء سببا لانتصارك من قومك وقال الزمخشري وهو [illegible]
انفا فان قلت ما معنى قوله وما كنا منزلين قلت معناه وما كان يصح في
حكمنا ان ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى
اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض وما ذاك الا بناء على ما اقتضته
الحكمة واوجبته المصلحة الا ترى الى قوله فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من

خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا فان قلت فلم انزل الجنود من السماء يوم
بدر والخندق قال فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها بالف من الملائكة
مردفين بثلثة الاف من الملائكة منزلين بخمسة الاف من الملائكة مسومين
قلت انما كان يكفي ملك واحد فقد اهلكت مدائن لوط بريشة من جناح
جبريل عليه السلام وبلاد ثمود وقوم صالح بالصيحة ولكن الله فضل محمدا صلى
الله عليه وسلم بكل شيء على كبار الانبياء واولي العزم من الرسل فضلا على
حبيب النجار واولاه من اسباب الكرامة والاعزاز ما لم يوله احدا فمن ذلك
انه انزل جنودا من السماء وكانه اشار بقوله وما انزلنا وما كنا منزلين الى
ان انزال الجنود من عظائم الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا نفعل
لغيرك انتهى وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي وما كنا منزلين على
من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة ان كانت اي ما كانت
الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبريل عليه السلام وقرا ابو
جعفر بالرفع على ان كان تامة اي ما وقعت الا صيحة واحدة وقرا ابن مسعود
رضي الله عنه الا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقى اذا صاح ومنه
المثل اثقل من الزواقي فاذا هم خامدون ميتون خمدوا كما تخمد النار فتعود
رمادا وفيه رمز الى ان الحي كالنار الساطعة والميت كالرماد كما قال لبيد وما
المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد
نداء للحسرة عليهم كانما قيل لها تعالي يا حسرة فهذه من الاحوال التي من حقها
ان تحضري فيها وهي ما دل عليه قوله تعالى ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن
اي حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف
على حالهم المتلهفون او هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين
ويجوز ان يكون من الله عز وجل على سبيل الاستعارة والمعنى تعظيم ما جنوه
على انفسهم ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجيبه منه ونصبها لكونها منادى مضاف
بالجار متعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد
باجراء الوصل مجرى الوقف قال مجاهد فعززنا شددنا اشار به الى تفسير قوله

فعززنا وحكي عن مجاهد انه قال معناه شددنا يعني قوينا الرسولين الاولين
برسول ثالث وعلى يديه كان الخلاص وقول مجاهد هذا وصله الفريابي من
طريق ابن ابي نجيح عنه وقال ابن عباس رضي الله عنهما طائركم مصائبكم
اشارة الى ما في قوله تعالى قالوا طائركم معكم وفسره بقوله مصائبكم وقول
ابن عباس رضي الله عنهما هذا وصله ابن ابي حاتم من طريق علي بن ابي طلحة
عنه ولم يذكر المصنف في هذا الباب حديثا مرفوعا وقد روى الطبراني من حديث
ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا السبق ثلثة يوشع الى موسى وصاحب يس
الى عيسى وعلي الى محمد صلوات وسلامه على نبينا وعليهما وفي اسناده حسين
بن حسن الاشقر وهو ضعيف فان ثبت دل على ان القصة كانت في زمن
عيسى او بعده وصنيع المصنف يقتضي انها قبل عيسى عليه السلام وروى ابن
ابي اسحق عن ابي طوالة عن كعب الاحبار ان اسم صاحب يس حبيب وروى
الثوري في تفسيره عن عاصم عن ابي مجلز قال كان اسمه حبيب بن مري وعن شبيب
بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه بسم الله الكافي الهادي
المبسوط اليد بالرزق العالم الصادق من اسماء الحسنى وقيل هو اسم السورة
وقيل غير ذلك ذكر رحمة ربك او مبتدأ حذف خبره محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمة
ربك على ما مر او خبر اي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وهي قراءة الحسن و
قرئ ذكر على الامر عبده مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع
زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه نداء خفيا راعى سنة الله في اخفاء
دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان فكان الاخفاء اولى لانه ابعد من
الرياء وادخل في الاخلاص وعن الحسن نداء لا رياء فيه او اخفاه لئلا يلام على
طلب الولد في ابان الكبر والشيخوخة او اسره من مواليه الذين خافهم او خفت
صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات اي
تارة يسمع وتارة لا يسمع واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون
وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون وقيل تسع وتسعون ولامرأته ثمان
وتسعون قال رب اني وهن العظم مني تفسير للنداء والوهن الضعف وتخ

وهن بالحركات الثلث ونظيره كمل في الحركات الثلث وتخصيص العظم بالذكر لانه
عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت
قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحده لان
الواحد هو الدال على الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام
واشد ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى آخر
وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها واشتعل الرأس شيبا شبه الشيب
في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه
منه كل مأخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال
الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس مبالغة واخرج الشيب مميزا ايضاحا
للمقصود ولم يضف الرأس ولم يقل رأسي اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس
زكريا عليه السلام فمن ثمة فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة ولم
اكن بدعائك رب شقيا اي بدعائي اياك خائبا بل كلما دعوتك استجبت
وهو توسل بما سلف له معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم
يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها
ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه وعن بعضهم ان محتاجا سأله
فقال انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى
حاجته قال الشاعر ايا جود معن ناج معنا بحاجتي ومالي الى معن سواك
دليل واني خفت الموالي وهم الذين يلونه في النسب والمراد بنو عمه والعصبة
وكانوا شرار بني اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا
الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في احياء الدين
ويرتسم مراسمه فيه من ورائي من بعد موتي وهو لا يتعلق بخفت لفساد المعنى
لان الخوف ثابت له في الحال لا بعد موته ولكن بمحذوف وهو مضاف اي خفت
فعل الموالي من بعد موتي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم او بمعنى الولاية في
الموالي اي خفت الذين يلون الامر من بعد موتي وقرأ عثمان ومحمد بن
علي وعلي بن الحسين خفت الموالي من ورائي وهذا على معنيين احدهما

ان يكون وراءى بمعنى خلفي فيتعلق الظرف بالموالي اي قلّوا وعجزوا عن اقامة
امر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه والثاني ان يكون
بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد انهم خفّوا قدامه ودرجوا ان يمضوا
ولم يبق منهم من به تقوٍّ واعتضاد والله تعالى اعلم وكانت امرأتي عاقرا لا
تلد فهب لي من لدنك فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فاني و
امرأتي لا نصلح للولادة وقال صاحب الكشف هو تأكيد لكونه وليا مرضيا
لكونه مضافا الى الله وصادرا من عنده الا فهب لي وليا يرثني كاف وليا من
صلبي اي ولدا صالحا يحمل امر الدين بعدي يرثني ويرث من آل يعقوب
صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي على انهما جواب الدعاء والمراد وراثة
النبوة والشرع والعلم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثني الحبورة
فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما
السلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما فاجابه الله الى وراثة العلم دون
الملك فكلمة من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء
ولا علماء وقيل للتعدية ويعقوب هذا هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا و
قيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمان بن داود عليهما
السلام وقد اختلف في نسب زكريا عليه السلام فقيل هو زكريا بن آذن بن
مسلم بن صدوق بن نحشان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة
بن ناحور بن شلوم بن بهفاشاط بن اسا بن ابيا بن رحبعم بن سليمان
بن داود عليهما السلام كذا ذكره الثعلبي وقال ابن عساكر في تاريخه زكريا
بن برخيا ويقال زكريا بن آذن ويقال زكريا بن ماثان وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان زكريا نجارا اخرجه
باخراجه مسلم واجعله رب رضيا مرضيا ترضاه قولا وفعلا يا زكريا انا
نبشرك بغلام اسمه يحيى جواب لندائه ووعد باجابته وانما تولى تسميته
تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهذا شاهد على ان
الاسامي الشنيعة الغريبة جديرة بالاثرة وفي مثل هذه التسمية تنويه للمسمى

وايّاها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانوه وانزه عن النبز
حتى قال ابو نواس في مدح قوم شنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس الارض
بالهدب وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد لقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل
سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير
فكل واحد منهما سمي لصاحبه وقد فسره به البخاري بروايته عن ابن عباس
رضي الله عنهما كما سيجيء ونحو يحيى في اسمائهم يعمر ويعيش انه كانت التسمية
غريبة وقد سموا بيموت ايضا وهو يموت بن مزرع من المحدثين وقيل
سمي به لان الله احيى به عقر امه فيحيي به رحمها وكذا روي عن ابن عباس رضي
الله عنهما وقال قتادة لان الله تعالى احيى قلبه بالايمان والنبوة وقيل احياه
بالطاعة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية واما كونه لا مثل له فقيل لانه ولد
بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا اي مبالغا في حبس النفس
عن الشهوات والملاهي وقال القاضي الاظهر انه اعجمي وقال الزمخشري ان كان
يحيى اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان
عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر واسم ام يحيى عليه السلام ايشاع بنت
فاقوذا اخت حنة ام مريم وسيأتي ان شاء الله تعالى وقال ابن اسحق كان زكريا
وابنه يحيى عليهما السلام آخر من بعث في بني اسرائيل قبل عيسى عليه السلام من
انبيائهم قال رب انى يكون اي من اين يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا و
قد بلغت من الكبر عتيا اي جساوة ويبسا في مفاصل العظام كالعود
القاحل اليابس يقال عتا العود وعسا وقوله من الكبر اي من اجل الكبر
والطعن في السن العالية او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا
بمعنى كانت امرأتي على صفة العقم حين انا شاب وكهل فما رزقت الولد
لاختلال احد السببين افحين اختل السببان جميعا ارزقه فان قيل
لم طلب اولا وهو وامرأته على صفة العتي والعقم فلما اسعف بطلبته استبعده
واستعجب فالجواب ان ذلك ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع
المبطلون والا فمعتقد زكريا عليه السلام اولا وآخرا كان على منهاج واحد

في ان الله غني عن الاسباب وان المؤثر فيه كمال قدرته وان الوسائط
عند التحقيق ملغاة وقراءة حمزة والكسائي بضم العين من غير اشباع قال اي
الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك الكاف رفع اي الامر كذلك ثم
ابتدأ قال ربك او نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين
ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ويؤيد الاول
قراءة الحسن وهو علي هين اي الامر كما قلت وهو على ذلك يهون علي بان ارد
عليك قوتك حتى تقوم للجماع وافتق رحم امرأتك او كما وعدت وهو علي
هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف
وقد خلقتك من قبل اي اوجدتك من قبل يحيى ولم تك شيئا بل كنت معدوما
صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشيء او شيئا يعتد به فافهم قال اي زكريا
عليه السلام رب اجعل لي آية اي اجعل لي علامة اعلم بها وقوع ما بشرتني به من
يحيى وحصول العلوق وذلك لان العلوق لا يظهر في اول الامر وانما طلب
ذلك ليتلقى فوائد المسرة والبشارة بوصول العطية بمبشرها وازديادا في العبادة
شكر الله تعالى على انعامه وزوال مشقة الانتظار الى ظهور امارات العلوق
وعلامته قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا بالنصب على الحال من الضمير في
تكلم اي قال علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه وانت سوي الخلق سليم
الجوارح ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران للدلالة
على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة ايام ولياليهن
وقيل الحكمة في منعه عن الكلام في هذه الايام هو التأديب من الله تعالى لتعجبه
من كينونة الولد في كبره وعقم امرأته وتنبيه له من الله تعالى فخرج على قومه
من المحراب من المصلى او من الغرفة كان الناس من وراء المحراب ينتظرون ان
يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون اذ خرج عليهم متغير اللون فانكروا ذلك فقالوا
له يا زكريا ما لك فاوحى اليهم اي فاومى اليهم اشار بيده وراسه قاله مجاهد
ويشهد له الا رمزا وعن ابن عباس رضي الله عنهما كتب لهم على الارض وقيل
كتب اليهم في كتاب ان سبحوا اي صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا والذي

المغفرة وروي كان هذا في صبيحة الليلة التي حملت امرأته والمراد طرفا النهار
ولعله كان مأمورا بان يسبح ويأمر قومه بان يوافقوه يا يحيى على تقدير
القول فوهب له يحيى وقال له اي يا يحيى خذ الكتاب اي التورية بقوة بجد
واستظهار بالتوفيق والتأييد وكان مأمورا بالتمسك بالتورية وآتيناه
الحكم صبيا اي الحكمة والفقه في الدين وفهم التورية روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما وقيل دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا روي
عن الضحاك وقال معمر الحكم العقل وقيل النبوة لان الله احكم عقله في
صباه واستنباه واوحى اليه وهو ابن سبع سنين كما روي عن ابن
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن قتادة ومقاتل ثلاث
سنين وكان ذلك معجزة له وحنانا من لدنا قال الزجاج وآتيناه حنانا
اي رحمة منا عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف و
الرأفة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على الاستعارة او رحمة لابويه و
غيرهما وتعطفا وشفقة في قلبه وزكوة وطهارة من الذنوب او صدقة
اي تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق على الناس او تعطف
وتصدق عليهم وقيل زيادة في الخير على ما وصف وقيل عملا صالحا وكان
تقيا مخلصا مطيعا يتجنب عن المعاصي وبرا بوالديه اي وبارا بهما لطيفا
محسنا اليهما ولم يكن جبارا متكبرا عصيا عاقا او عاصيا ربه وسلام عليه
يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا اي وسلام من الله عليه يوم ولد
من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم ويوم يموت من عذاب القبر
ويوم يبعث حيا من عذاب النار وهو القيمة سلم الله عليه في هذه الاحوال
قال ابن عيينة انها اوحش المواطن **قال ابن عباس مثلا** اي قال ابن
عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى هل تعلم له سميا مثلا وصله ابن ابي
حاتم من طريق علي بن ابي طلحة عنه في قوله تعالى هل تعلم له سميا قال هل
تعلم له مثلا او شبها ومن طريق سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن
عباس رضي الله عنهما في قوله لم نجعل له من قبل سميا قال لم يسم يحيى قبله

غيره اخرجه الحاكم في المستدرك يقال رضيا مرضيا اشار به الى ما في قوله
تعالى واجعله رب رضيا وفسره بقوله مرضيا حكاه الطبراني قال مرضيا ترضاه
انت وعبادك عتيا عصيا عتا يعتو اشار به الى ما في قوله تعالى وقد بلغت
من الكبر عتيا وفسره بقوله عصيا وذكره بالصاد المهملة والصواب بالسين
المهملة وروى الطبري باسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنه قال ما ادري
اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا عتيا او عسيا فقال وقرا مجاهد عسيا
بالسين وقال الجوهري عتا الشيخ يعتو عتيا بضم العين وكسرها كبر وولى
وقال الاصمعي عسا الشيخ يعسو عسيا ولى وكبر مثل عتا وقال العسو نحول
العظم ويقال ملك عات اذا كان قاسي القلب غير لين وعن ابي عبيدة
في قوله وقد بلغت من الكبر عتيا كل مبالغ من كبر او كفر او فساد فقد عتا
يعتو عتوا واشار بقوله عتا يعتو الى انه من باب غزا يغزو قال رب انى
يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا الى قوله ثلاث
ليال سويا اي اقرا الى قوله ثلاث ليال سويا وقد مر تفسير هذه الآيات يقال
صحيحا هو اشارة الى تفسير قوله سويا هو قول عبد الرحمن بن زيد بن اسلم
اخرجه ابن ابي حاتم عنه قال في قوله تعالى ثلاث ليال سويا وانت صحيح محبس
لسانه وكان لا يستطيع ان يتكلم وهو يقرا التورية ويسبح ولا يستطيع ان
يكلم الناس واخرج من طريق ابي عبد الرحمن السلمي قال اعتقل لسانه من
غير مرض فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا
فاوحى فاشار وهو قول محمد بن كعب ومجاهد وغير واحد اخرجه ابن ابي حاتم
عنهم يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله يوم يبعث حيا وقد مر تفسير هذه الآيات
حفيا لطيفا اشار به الى ما في قوله تعالى انه كان بي حفيا وفسره بقوله
لطيفا وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما اخرجه ابن ابي حاتم من طريق
علي بن ابي طلحة عنه وقال ابو عبيدة فيه اي محتفيا يقال تحفيت بفلان عاقرا
الذكر والانثى سواء اشار به الى ما في قوله تعالى وكانت امرأتي عاقرا وقال
الذكر والانثى سواء قال ابو عبيدة العاقر التي لا تلد والعاقر الذي لا يلد

قال عامر بن الطفيل لبئس الفتى ان كنت اعور عاقرا جبانا فما عذري
لدى كل محضر وقال الفرا لفظ الذكر فيه مثل لفظ الانثى حدثنا هدبة بضم
الهاء وسكون المهملة وبالموحدة بن خالد قال اخبرنا همام بن يحيى قال اخبرنا
قتادة عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبي الله صلى
الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به ثم صعد حتى اتى السماء الثانية
فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل
اليه قال نعم فلما خلصت اي للصعود الى السماء الثانية ووصلت اليها
فاذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة اي كل واحد منهما ابن خالة الآخر ولعل
هذه القرابة هي سبب كونهما في سماء واحد مجتمعين واسم ام عيسى عليه السلام
مريم واسم ام يحيى اشاع اخت مريم وكان تزوجها زكريا عليه السلام فكان
يحيى وعيسى عليهما السلام ابني خالة من الاب وقد روي ان حنة بنت
فاقوذ جدة عيسى عليه السلام عند عمران بن ماثان وكانت عاقرا عجوزا
فبينا هي في ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فتحركت نفسها للولد وتمنته
فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على
بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم ومات عمران
وهي حامل وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان فلعلها بنت
الامر على التقدير او طلبت ذكرا وروى ابن ابي حاتم من طريق عبد الرحمن
بن القاسم سمعت مالك بن انس رحمه الله يقول بلغني ان عيسى بن مريم
ويحيى بن زكريا وكان حملهما معا فبلغني ان ام يحيى قالت لمريم اني ارى
ما في بطني يسجد لما في بطنك قال مالك اراه لفضل عيسى على يحيى عليهما السلام
قال ابن اسحق اراد بنو اسرائيل قتل زكريا عليه السلام ففر منهم فمر بشجرة
فانفلقت له فدخل فيها فالتأمت عليه فاخذ الشيطان بهدبة ثوبه فاراهم
فوضعوا المنشار على الشجرة فنشروها حتى قطعوه من وسطه في جوفها
واما يحيى عليه السلام فقتل بسبب امراة اراد ملكهم ان يتزوجها فقال له يحيى
انها لا تحل لك لكونها كانت امراته بنت فتوصلت الى الملك حتى قتل يحيى

قال ابن اسحق كان ذلك ان يرفع عيسى عليه السلام وروى هذه القصة
الحاكم في المستدرك من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وروى ايضا
من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ان دم يحيى عليه السلام كان يفور
حتى قتل عليه سبعون الف فسكن قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت
عليهما فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح وهذه قطعة من
حديث طويل قد مضى في باب ذكر الملائكة ومر الكلام فيه ومطابقته للترجمة
ظاهرة لان يحيى مذكور في قصة زكريا عليهما السلام باب قول الله تعالى
واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا اي واذكر
يا محمد في القرآن مريم بنت عمران بن ماثان وكلمة اذ بدل من مريم بدل الاشتمال
انتبذت اي اعتزلت فانفردت وخلت وتخلصت للعبادة من اهلها
مكانا اي في مكان شرقي مما يلي المقدس او شرقي من دارها وعن الحسن
البصري اتخذت النصارى المشرق قبلة لان مريم انتبذت مكانا
شرقيا وسيجي ما يتعلق بهذه الاية وما بعدها بعد باب ان شاء الله
تعالى واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة الواو ليست من
التلاوة وكلمة اذ بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض وبيانه
ذلك ايضا بعد هذا الباب او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام
والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا اسمه المسيح
عيسى ابن مريم يعني يكون مشهورا بهذا في الدنيا يعرفه المؤمنون
بذلك والمسيح لقب عيسى عليه السلام وهو من الالقاب المشرفة
كالصديق واصله بالعبرانية مشيحا بالشين المعجمة ومعناه المبارك
وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره
من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبريل والعيس
وهو بياض تعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم صفة وانما قيل
ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب اذ الاولاد لا تنسب الا الى الآباء
ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وقوله بكلمة اي بولد يكون وجوده بكلمة

من الله اي بقوله كن فيكون وجيها في الدنيا والآخرة حال مقدرة
من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة
في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة وقيل وجيها اي شريفا ذا وجاهة
وقدر ومن المقربين من الله بالثواب والكرامة وقيل اشارة الى علو
درجته في الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة وقوله تعالى ان الله اصطفى
آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين الى بغير حساب
اي في الآيات الى قوله بغير حساب قال الله ان الله اصطفى اي اختار
آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين بالرسالة والخصائص
الروحانية والجسمانية وصفاهم من الصفات الذميمة وزينهم بالخصائل
الحميدة حتى قووا على ما لم يقو عليه غيرهم وقيل اختار آدم لانه خلقه
بيده ونفخ فيه من روحه واسجده ملائكته وعلمه اسماء كل شيء واسكنه
جنته واصطفى نوحا وجعله اول رسول بعث الى اهل الارض لما عبد
الناس الاوثان واصطفى آل ابراهيم وجعل منهم سيد البشر خاتم الانبياء
محمد صلى الله عليه وسلم وآل عمران وجعل موسى وهرون عليهما السلام
منهم وعيسى عليه السلام وآل ابراهيم هم اسمعيل واسحق واولادهما او
عيسى وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن
لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان وكان
بين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض حال او
بدل من الآلين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة
بعضها من بعض فموسى وهارون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من
قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من اسحق
وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود
بن ايشى بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق وقيل بعضها من بعض
في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او
فعولة من الذرء وابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو وادغمت والله سميع

عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل
او سميع لقول امراة عمران عليم بنيتها اذ قالت امراة عمران رب اني
نذرت لك ما في بطني فينتصب اذ بقوله سميع عليم وقيل نصبه باضمار اذكر
وامراة عمران هذه هي حنة بنت فاقوذا ام مريم البتول جدة عيسى عليه
السلام وقوله اذ قالت امراة عمران على اثر قوله وآل عمران مما يرجح ان
عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى عليه السلام والقول الآخر
يرجحه ان موسى يقرن بابراهيم كثيرا في الذكر فان قيل كانت لعمران بن يصهر
بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول
دون عمران ابا مريم التي هي اخت موسى وهرون فالجواب انه كفى
بكفالة زكريا دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا ابن آذن
وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته ايشاع اخت
مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة كما مر في الحديث السابق محررا معتقا
لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا استخدمه ولا اشغله بشيء وكان
هذا النذر مشروعا عندهم وروي انهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا
بلغ الغلام خير بين ان يفعل وان لا يفعل وعن الشعبي محررا مخلصا
للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان وانما بنت الامر على التقدير او
طلبت ان ترزق ذكرا فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع العليم
لقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في
بطنها وانما انث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم الله تعالى
او على تاويل الحبلة او النفس او النسمة وجاز انتصاب انثى حالا عنه
لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او الاصل
وضعته انثى وانما انث لتانيث الحال او على تاويل الحبلة او النسمة كما
قيل وضعت الحبلة او النسمة انثى وانما قالت ذلك تحسرا على ما رأت
من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو
ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على جهة

172 التحسر والتحزن قال الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها
وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت
وما علق به من عظائم الامور ان يجعله وولده آية للعالمين
وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا ولذلك تحسرت وقرا ابن عامر وابو
بكر عن عاصم ويعقوب وضعت بضم التاء على انه من كلامها تسلية
لنفسها بمعنى لعل لله فيه سرا او حكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر
وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما بما وضعت بكسر التاء على خطاب
الله تعالى لها انك اي لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من
عظم شانه وعلو قدره وليس الذكر كالانثى بيان لما في قوله والله اعلم
بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه اي وليس الذكر الذي طلبت
كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها
بمعنى وليس الذكر والانثى سيين فيما نذرت فيكون اللام للجنس واني
سميتها مريم عطف على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان
وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى
يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة
الا ترى انه كيف اشبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان
واغوائه فقالت واني اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها من
الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد
فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء
كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله عصمهما ببركة هذه
الاستعاذة قاله القاضي وسياتي الحديث وما يتعلق به في هذا الباب
ان شاء الله تعالى فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول
حسن القبول اسم ما يقبل به كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد
ومعناه بوجه حسن يقبل النذائر وهو اقامتها مقام الذكر ولم يقبل قبلها

انتهى في ذلك او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة
روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد و
وضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة
فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم
وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل واحبارهم و
ملوكهم فقال لهم زكريا عليه السلام انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى
نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم
فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون القبول
مصدرا على تقدير مضاف بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن وهو الاختصاص
بذلك وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل بمعنى استقضى واستعجل وهو
كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه باوله وعنفوانه قال القطامي
وخير الامر ما استقبلت منه وليس بان تتبعه اتباعا ومنه المثل خذ الامر
بقوابله اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا
حسنا مجاز ان تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها وكفلها زكريا شدد الفا
عاصم وحمزة والكسائي وقصروا زكريا غير ابي بكر عن عاصم على ان الفاعل
هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف
الباقون ومدوا زكريا مرفوعا وقرا مجاهد فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على
لفظ الامر في الافعال الثلثة ونصب ربها تدعو بذلك اي فاقبلها يا ربها
وربها تربية حسنة واجعل زكريا كافلا لها كلما دخل عليها زكريا المحراب
قيل بنى لها زكريا عليه السلام محرابا في المسجد اي غرفة تصعد اليها بسلم و
قيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من
بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وسميته بذلك لانها
محل محاربة الشيطان وروي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان
اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل
عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف

173

وفاكهة الصيف في الشتاء قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق
الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير اوانه والابواب مغلقة عليك
لا سبيل للداخل به اليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة
زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل
تكلمت صغيرة كعيسى عليه السلام ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به بغير محاسبة مجازاة على
عمل وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة
رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي
يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت
من عند الله فقال لها صلى الله عليه وسلم انى لك هذا فقالت هو من
عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال صلى الله عليه وسلم
شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
علي والحسن والحسين وجميع اهل بيته رضي الله عنهم عليه حتى شبعوا وبقي
الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها ثم ان قوله ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب يحتمل ان يكون من كلام مريم عليها السلام او من
كلام رب العزة عز من قائل وقال ابن عباس رضي الله عنهما وآل عمران
المؤمنون من آل ابراهيم وآل عمران والنبيين المرا ومنهم الذين في قوله
تعالى وان الياس لمن المرسلين وقيل ادريس وقيل غيره وآل محمد يقول اي
ابن عباس رضي الله عنهما ان اولى الناس بابراهيم اي ان اخصهم واقربهم
منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهم المؤمنون يعني ان المراد
من آل ابراهيم وآل غيره هم المؤمنون الذين اتبعوه فيما شرع له الاصالة
من الدين واما الذين لم يتبعوه فلا يعدون من الآل وقد اكد ذلك
بقوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وقال وهم المؤمنون
والحاصل ان آل ابراهيم وآل عمران وان كان عاما لكنه اريد به الخصوص
ويجوز ان المراد هم المؤمنون منهم وهذا الاثر وصله ابن ابي حاتم من طريق علي

بن ابي طلحة عنه ويقال آل يعقوب اهل يعقوب اذا صغروا الا ردوه الى
الاصل قالوا اهيل اشار بهذا الى ان اصل آل اهل الا ترى انهم اذا صغروه
يقولون اهيل لان التصغير يرد الاشياء الى اصولها ولكن فيه خلاف وهذا
المذكور هو قول سيبويه والجمهور وقيل اصله اول من آل يؤول اذا رجع لان
الآل ان يرجع الى اله فقلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وتصغيره
حينئذ على اويل حدثنا ابو اليمان الحكم بن نافع قال اخبرنا شعيب عن الزهري
انه قال حدثني سعيد بن المسيب كذا قال اصحاب الزهري وقال الزبيدي عن
الزهري عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال ابو هريرة رضي
الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من بني ادم مولود الا
يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان وفي رواية معمر
عن الزهري عند مسلم الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان
بنون وخاء معجمة ثم مهملة اي سبب صراخ الصبي اول ما يولد الم من مس الشيطان
اياه والاستهلال الصياح وفي رواية سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله
عنه الماضية في باب صفة ابليس بيان المس المذكور ولفظه كل بني ادم يطعن
الشيطان في جنبيه باصبعيه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن
في الحجاب اي في المشيمة التي فيها الولد قال القرطبي هذا الطعن من الشيطان
هو ابتداء التسليط فحفظ الله مريم وابنها منه ببركة دعوة امها حيث قالت
اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ولم يكن لمريم ذرية غير عيسى عليه
السلام غير مريم وابنها تقدم في باب صفة ابليس ذكر عيسى خاصة فيحتمل ان
يكون هذا بالنسبة الى المس وذاك بالنسبة الى الطعن في الجنب ويحتمل ان يكون
قبل الاعلام بما زاد وفيه بعد لانه حديث واحد وقد رواه خلاس عن ابي هريرة
رضي الله عنه بلفظ كل بني آدم قد طعن الشيطان فيه حين ولد غير عيسى وامه
جعل دون الطعنة حجابا فاصاب الحجاب ولم يصبهما والذي يظهر ان بعض
الرواة حفظ ما لم يحفظ الاخر والزيادة من الحافظ مقبولة واما قول الكرماني
يحتمل ان يكون من العطف التفسيري والمراد الابن كقولك اعجبني زيد وكرمه

تعسف ثم يقول ابو هريرة واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم
فيه بيان ان في رواية ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه ادراجا وان تلاوة
الآية موقوف على ابي هريرة رضي الله عنه باب واذ قالت الملائكة يا مريم
ان الله اصطفاك الآية الى قوله ايهم يكفل مريم اي اقرأ الآية الى قوله ايهم
يكفل مريم قال الله تعالى واذ قالت الملائكة ان شئت جعلته معطوفا على
الظرف قبله وهو قوله اذ قالت امرأة عمران وان شئت جعلته منصوبا بالمقدر
وهذا اخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم من امر الله لهم بذلك
قال اهل التفسير المراد بالملائكة ههنا جبريل عليه السلام قال الامام والقول
بان القائل هو جبريل وان كان عدولا عن الظاهر الا انه يجب المصير اليه
لان سورة مريم دلت على ان المتكلم مع مريم هو جبريل عليه السلام في قوله تعالى
فارسلنا اليها روحنا يا مريم ان الله اصطفاك هذا الاصطفاء بتقبلها
من امها ولم تقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغنائها برزق الجنة عن
الكسب وطهرك اي مما يستقذر من النساء واصطفاك على نساء العالمين
وهذا الاصطفاء هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية
كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود وبانطاق الطفل وجعلها
وابنها آية للعالمين قال القاضي كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة
زعم ان ذلك كانت معجزة زكريا او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع
على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا
انتهى وفيه كلام يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت
بالصلاة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وذلك لان كل
واحد من القنوت وهو طول القيام والسجود والركوع من اركان
الصلاة وتسمية الشيء باسم اشرف اجزائه مجاز مشهور فيكون الاجزاء
الثلاثة يعني القيام والركوع والسجود مجازا عن الصلاة فيكون مع
الراكعين مجازا عن المصلين واعتبر اركانها الثلاثة في جعل الركن
مجازا عن الكل مبالغة عن المحافظة على اركانها وقدم السجود على الركوع

أما لكونه كذلك في شرعهم أو للتنبيه على أن الواو لا توجب الترتيب أو ليقترن
اركعي بالراكعين للإيذان بأن من ليس في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين
وقيل المراد بالقنوت إدامة الطاعة كقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل
ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة لقوله وأدبار السجود وبالركوع الخضوع والإخبات
ذلك من أنباء الغيب نوحيه أي ما ذكرنا من القصص من حديث حنة وزكريا
ويحيى ومريم وعيسى من أخبار لا يمكنك أن تعلمه إلا بالوحي وما كنت لديهم إذ
يلقون أقلامهم أي أقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا بأقلامهم التي كانوا يكتبون
بها التوراة تبركا أيهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم أي
يلقونها ليعلموا أو يقولوا أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون تنافسا
في كفالة مريم فإن قيل لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة
وترك نفي الاستماع للأنباء من حفاظها وهو موهوم فالجواب أنه كان
معلوما عندهم علما يقينا أنه صلى الله عليه وسلم ليس من أهل السماع
والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق إلا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد
والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بأنه لا سماع له
ولا قراءة والحاصل أن طرق العلم منحصرة في المشاهدة والاستماع من أهل
العلم وقراءة أسفارهم والوحي وما عدا الوحي من طرق العلم منتف فتعين
أنه صلى الله عليه وسلم إنما أخبر بتلك الأنباء بالوحي وأنه نبي حقا فيكون
تقرير كونه وحيا وأنه نبي حقا **يقال يكفل يضم كفلها ضمها مخففة ليس من
كفالة الديون وشبهها** أشار به إلى ما في قوله تعالى أيهم يكفل مريم وإلى قوله
وكفلها زكريا قال أبو عبيد في قوله تعالى وكفلها زكريا يقال كفلها بفتح الفاء
وكسرها أي ضمها وفي قوله أيهم يكفل مريم أي يضم انتهى أي ضم زكريا مريم إلى
نفسه وما ذاك إلا أنها يتيمة قاله ابن إسحق وقال غيره إن بني إسرائيل أصابتهم
سنة جدب فكفل زكريا مريم لذلك ولا منافاة بين القولين وقوله مخففة
أي حال كون كلمة كفلها بتخفيف الفاء وهي قراءة أكثر القراء وقرأ الكوفيون
بالتشديد أي كفلها الله زكريا وقرأ زكريا بالقصر إلا أن أبا بكر راوي

عاصم قرأه بالمد وفتح الهمزة قال العيني وفي قوله ليس من كفالة الديون
وشبهها نظر لأن في كفالة الديون أيضا معنى الضم لأن الكفالة ضم الذمة
إلى الذمة في المطالبة **حدثنا أحمد بن أبي رجاء** بالجيم واسمه عبد الله بن أيوب
أبو الوليد الحنفي الهروي قال **أخبرنا النضر** أي ابن شميل وقد مر غير مرة **عن
هشام** هو ابن عروة أنه **قال أخبرني أبي** عروة بن الزبير بن العوام **قال
سمعت عبد الله بن جعفر** أي ابن أبي طالب قال الدارقطني رواه أصحاب
هشام عن عروة هكذا وخالفهم ابن جريج وابن إسحق فروياه عن هشام عن أبيه
عبد الله عن ابن الزبير عن عبد الله بن الزبير عن عبد الله بن جعفر زادا
في الإسناد عبد الله بن الزبير والصواب إسقاطه والله أعلم **قال سمعت
عليا** أي ابن أبي طالب رضي الله عنه **يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
خير نسائها مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة** أي خير نساء أهل الدنيا
في زمانها وليس المراد أن مريم خير نسائها لأنه يصير كقولهم زيد أفضل إخوته
ويوسف أحسن إخوته وقد صرحوا بمنعه فهو كما لو قيل فلان أفضل أهل الدنيا
وعن وكيع أي خير نساء الأرض في عصرها وقد روى النسائي من حديث
ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ أفضل نساء أهل الجنة فعلى هذا فالمعنى خير
نساء أهل الجنة مريم وفي رواية خير نساء العالمين وهو كقوله تعالى واصطفاك
على نساء العالمين فظاهره أن مريم أفضل من جميع النساء وهذا لا يمتنع عند
من يقول إنها نبية وأما من قال إنها ليست بنبية فيحمله على عالمي زمانها
وبالأول جزم الزجاج وجماعة واختاره القرطبي ويحتمل أيضا أن يراد نساء بني
إسرائيل أو نساء تلك الأمة أو من فيه مضمرة والمعنى أنها من جملة النساء
الفاضلات ويدفع ذلك حديث أبي موسى المتقدم بصيغة الحصر أنه لم يكمل
من النساء غيرها وغير آسية وقوله وخير نسائها خديجة أي خير نساء العرب
أو هذه الأمة وقال القاضي أبو بكر ابن العربي خديجة أفضل نساء الأمة مطلقا
لهذا الحديث وقد تقدم في أواخر قصة موسى حديث أبي موسى في ذكر مريم و
آسية وهو يقتضي فضلهما على غيرهما من النساء ودل هذا الحديث على أن مريم

افضل من سيدة وان خديجة افضل في هذه الآية فكأنه لم يتعرض في هذه
الآية حيث قال ولم يكمل من النساء اي من نساء الامم الى ضيقه الا ان حمل
الكمال على النبوة فيكون على اطلاقه وعند النسائي باسناد صحيح عن ابن
عن انس رضي الله عنه حسبك من نساء العالمين فذكرهن واللتي لم باسناد
صحيح عن انس وحذيفة رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتاه ملك يهوت فبشره ان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة ومطابقته للترجمة
في قوله مريم ابنة عمران وقد اخرج البخاري في فضل خديجة ايضا واخرجه مسلم في
الفضل والترمذي في مناقب وكذا النسائي فيه **باب قوله تعالى اذ قالت**
الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم الى
قوله كن فيكون اي اقرا الآية الى قوله كن فيكون ووقع في رواية ابي ذر
بزيادة واو في اول هذه الآية وهو غلط وانما وقعت الواو في اول الآية التي
قبلها واما هذه فبغير واو وقد مر تفسير هذه الآية قبل باب فلنفسر ما بعدها
قال الله تعالى اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح
عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد
وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت وهو
معطوف على قوله وجيها ان يبشرك به وجيها ومكلما فان الجملة الفعلية
مقدرة بالاسم في مثل هذا المحل ليجوز عطفها على الاسم والمهد مصدر سمي به
ما يمهد للصبي من مضجعه وروي عنها انها قالت كنت اذا خلوت به احادثه
ويحادثني فاذا شغلني عنه انسان يسبح في بطني وانا اسمع وقيل معنى في
المهد صغيرا في حجرها وقد اختلفوا هل كان نبيا وقت كلامه فقيل نعم لظهور
المعجزة وقيل لا وانما جعل ذلك تأسيس النبوة والكهل الذي اجتمع قوته وتم
شبابه قيل اول الكهولة ثلثون وقيل اثنان وثلثون وقيل اربعون والآخر
خمسون وقيل ستون ويدخل في السن الشيخوخة وقال بعضهم انه رفع شابا وكونه
كهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشادا انه بمعزل عن الالوهية
ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم ومعنى في قوله

176

وعمله فان الصالح هو الذي صرف عمره في طاعة ربه وماله في مرضاته قالت
رب اني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر اي لم يصبني رجل تعجب واستبعاد عادي
على ان يكون اني بمعنى من اين فان البشرية تقتضي التعجب فيما وقع على
خلاف العادة ولم تجر عادة بان يولد ولد بلا اب او استفهام او انه يكون
بتزوج او غيره على ان يكون اني بمعنى كيف قال كذلك اي الامر كما قلت لم
يمسسك بشر الله يخلق ما يشاء القائل جبرئيل او الله وجبرئيل حكى لها قوله تعالى
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان
يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك
ومعنى ذلك اذا اراد تكوينه يقول كن فيكون ولا تأخر من وقته بل
يوجد عقيب الامر بلا مهلة **يبشرك ويبشرك واحد** اول من باب نصر وهو
قراءة حمزة والكسائي ويحيى بن وثاب والثاني من باب التفعيل من التبشير
وهو قراءة الباقين والبشير الذي يخبرهم بما يسرهم من خير وقد يطلق في الشر
مجازا تهكما **وجيها شريفا** فسر وجيها في قوله تعالى وجيها في الدنيا والآخرة
بقوله شريفا وقد مر تفسيره فيما سبق **وقال ابراهيم** اي النخعي **المسيح الصديق**
بكسر الصاد وتشديد الدال وكذا فسره سفيان الثوري باسناده الى ابراهيم
قال الطبري مراد ابراهيم بذلك ان الله تعالى مسحه فطهره من الذنوب
فهو فعيل بمعنى مفعول وقد ذكر العيني في كتابه زين المجالس ثلثة وعشرين
قولا في تسمية عيسى عليه السلام بالمسيح منها ما روي عن ابن عباس رضي
الله عنه كان لا يمسح ذا عاهة الا برئ ولا ميتا الا حيي وعنه انه كان امسح
الرجل ليس لها اخمص يمس الارض من باطن الرجل وقيل انه خرج من بطن
امه كانه ممسوح بالدهن وقيل زكريا عليه السلام مسحه بدهن البركة وقيل
لانه كان جميلا اذ المسيح في اللغة جميل الوجه وقيل لانه كان يمسح الارض
لانه قد يكون تارة في البلدان وتارة في المفاوز والفلوات فعلى هذه الوجوه
يكون على وزن فعيل وقيل هو من السياحة فيكون على وزن مفعل واما
الدجال فانما قيل له مسيح لانه يمسح الارض اي يقطعها وقيل لانه ممسوح العين

لا عين له ولا حاجب وهو مختص بهذا المعنى وقال ابن فارس لان احد
شقي وجهه ممسوح لا عين له ولا حاجب وقيل المسيح الكذاب وهو اكذب البشر
فلذلك خصه الله تعالى بالشوه والعور وقيل المسيح المارد الخبيث وهو ايضا
مختص بهذا المعنى ولا يلزم من اشتراكه بينهما بحسب اللفظ اشتراكه بحسب المعنى و
يقال في الدجال مسيخ بالخاء المعجمة لانه مشوه مثل الممسوخ ويقال فيه ايضا
مسيح بكسر الميم وتشديد السين للفرق بينه وبين المسيح بن مريم عليهما
السلام وعن ابي عبيدة اظن ان هذه الكلمة مشيحا بالشين المعجمة فعربت
وكذا ينطق به اليهود واما قول الداودي في تسمية عيسى عليه السلام بالمسيح
انه كان يلبس المسوح فهو غريب **وقال مجاهد الكهل الحليم** وصله الفريابي
من طريق ابن ابي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى وكهلا ومن الصالحين
قال الكهل الحليم انتهى وقال ابو جعفر النحاس ان هذا لا يعرف في اللغة وانما
الكهل عندهم من ناهز الاربعين او قاربها وقيل من جاوز الثلاثين وقيل
ابن ثلاث وثلاثين انتهى والذي يظهر ان مجاهدا فسره بلازمه الغالب
لان الكهل غالبا يكون فيه وقار وسكينة وقد اختلف اهل العربية في قوله
وكهلا هل هو معطوف على قوله وجيها او هو حال من الضمير في يكلم وعلى الاول
يتجه تفسير مجاهد والله تعالى اعلم **والاكمه من يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل** اشار
به الى تفسير قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام وابرئ الاكمه وقد وصله
الفريابي عن مجاهد وهو قول شاذ تفرد به مجاهد والمعروف ان ذلك هو
الاعشى **وقال غيره** اي غير مجاهد **من يولد اعمى** وهو قول الجمهور وبه جزم ابو
عبيدة واخرجه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما وروى عبد بن حميد
من طريق سعيد عن قتادة كنا نتحدث ان الاكمه الذي يولد وهو مضموم
العينين ومن طريق عكرمة الاكمه الاعمى وكذا رواه الطبري عن السدي
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا وعن الحسن ونحوهم وقال الطبري
الاشبه بتفسير الاية قول قتادة لان علاج مثل ذلك لا يدعيه احد والاية
سيقت لبيان معجزة عيسى عليه السلام فالاشبه ان يحمل المراد عليه

ويكون ابلغ في اثبات المعجزة والله تعالى اعلم **فائدة** روى انه ربما كان
يجتمع على عيسى عليه السلام الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم
يطق اتاه عيسى عليه السلام وما يداوي الا بالدعا **حدثنا ادم** اي ابن ابي
اياس قال **اخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة انه قال سمعت مرة الهمداني**
يحدث عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام كمل من
الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران واسية امراة فرعون
قد مضى هذا الحديث في اواخر قصة موسى عليه السلام في باب قول الله تعالى
وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون ومضى الكلام فيه هناك **وقال**
ابن وهب هو عبد الله بن وهب المصري **اخبرني يونس** هو ابن يزيد الايلي
عن ابن شهاب محمد بن مسلم الزهري **عن سعيد بن المسيب ان ابا**
هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
نساء قريش مبتدا **خير نساء ركبن الابل** خبره وهو كناية عن نساء العرب
احناه على طفل اي اشفقه واعطفه وكان القياس ان يقال احناهن
لكن قالوا العرب لا تتكلمون في مثله الا مفردا وقال ابن الاثير انما وحد الضمير ذهابا
الى المعنى تقديره احنى من وجد او خلق او من هناك ومثله قوله احسن
الناس وجها واحسنه خلقا يريد احسنهم خلقا وهو كثير في العربية ومن
افصح الكلام ثم احنى على لفظ التفضيل من حنا يحنو وحنى يحني ومنه الحانية
وهي التي تقيم على ولدها ولا تتزوج شفقة وعطفا ويقال حنت المراة على
ولدها تحنو اذا لم تتزوج بعد ابيهم وفي التوضيح وفي بعض الكتب احنته بتشديد
النون وقال ابن التين ولعله ماخوذ من الحنان وهو الرحمة ومنه حنين
المراة وهو نزاعها الى ولدها وان لم يكن لها صوت عند ذلك وقد يكون
حنينها صوتها على ما جاء في الحديث من حنين الجذع والاصل فيه ترجيع
الناقة صوتها على اثر ولدها **وارعاه** الكلام فيه كالكلام في احناه وهو
افعل التفضيل ايضا من رعى يرعى رعاية وفي بعض النسخ احناهن و

وارعاهن على القياس على زوج في ذات يده اي في ماله المضاف
اليه قال القرطبي وهذا التفضيل لنساء قريش على العرب خاصة لانهم اصحاب
الابل غالبا وفي الحديث فضيلة هذه الخصال المذكورة من الحنو على الاولاد
والشفقة عليهم وحسن تربيتهم ومراعاة حق الزوج في ماله وحفظه والامانة
فيه وحسن تدبيره في النفقة يقول ابو هريرة على اثر ذلك اي على عقبه
ولم تركب مريم بنت عمران بعيرا قط يريد بذلك ان مريم لم تدخل في النساء
المذكورات لانه قيدها بركوب الابل ومريم لم تكن ممن تركب الابل وقال
صاحب التوضيح يؤخذ من قول ابي هريرة رضي الله عنه هذا ومن ذكر
البخاري له في قصة مريم تفضيلها على خديجة وفاطمة رضي الله عنهما لانهما
من العرب المخصوصين بركوب الابل ثم هذا التعليق وصله مسلم عن
حرملة عن ابن وهب وكذلك اخرجه الاسمعيلي عن الحسن بن سفيان عن
حرملة وسيأتي للمصنف موصولا من وجه اخر عن ابن وهب في النكاح
ومطابقته للترجمة في قوله ولم تركب مريم بنت عمران بعيرا قط تابعه اي
تابع يونس بن يزيد ابن اخي الزهري هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله
بن مسلم بن عبيد الله الزهري القرشي المدني ابن اخي محمد بن مسلم
الزهري قال الواقدي قتله غلمانه بامر ابنه وكان سفيها شاطرا
للميراث في اخر خلافة ابي جعفر فوثب غلمانه عليه بعد سنين فقتلوه
ايضا واسحق الكلبي اي وتابعه ايضا اسحق بن يحيى الكلبي الحمصي روى
له البخاري مستشهدا في مواضع عن الزهري اما متابعة ابن اخي الزهري
فوصلها ابو احمد بن عدي في الكامل من طريق الدراوردي عنه واما متابعة
اسحق الكلبي فوصلها الذهلي في الزهريات عن يحيى بن صالح الوحاظي عنه
باب قوله تعالى وفي بعض النسخ قوله عز وجل بدون ذكر باب يا اهل
الكتاب لا تغلوا في دينكم الى وكيلا اي اقرأ الاية الى قوله وكيلا قال القاضي
عياض وقع في رواية غيره بحذف قل وهو الصواب انتهى وا صاحب
في تفسيره لانه لم يثبت قل في هذه الاية التي في سورة النساء وانما

178
ثبت في اية سورة المائدة ومراد المصنف اية سورة النساء بدليل
قوله الى وكيلا وبدليل تفسير بعض ما وقع فيها فالاعتراض متجه قال الله
تعالى يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم من الغلو وهو الافراط ومجاوزة
الحد ومنه غلا السعر والخطاب للفريقين غلت اليهود في حط المسيح
عليه السلام عن منزلته حتى رموه بانه ولد لغير رشدة فهموا بقتله
وغلت النصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وهم اليعقوبية منهم وقال
بعضهم هو ابن الله وهم النسطورية وقال بعضهم ثالث ثلثة وهم
المرقوسية واما الملكائية فقالوا الله ثلثة اقانيم الاب والابن وروح
القدس يريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس
الحيوة وقالوا في حق المسيح هو عبد الله ونبيه كما صرح به القاضي في تفسير
سورة مريم وقيل الخطاب للنصارى خاصة فانه اوفق بقوله ولا
تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الصاحبة والولد اي لا تفتروا
عليه وتجعلوا له صاحبة وولدا ثم اخبر عن عيسى عليه السلام فقال انما
المسيح عيسى بن مريم فكيف يكون الها والمسيح مبتدأ وعيسى بدل منه او عطف
بيان وقوله رسول الله خبره وكلمته عطف عليه القاها الى مريم اوصلها
اليها وحصلها فيها وروح منه اي وذو روح صدر منه وعبد من عباده
وخلق من خلقه قال له كن فكان فقيل لعيسى عليه السلام كلمة الله
وكلمة منه لانه وجد بكلمته وامره لا غير من غير توسط ما يجري مجرى الاصل
والمادة له من الاب والنطفة وقيل له روح الله وروح منه لذلك
لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب
الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة واضيف الروح
اليه تعالى للتشريف كما اضيف الناقة والبيت الى الله تعالى وقيل سمي
روحا لانه كان يحيي الاموات او القلوب فامنوا بالله ورسله اي امنوا
بهم جميعا ولا تجعلوا عيسى الها ولا ابنا ولا ثالث ثلثة او لا تجعلوا لله
ثلثة اقانيم فقط ولا تقولوا ثلثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه

ويليه بقية باب مريم الخ

قوله تعالى وانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
وعلى ان لا تقدير ه الله ثلثة اقانيم وقال الزمخشري والمشهور المستفيض عنهم
انهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الاب والام ويدل
عليه قوله انما المسيح عيسى بن مريم فاثبت انه ولد لمريم اتصل بها اتصال
الاولاد بامهاتهم وان اتصاله بالله عز وجل من حيث انه رسوله وموجود
بامره وابتداعه جسدا حيا من غير اب فنفى ان يتصل خيرا لكم اي اقصدوا
خيرا لكم انما الله اله واحد اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان
يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن كان
له مثل ويتطرق اليه فناء وقرا الحسن ان بكسر الهمزة ويكون برفع النون
اي سبحانه ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان له ما في السموات وما في
الارض ملكا وخلقا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا فهو بيان
لتنزهه عما نسب اليه يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض
ملكه جزءا منه على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات
الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا اليه يكل الخلق كلهم امورهم فهو تنبيه
على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه
وتعالى قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه
والله الغني وانتم الفقراء قال ابو عبيد هو القاسم بن سلام كلمته
كن فكان اراد ان ابا عبيد فسر قوله وكلمته بقوله كن فكان وعن
قتادة مثله رواه عبد الرزاق عن معمر عنه وقال غيره اي غير ابا عبيد
وروح منه احياه فجعله روحا الظاهر انه ابو عبيدة معمر بن المثنى
فانه قال في قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم قوله كن فكان وروح
منه احياه فجعله روحا وقال مجاهد وروح منه اي ورسول منه ولا
تقولوا ثلثة اي ولا تقولوا في حق الله تعالى وعيسى وامه ثلثة الهة
بل الا له واحد هو الله منزه عن الولد والصاحبة وعيسى وامه مخلوقان
مربوبان وهو بقية الاية التي فسرها ابو عبيدة حدثنا صدقة بن الفضل